

لا تبالي
فستشفى الجراح

جميع حقوق الطبع محفوظة



عالم الكتب الحديث
Modern Book's world
للنشر والتوزيع

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

الأردن - أربد

E-MAIL: almalktob@hotmail.com

almalktob@yahoo.com

phone: +96227272272



@modernworldbook

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2022/8/3934)

ISBN (ردمك): (978-9923-14-416-9)

813.9

عيسى، مروة محمد أحمد بني

لا تبالي فستشفى الجراح/مروة محمد أحمد بني عيسى -.أربد: عالم الكتب الحديث للنشر

والتوزيع، 2022

() ص.

ر.إ.: 2022/8/3934

الواصفات:/القصص العربية//الأدب العربي//العصر الحديث/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي

دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

لا تبالِي فستشفى الجراح

مروة محمد

عالم الكتب الحديث
Modern Books' World
الأردن-إربد

إلى من جعلت منا شباباً للمستقبل يا من عَلَّمْتِنَا أَلَا نَسْتَسْلِمُ لِلْأَلَامِ
وإن كَثُرَتْ، وآمَنْتِ بِنَا وَخَلَقْتِ لَنَا جِوَا دِينِيَا تَرْبِيَا هَادِفَا، لَمَنْ هَيَّئْتِنَا لِأَحْزَانِ
المستقبل وزرعت فينا حب الخير والغير والتفاؤل والأمل في القادم، إلى أب
الطفولة الروحي الذي خلد لنا شاراتٍ تشرّبناها وأدركنهاها حين كبرنا، فعمق
الكلمة ووقع المعنى قد التف حول قلوبنا بصوته الدافئ الحنون الذي
تسرب إلى أرواحنا وعقولنا، وأنتِ يا صاحبة الصوت الذهبي الرنان الذي
يصدح صده بكل مكان، يُطْرِبُ وينسبُ في أذاننا وأذهاننا، شكرا لكِ
ولصوتك، فقد صنع لنا معنًا آخر للطفولة فهو كان وما زال يأخذ بنا إلى عالم
فتانٍ آخر يحمل في طياته الأمان والسلام، عالماً أجمل مما نعيشه الآن
بكثير...

فلن نستطيع أن نتخيل " التلفزيون " من غير " سيبستون " هذا محال،
ولن ننسى أبداً أن نبقي معكِ فأنتِ الذكرى والذاكرة لطفولتنا الجميلة
ولن نستطيع تخيل طفولتنا دون الأب طارق العربي طرقات ورشا
رزق فشكرا لكم شكرا من الأعماق

دمتِ يا سيبستون ♥

مروة محمد

2001marwamoh@gmail.com



الحياة وروية فقط في الأفلام
والروايات لا داعي لتجميلها
ونكران أُلها إما أن تعيش وتتعايش
معها أو ستترفن تحت أنقاضها وأنت
حي، فالخيار لك: إما أن تتكيف مع
واقعك الأليم وإما أن تحارب وإما
أن تموت...!



الجزء الأول

هني لم تكن أختي بل كانت عائلتي الوحيدة

... كانت... كانت كل شيء ♥♥

عندما تفتح عينيك على واقع أشبه بكابوسٍ مرعبٍ أن تنهض كل يوم لتلوم ذاتك على شيء ليس بيدك ولا يمكنك حتى تغييره أن تقف عاجزا أمام عجزك أن تولد خائفا وتمت خائفا، وتقول لنفسك كل يوم أليس من حقي أن أعيش كإنسان!، أليس من حقي أن أرى في عيون الناس الاحترام بدلا من الشفقة تارة والاحتقار تارة أخرى أهذا كثيرٌ على شخص مثلي....!

هل أنا أستحق الموت؟

كما قالت لي جارتنا التي في الطابق الخامس في صباحٍ شتاءٍ باردٍ في الساعة السابعة والنصف من منتصف الشهر وكانت قد قالتها بنصف دقيقة فقط ؟

المؤلم في تلك الحادثة ليست ما قالته بل

آه، آه ... ما يؤلمني أنني وددت لو قالتها في دقيقة كاملة لهونت على نفسي قائلاً: لقد كانت تلك دقيقة صعبة تضاف إلى الدقائق الأخرى ولكن وقع تلك الثوان كان كثيرا جدا على قلبي
سامحك الله ماذا كان سيحصل لو أطلت قليلا ؟

سالم شاب في مقتبل العمر لم يتم عامه الثامنة عشرة بعد، وجهه بشوش ضاحك مفعم بالأمل والتفاؤل لديه عينين ذهبيتين لونهما لون زهرة عباد الشمس لا أعتقد أن في هذا العالم من يملك جمالهما، وجبين واسع ناصع البياض وأراهن على أن جميع البياض في هذا العالم قد أخذ من صفاء ونقاء قلبه، كان سالم طويل البنية يمتلك قواما يؤهله ليكون عارضا، شعره ذو ملمس حرير _ لا بل الحرير مثل ملمسه _ يملك خدان حمرأوين

تشعر عند رؤيتهما أن نارا قد أشعلت فيهما

لم يكن سالم يملك في هذه الحياة سوى الأمل، الأمل بأن يجد شخصاً يحبه لذاته ولشخصه ولأسلوبه أن يشعر بوجوده وكيانه وأن في هذا العالم أحدا يحبه فعلا ولا يشعره بأنه ناقص، عاجز أو أنه عبء على هذه الحياة كان بحاجة أن يقول له أحدهم في يوم مولده : من الجيد أنك ولدت، من الجيد وجودك إلى جانبي، كان يتمنى حقا أن يقول له أحدهم : قدومك إلى هذه الحياة أفضل شيء حدث لي

_أعتقد أنه كان بحاجةٍ لأمه _

هه، يا لك من طموح يا سالم !

الاختلاف في عالمنا أشبه باللعنة تلاحق صاحبها إلى مماته

ليس ذنبك يا سالم ليس ذنبك أنك.....

في غرفةٍ تحت الأرض مظلمة حالكة السواد جدرانها داهمها العفن من كل جانب، الأرض تشعر وكأنها مستنقع في إحدى الغابات، غرفة تكاد تفتقر إلى أبسط مقومات العيش الكريم _قد يخال إلى أحدكم أنها غرفة الخدم ولكنها أفظع من ذلك بكثير، ولربما هناك في بعض المنازل الكبيرة غرفة خدم لفخامتها لا تستطيع أن تميزها عن أي غرفة من الغرف في البيت _ يعيش بها شاب لربما بعد سماع قصته سيعيش هو وغرفته أعني قبوه معكم للأبد وسيبقى صدى اسمه عالقا في أذهانكم مدى الحياة وسيبقى اسمه رنانا حين تصادفون شخصا لديه ذات الاسم، افتحوا قلوبكم جيدا قبل أذانكم ...

فُتحت الأعين وها قد بدأ يوم جديد في حياة عزيزنا سالم، الجرس يدق تذهب هديل لفتح الباب

- أمي، ها قد جاء بائع الخبز، سلمت يا عمي تفضل هذه هي نقودك

عزيز الصغير يبكي كعادته من تعالي أصوات حنان وزوجها لنفس السبب كل يوم منذ تلك الحادثة!...

- قالت حنان لابنتها : هل استيقظ ذلك المعاق ؟

ردت هديل بصوتٍ خافت : مَنْ أخي سالم ؟

- قالت بسخرية وباستهزاء : هه، لِمَ أَنْتِ مستغربة هكذا، كم من معاق لدينا في هذا البيت ؟

طأطأت هديل رأسها وقالت بحزن : لم أره بعد

- إذن اذهبي وألقي نظرةً عليه، لربما قد جاء ملك الموت وأخلصنا من همه _ فتعالت ضحكتها وسط دهشةٍ من ابنتها _

قالت هديل بينها وبين نفسها _ وهي لا تكاد طفلة تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاما _ : كيف لأُمِّ أن تكره طفلها وتتمنى له الشر لدرجة أن ترى جنازته عاجلا ليس آجلا وتدعو عليه هكذا ليلا نهارا ؟، إنني لا أحزن على أنها تقول هذا بقدر ما أخشى أن يسمعها سالم يوما، إن قلبه طيب وجميل ولا يتحمل مثل هذا الكلام لا يجب أن تُعَامِلِ سالم هكذا، هل يوجد أم تستطيع أن تكره أبنها لمجرد أنه

- هديل هديل، آآخٍ من شروك المستمر، هديل !

- آه، نعم يا أمي _ فذهبت مسرعة لغرفة سالم قبل أن يسلمها صراخ أمها

طرقت هديل الباب بهدوء : سالم أأنت مستيقظ يا أخي ؟

لم يصدر سالم أي صوت، عاودت هديل طرق ذلك الباب حتى أحست على نفسها أنها كادت أن تكسر يدها من شدة الطرق ومع ذلك كله سالم لم يجب، بدأت هديل تتعرق ، خفقات قلبها زادت بدأت السيناريوهات السيئة تتعاقب على ذهنها شيئاً فشيئاً أحست بأن قلبها سيقتلع من صدرها بدأت ترتجف هل حدث شيء له هل..... ؟

بدأت تبكي على الباب لم تتحمل فكرة أن سالم لم يجب عليها وهو أحب الأوقات لديه حينما تأتي هديل صباحاً إلى غرفته

بدأت تبكي وتصرخ بشدة : أخي أرجوك أفتح الباب لا أتحمل هذا المزاح انهارت بالبكاء ولا يزال سالم لم يعطِ أي ردة فعلٍ لذلك لم تعرف هديل ماذا ستفعل لأنها إن ذهبت وأخبرت والدتها بالذي يحصل لن تعبر الموضوع أي اهتمام ظلت تصرخ وتنادي لعل أخاها يسمع بكاءها ويفتح الباب _ظنا منها أنه قد يكون يلعب معها أو أنه قد سمع كلام حنان الجارح صباحاً _

نزل عزيز الصغير بعد ما علّت أصوات هديل ورآها تبكي فأسرع لمناداة حنان : هليل تبكي على باب أفة ألم

(هديل تبكي على باب غرفة سالم) _ لم يستطع نطقها بالشكل السليم لصغر سنه _

توسعت عينا حنان من الدهشة دخل السرور إلى قلبها شعرت أنها الآن

أصبحت تملك العالم أجمع توقفت صامدة تحلم أحلام اليقظة وتفكر بحالها الذي سينقلب رأساً على عقب إن استجاب الله دعاءها وهي تحلم أحلامها وعزيز الصغير يشد أسفل ثوبها كاد أن يمزقه؛ لأنه احتمال بكامل وزنه على أسفل ثوبها ولكن حنان لم تشعر بذلك من شدة فرحها ولم تستطع حتى سماع صراخ ومناجاة ابنتها، بعد عناء كبير من عزيز الصغير وارتفاع صوت هديل شيئاً فشيئاً أفاقت حنان من أحلامها أخيراً وهرولت مسرعةً ضاحكة من شدة فرحها تتعثّر تارة على الدرج وتقوم تارة أخرى ولا تأبه لقدمها التي كادت أن تكسر، وصلت أخيراً إلى ابنتها وكادت أن يغمى عليها من شدة البكاء، قالت لها : ماذا هنالك ؟

_تأفأفت حنان وقالت : اللعنة عليكِ وعلى ذلك ال.....

دُهِشت هديل لما رأته ظنت بأن أمها تقول كل هذا الكلام لأنها لا تتحمل عبء سالم ولا تتحمل وجود شخصٍ.....

- آآآه - يا إلهي !

أدخلت حنان يدها إلى جيبها لتخرج المفتاح الاحتياطي _لأنها أمرت سالم بأن لا يضع المفتاح داخل فتحة الباب _ ففتحت حنان القفل باشمئزاز وقالت: هيا أدخلي

فحملت عزيز وصعدت للأعلى وهي تتمتم : اللعنة على هذه الحياة القذرة

فتحت هديل الباب متلهفة لأن ترى أخاها أنه بخير، فصُعقت من هول المنظر ترنحت للخلف لم تستطع أن تتمالك نفسها وقعت عن الأرض خانتها قدماها تجمدت مكانها لم تستطع الحراك اسودَّ العالم في وجهها

شعرت بضيق شديد في صدرها أحست أن قلبها أقتلع من مكانه عينيها لم تصدقا ما رأته، تواسي نفسها أنها لا تستطيع الرؤية جيدا بسبب أن احمرار عينيها قد هزمها ، حاولت الوقوف ولكن قدميها لم تحتملا الصدمة بعد وقعت على الأرض واستندت على ركبتيها ويديها لم تتخيل أن الظلم بإنسان يصل لدرجة أن

- س س س سالم يا أخي !

هناك من يخطط ويفكر بالمستقبل وهناك من يعيش اللحظة فقط
وهناك من يبقى عالقا في آلام الماضي.

التفكير في المستقبل والارتباط الوثيق بما سيحصل غدا، ستعيش
بسبب ذلك حياة تعيسة مليئة بالخوف، وإن عشت اللحظة دون أي تفكير
بعقبات ما سيحدث سيكون عنوان مستقبلك الندم، وإذا أذنت وبقيت
بدوامة الماضي فلن يكون هنالك حاضر لتعيشه ولا مستقبل لتقلق لأجله

فحش حاضرک وأدرس خطواتك جيدا بتأمل وتمهل وتديبر ولا تطل
التفكير وتوكل عليه فهو خير المدبرين واجعل من آلام الماضي دافعا
للتغيير وللتطوير...🕒🕒

الجزء الثاني

أفضل شيء يمكن أن تفعله في هذه الحياة

ادعاء حماقة في وجه من يظن نفسه ذكيا

دق جرس الساعة التاسعة صباحا، فاحت من القصر رائحة القهوة
تعالَت أنغام فيروز الرائعة لتأسر كل من في القصر بأنغامها ولترقص على
ألحانها العصافير ويبدندن الكبار كلمات أغانيها مع صوتها الشجي الذي
يجعل للصباح لونا آخر

_صباحيات فيروزية برائحة القهوة _ كان ذلك الصباح الروتيني السائد
على قصر آل صادق وهو الوقت الأجمل بالنسبة لهم، ومن منا لا تصنع
فيروز يومه!

همست سيلفيا مداعبة بأذن نوح : ها قد حل الصباح يا زوجي العزيز
ستأخر عن عملك إن بقيت كسلانا هكذا

فتح نوح عينيه، ابتسم لزوجته وربت على يدها وقال لها : ما أجمل
الصباح حين يبدأ بك !

ابتسمت سيلفيا خجلة: هيا لا تُضيع الكثير من الوقت لا تتكاسل، هيا !
بدأت بسحب نوح رويدا رويدا من يده وهو متشبث بالسرير باليد
الأخرى وبعد محاولات مستمرة وسحباتٍ متتاليةٍ وأخذ وعطاء وافق نوح
أخيرا وتنازل عن عرش الراحة فنزل عن سريره ليذهب لتناول طعام الفطور
مع أهل بيته ، فذهب واغتسل وارتدى ثيابه الأنيقة كعادته وتوجه بإلقاء
التحية على والده آدم كما يفعل في كل صباح ويأخذ الرضى منه كما جرت
العادة

- والدي هل تسمح لي بأن أدخل ؟

- تفضل بالدخول يا ولدي

قَبَّلَ نوح يد والده وسأله عن حاله وأجاب آدم كالمعتاد بأنه طالما أنت وإخوتك سعداء وبخير فأنا سأظل بخير_ إن شاء الله_

قَبَّلَ نوح يد والده مرة أخرى وقال له :هيا بنا يا والدي طعام الفطور جاهز، ابتسم آدم له : ها أنا قادم خلفك سأجري مكالمةً سريعة ثم الحق بك، _ حسنا، يا أبي ولكن لا تتأخر سيبرد الشاي

_ لا تقلق يا بني سأتي فوراً

جلس آدم وهو ينتظر المكالمة بفارغ الصبر لم يتحمل شعر أن الثواني تمر كساعات ارتفعت درجة حرارته شعر بالاختناق فك أول زرين من قميصه لف يديه حول عنقه تارةً للأمام وأخرى للخلف ويمسح على شعره ذهاباً وإياباً وبدأ يتأفف وينفخُ الهواء من فمه ليخفف ضغط التوتر والانتظار بدأت دقات قلبه ترتفع خشي أن يرتفع ضغطه ويحدث بلبلةً في أنحاء البيت حاول تهدئة نفسه والجلوس والانتظار بهدوء دون داع لأي توتر، صَبَّ على رأسه قِدرًا من الماء فهذه هي المكالمة التي كان ينتظرها منذُ زَمَنٍ بعيدٍ ،، جلس على قدميه كالقرفصاء حاول أن يستجمع قواه وأن يخفف من حدة توتره

رنَ الهاتف فتح آدم عينيه من لهفة الانتظار أسرع مهرولاً أصبح يمشي على يديه وقدميه متيماً لسماع تلك الأخبار

فتح الخط : نعم بسرعة تكلمي ما الذي جرى ؟

عم الصمت بأرجاء المكان، بدأ العرق يتصبب منه كشلال ، وجهه أصبح شاحبا لم يعرف أن ينطق كلمة واحدة حتى بدأ يتلعثم في الكلام وقال: هل..... هل..... ؟

ردت السيدة: نعم، سيدي مع الأسف الشديد

-آآه، اللعنة عليكِ كيف حصل هذا ؟

ها، أجيبي لِمَ أقوم بِدفعِ تلكِ الأموالِ لَكَِ حتى حمقاء، غبية !

- سيدي لم أقصد فعل هذا أرجوكِ سامحني أتوسل إليكِ سيدي

-حسنا أيتها الغبية -آخ، آخ، آخ ماذا سنفعل الآن بغبائكِ _ اسمعي

جيذا إياكِ أن يعرف أحدا بالذي حصل وحاوولي تنظيف المكان جيذا لا أريد

أي فوضى مفهوم مثل هذه الأمور قد تدمر كل شيء سعيت له هل

تفهميني جيذا ؟.

_ نعم أفهمك سيدي أ...أفهمك أ...أفهمك

_ جميل، أسكتي تلك الفتاة الصغيرة وأحرصي أن يبقى فمها مغلقا فلو

تفوهت بكلمة واحدة سأقلع لها عينيها الجميلتين تلك، هل فهمتي ؟

_ ن...ن...ن...نعم نعم سيدي لقد فهمت جي.....

أغلق آدم الخط وهو غاضب وعيناه تقدحان شرارا ولهيبا من غباء

تلك السيدة والمصائب التي ستحل عليه إذا أحد علم بالذي حصل

دق الباب فقال آدم : تفضل

_آه، زوجي العزيز

_ زوجتي الجميلة وصلتِ أخيرا لم أتوقع قدومك يا لها من مفاجئة

جد جميلة

_ لقد اشتقت لك كثيرا

_ ليس بقدر اشتياقي لكِ زوجتي الغالية

_ أنا أشعر بأنك تعب، هل حصل شيء هل أصابك مكروه؟ قل لي
أخبرني

_ لا لا لا أبدا زوجتي الجميلة بعض المشاكل في العمل سأذهب لكي
أحلها بعد طعام الفطور

_ اوه، حسنا يا عزيزي لننزل للأسفل أنهم ينتظروننا على مائدة الطعام

ضحك آدم وقال : آه فهمت الآن لقد أوكلوا إليك مهمة جلبي للفطور

ضحكت ضحكات متقطعة (علمت بأن أمرها قد كُشِفَ) : لا ليس
الأمر كذلك ولكنهم لا يحبون أن يزعجوك فقد جاء نوح وحاول أن يحضرك
معه ولكن أنت تنسى نفسك في أعمال الشركة وتنغمس فيها وتنسى من
حولك، لو كان العمل امرأة لقتلتها بيدي هاتين، أشعر بالغيرة من عمك
ذاك الذي يسرقك مني

ابتسم آدم فأمسك بيدها وهمس في أذنها : لا تخافي فقلبي يبقى هنا
دائما لأن زوجتي أجمل وأفضل زوجة على الإطلاق

التف بيده حول كتفها مداعبا: هيا يا أميرتي لننزل

نزلا معا السلام وعم الضحك والتصفير أرجاء المكان فقد مَنَّ عليهم
والدهم أخيرا بالنزول لتناول معهم طعام الفطور وتعالى الضحكات
الساخرة منها : لقد أكرمتنا بنزولك، لم نكن نعلم أنك كريم لهذا القدر،
اغمرتنا بلطفك وكرمك يا والدي العزيز، لو تأخرت قليلا كنا سنبعث لك
كتابا رسميا نناشد فيه عطوفتكم أن نستضيفكم على طعام الفطور، وإن

هذا الأمر لا ينقص من قدركم شيئا

فضحك أولاده بصوت واحد وسحب آدم الكرسي لزوجته وأجلسها وقال
لأولاده : هيا ليجلس الجميع

جلس نوح بجانب زوجته سيلفيا

جلس رسلان بجانب زوجته صوفي

جلس كنان بجانب زوجته روز

كانت هذه الطاولة تتبادل الضحكات كل صباح مرارا وتكرارا حتى إذ
مررت من عندهم لوهلة لظننت أن بحياتهم كلها لم يتعرضوا لأي مشاكل،
عائلة تحمل جميع أنواع السعادة ولكن هل من المعقول أن هذه السعادة
بلا ثمن أو مقابل ؟

لكل شيء في هذه الحياة ثمن وثمر السعادة في أيامنا باهظٌ جدا

شاعت لحظة صمت في أرجاء الغرفة وسيطرت الابتسامات على
المجلس، نظر آدم وألتفت يمنا ويسرة وقال: أين مرسال ؟

نظر الجميع إلى سيلفيا ونوح منتظرين منهم الإجابة، تبادلوا النظرات
المهمومة فنطق نوح بصوت خافت يملؤه الحزن: ليس هنالك داع بأن
يأكل معنا وضعنا له فطورا خاصا به وأرسلناه مع الخادمة

رفع آدم حاجبه وقال لأبنه: هو من طلب ذلك أم هي أوامرك ؟

تصاعد التوتر أرجاء الغرفة وأبتدأ الأخذ والرد والتبرير وبدأ الحوار
يدخل منحني النقاش الحاد رويدا رويدا تعالت الأصوات وأعتقد أن
المنغصات بدأت تدخل من هنا وتلعب دورا جيدا في تعكير صفو تلك

الأسرة التي كنا نقول عنها العائلة السعيدة التي لا يشوبها حزن إطلاقاً

قال آدم بصوت مرتفع _ وهو كان دائماً يصرع أهل البيت بالمثلاليات الرنانة والمبادئ الإنسانية وحقوق الإنسان والكماليات الأخلاقية والقواعد المجتمعية المنضبطة وأصول العيش السليم ويحاول يبرز لأولاده دوماً بأنه الشخص الذي لا يخطأ أبداً ويحاول الحفاظ على أولاده من عادات المجتمع السيئة والانحلال الأخلاقي الذي وصل إليه بعض الناس وكان دائماً ما يأمر أولاده بالتصرف الراقى والحضاري والأهم من ذلك كلهالرحمة

_ هذا ولدك والوضع الذي هو عليه ليس ذنبه لا أعتقد أن أحداً يريد أن يولد هكذا، يجب أن تتعامل معه بشكل أفضل من هذا بكثير، يا بني لا تكن أنت والحياة ضده يكتفيه الذي لديه لا أحد يتمنى أن يكون مكانه لا أحد يتمنى أن يعيش معاناته، تعامل معه برحمة قليلاً لا تشعره بأنك تكرهه وتكره وجوده بهذه الحياة

رد نوح بكل هدوء : حسنا يا والدي سأحاول

فنظر آدم إلى سيلفيا فطأطأت رأسها بسرعة ولكن من يدري هل طأطأت رأسها خجلاً أم حزناً على حال ولدها أم هناك شيئاً تعرفه وتخشى البوح به

من يدري ربما هموم الحياة وربما عندما يزداد الحمل على المرء لن يعرف التحكم بردود فعله المثيرة للشك قال آدم ضاحكاً ساخراً : أسأل الله ألا يوقع أحداً بلسانكم، تأخرنا قليلاً سنصبح اليوم عنوان السهرة ليلاً

بدأت علامات الاستغراب بادية على وجه آدم ولكن لم تلبث طويلاً فسرعان ما حاول رسلان تهدئة الوضع قائلاً : ما كُله هذا التوتر لنهدأ قليلاً

حسنا يا والدي نوح عرف خطأه واعتقد أقتنع بكلامك أليس ذلك صحيحا يا نوح ؟

_ نعم، نعم بالتأكيد يا أخي

_ اهدأ يا زوجي لقد حُل الأمر يجب ألا نعكر صفو أسرتنا من أجل إهمال صغير يمكن أن يُصلح نحو الأفضل بمجرد نقاش بسيط لا داع أن يكبر كل هذا الحد كما فعلتم

_ حسنا يا زوجتي أنتِ على حق

_ هيا يا ولدي قَبِّل يد والدك وأعتذر منه على هذا الإهمال الذي حدث اليوم وأخبره بأنه لم ولن يتكرر أبدا فمرسال هو أبنا

وحفيد هذه العائلة ووريثها الوحيد _ كانت قد قالتها ليس بمحض عفوية مطلقة بل تقصد منها رمي كلام على زوجات أبناها _

وكانت قد قالتها باستهزاء شديد أشعرت كل واحدة منهن بالإهانة لأنهن لم ينجبن بعد وعلى محض الخصوص روز زوجة الابن الأكبر كنان

وعندما تفوهت بآخر جملة حدقن ببعضهن البعض و عم الصمت إلى حين قررت روز أن تأخذ على خاطرها وتقول : شكرا على المأدبة لقد شبت وتوجهت إلى غرفتها، نظر كنان إلى زوجته أحس أنها تضايقت بما قالته والدته _ ولكن هو يعلم بأنها على حق نوعا ما فيما قالته وهي لا تقصد ذلك ولكن هي تحاول إيصال فكرة أننا تأخرنا في إنجاب طفل ونحن بالفعل تأخرنا لأننا متزوجون منذ أكثر من ثماني سنوات ولم نرزق بطفل حتى هذه اللحظة _ هذا ما قاله كنان بعد ما لحق بزوجه إلى غرفتها وحاول

مواساتها

بعدها ذهبت روز قامت الأخرى وفي عينيها لمعة من الحزن وكسر
الخاطر، فقام زوجها معها ليطيب خاطرها ويخفف من ثقل وقع الكلمات
عليها

نظر آدم إلى زوجته نظرة متحسرة مستاءة من الذي قيل منذ قليل
وصعد غضبان أسفا عليها

بدأت تتمتم سيلين : أخ آدم!

لحقت بزوجها وقالت له : واه ! ما الذي جرى ؟

أمسك آدم ذراع زوجته ونظر إليها مخاطبا : نحن كبار هذه التصرفات
لا تليق بك أبدا

وعند انتهائه من قول جملمته أفلت ذراعها وأعطاهها دفعة صغيرة_
كانت ليس من باب التخويف أو الضرب بل من باب العتاب على تصرفها
الطائش في الأسفل _ ما الذي جنيته من قولك هذا في الأسفل ؟ ها ؟ قولي،
دخلنا بمشكلة مرسال قلت : "واو" ما الذي جرى تعقّلت وهدّأت الوضع
وجعلت الموضوع جدُ بسيط ، وأدهشتِ الجميع كيف سيطرتي بعقلانية
على الخلاف ولكن لا بالنهاية كنتِ تحضرين قنبلة في وجهنا ليس لديك
متسع من الوقت لتضيعيه على مرسال ومشاكله لديك همٌّ أكبر بذلك بكثير
أولادك وزوجاتهم و لِمَ لم ينجبوا بعد؟ آآه آآه أسأل الله لك
الهداية فقط

التفت آدم إلى الخلف وبدأ بحك مؤخرة رأسه بدأ يتأفف ويضرب بيده
اليسرى على فخذة قدمه اليسرى ويرفع رأسه للسما وتناوب يده اليمنى
بين حك مؤخرة رأسه وبين حك الترقوة وأسفل الترقوة

نظرت إليه وكانت نظرتها تحكي ما يجول في خاطرها : كفاك دراما
ويقول عني هذه التصرفات لا تليق بي لينظر إلى نفسه أولا قلنا لهما
كلمتين أصبح يلطم مثل المطلقات _ وأدلت شفيتها السفلية ورفعت حاجبا
وأنزلت حاجبا وأعطته وضعية المشمئز من الذي يشاهده وانفعلت في
وجهه : على رسلك يا ملك الغابة قلت لهن كلمة لم أقتلهن بعد !، ما شاء
الله عليهن يتنفسن ويأكلن ويشربن وينمن

فأغلقت فمها وأدخلت شفيتها للداخل وابتسمت عيناها ووضعت
يدها على فمها وأعطت ضحكات متقطعة من عند لسان المزمار وقالت :
لكنهن لم ينجبن، لم تتمالك نفسها وضحكت ضحكة عالية أسمعت البيت
بأكمله _ حسنا إن لم يقمن بالأكل والشرب والنوم بعد الذي قلته فأعترف
هذا خطأي ولكن الأنج..(ضحكات متكررة) ...الآن (لم تستطع تمالك
نفسها)...الإنجاب أنه ليس مني أقسم لك بهذا، أنه خطأ الشركة المنتجة
(والدهم) أنا لا ذنب لي

لم تتوقف سيلين عن الضحك أبدا حتى مع نظرات آدم المليئة
بالدهشة، وقف آدم صامدا مستغربا من ضحكات زوجته

نظر آدم إليها متحسرا : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هل
أنتهيتي ؟

ردت ساخرة وعينيها تملؤهما الدموع : أجل أجل انتهيت

_ لها لتكلم بجدية قليلا

_ حسنا

لِمَ قَلتِ ذلك الكلام لهن ؟

_ أرحمني قليلا، أتعرف شيئا؟

_ ماذا ؟

_ نحن أناس نحب النفاق والكلام المعسول ونحب أن نسمع ما نريد سماعه وليس الحقيقة والواقع، وأن أخبرتهم بالحقيقة في وجههم تصح أنت الشخص السيئ هنا، أنت تريد مني أن أقول لها : يا ابنتي الجميلة أطل الله بعمرك ومدك بالصحة أعلم أنه من المبكر السؤال عن الموضوع متى هكذا ستنجبين لنا طفلا ليحمل اسم عائلتنا ؟، وترد علي : قريبا _ ياذن الله_

_ آهاممم دقيقة دقيقة أنتِ منذ متى متزوجة من ولدي؟

_ منذ ثماني سنوات يا عمتي

_ آه أعتذر منك يا ابنتي يالا وقاحتي ماذا في الأمر أنك لم تنجبي منذ ثماني سنوات فقط! أخشى أن لأكون ضايقتك بكلامي هذا

ثم أخذها بأحضاني وأربت على كتفيها وأقول لها : سامحيني المهم أن تنجبيه قبل أن أموت...رجائي الحار لك !
رد آدم عليها : أأنتهيتي من سخريتك ؟

_ هذه ليست سخرية بل واقع وأنت تريدني أن أتقبل الوضع وأجملهُ كما تفعل أنت وأولادك ولكن أعتذر منك لا أستطيع أن أنتظر أكثر من هذا أريد حفيدا

انفعل آدم مقاطعا إياها : ومرسال أليس حفيدك ؟

نظرت إليه نظرات قاسية منفعة : لا ليس

_ كيف لا تعدينه حفيدك ؟

أحست بتأنيب الضمير وأن زوجها قد انزعج من كلامها وبدأت تبرر ما تعنيه : أنا لا أقصد هذا

_ إذن ما الذي تقصدينه ؟

أجلست زوجها على الأريكة و قالت : أنظر أنا لا أتكلم هكذا لأني أكرهه _ لا سمح الله _ أو أكن له السوء _ حاشا لله أن أفعل ذلك _

ولكنك يا زوجي تفكر باليوم وإذا قررت تشغيل عقلك قليلا تفكر في ماذا سيحصل في الغد فقط لا غير ولا تحب أن تتعب نفسك بما سيحصل غدا وتقول هم اليوم لليوم وهم الغد للغد أليس كلامي صحيحا ؟

_ بلى معك حق كلامك صحيح

_ لذلك أنا أريد حفيدا من كل ابن بأسرع وقت ممكن

_ ولكن لماذا ؟

_ ألم تر حينما قلت الوريث الوحيد كيف نظرات أبنائك وزوجاتهم

_ لم أفهم ؟ ما بها

_ هه، يا لطيفة قلبك يا زوجي العزيز

_ اشرح لي لماذا تفكرين ؟

_ بعد عمرٍ طويل سيكون مرسال في خطر

_ لمَ سيكون في خطر ؟

_ وأبناؤك وزوجاتهم يعرفون هذا حقا المعرفة لذلك فهو الوريث

الوحيد لهذه العائلة وستذهب كل أملاكك إليه

_ يجب أن نتصرف حيال هذا الأمر وإلا

نظر زوجها إليها وهو يعرف ما ستقوله ولكن لا يريد أن ينطقها ولا يريد أن يتقبل أو يعترف بواقع وسيناريو يُحتمل حدوثه لا بل هو الذي سيحدث لا محالة

فأعطى زوجته نظرة الخوف والتوسل بأن تقول الحقيقة ولكن برفق لأنه لن يتحمل شيئاً كهذا

_ وإلا ماذا ؟

أمسكته من تحت كتفيه وبدأت تهز به وتقول : إذا بقيت هكذا سيقتل حفيدك فإذا لم يقتل في هذا العام سيقتل بالعام الذي بعده

أخفضت صوتها واقتربت منه وهمست في أذنه لن ينتظرك أبناؤك لتعطي الثروة لشخص (هنا سحبت أنفاسها ولم تستطع إكمال جملتها)

ابتعدت قليلاً نظرت للأعلى وللأسفل وعيون زوجها اغتالهم الحزن والأسى وبدأ يعض شفته السفلية ويحرك رأسه يمناً ويسرة ويصدر صوت القهر والألم، فلقد بدأ السيناريو يفتعل في رأسه

اقتربت منه زوجته وأمسكت يده : أعلم أن هذا مؤلم ولكنه واقع ونحن يجب أن نسمعه ونقوله بصوت مرتفع لكي لا نندم على ذلك ونقول كانت الحقيقة أمام أعيننا ولكن لم نرغب بمشاهدتها وسنكذب أعيننا مرارا وتكرارا

_ ولكن أيعقل أن يصبح أبناؤك قتلة من أجل المال ؟

اقتربت منه وضغطت على رأسه كي يستفيق من وهمه : أنت قلتها
للتو المال ...ل...م...ل...ل !!

هه.... الأخ يقتل أخاه من أجل قطعة أرض لا تساوي عشرات الآلاف،
قالت بصوت شجي منخفض : أتريدهم أن يشاهدوا أموالهم تسلب
من بين أيديه ومن ابن أخيهم !

يا للهول حتى لن يكون هنالك مجال للرحمة إذا كان هناك أمل أن
يعطفوا على أخيهم، ولكن للأسف الموضوع هنا مختلف تماما وتريد
الحقيقة أنا لا أعرف كيف لهذه اللحظة لم يصبه أي مكروه

سكنت قليلا وتوجهت ببؤبؤ عينها نحو اليسار وأغمضت جفن عينيها
السفلى للأعلى لترتكز وأدلت بشفتها السفلية للأمام وضمت العلوية للداخل
_ وكأن السفلية ابتلعت العلوية _ وقالت: امممم .. لربما لأنه صغير ...لالالا
أشارت بأصبعها للأعلى وهزت برأسها : لا لأن أن تقتله وهو صغير
أفضل بكثير من أن تقتله وهو كبير بكل بساطة طعام منتهي الصلاحية،
ملعقتان كفيلتان بقتله وتسجل الحالة وفاة بسبب التسمم وانتهى الملف
ونحن سنجلس نبيكي عليه فقط

أو...؟

_ ماذا، هيا أكلمي

_ أو يا زوجي العزيز

وأدارت ظهرها للخلف وابتسمت وهزت رأسها ونظرت للنافذة
بانكسار وقالت : أبناؤك بقي لديهم القليل من الأمل ولكن ليس بكثير، ولم

يفكروا بعد بهذا الأمر بسبب إصرارهم وانشغالهم الدائم على أن يأتيهم طفل وبأسرع وقت ممكن، ولأن مرسال لا يخرج للوسط كثيرا هذه الأيام ولصغر سنه ووضع الصبي هناك بعض التعاطف القليل منهم عليه وضعت يديها خلف ظهرها متنهدة : والله وحدة يعلم متى سينفذ ذلك التعاطف .

أمسك آدم قماش الأريكة وضغط عليه وشعر بأن عينيه ستقلعان من مكانهما، لم يلتفت أبدا ولم يفكر أبدا بهذا الموضوع من قبل وعرف أسباب غضب زوجته وبأنها على حق، حنى رأسه وقال : إذن ما رأيك أن أكتب وصيتي من الآن ؟

التفت إليه بسرعة وقالت له : إياك أن تفعل !

— لِمَ ؟

— ماذا ستكتب بها أخبرني

— سأكتب أن يُوزَّع الإرث بالتساوي على جميع أبنائي وأبناء أبنائي

ابتسمت له ساخرة : من أجل أن تذهب الأفعى الصفراء تلك زوجة كان إلى فرنسا أو إيطاليا أو أي مكان في العالم لمدة تسعة شهور ولربما عام كامل وترجع وتقول : كيف حالك عمي كيف حالك زوجة عمي ألا تريد أن تلقيا التحية على حفيدكما

— ستذهب فرنسا لكي تنجب ؟ هذا جميل حسنا لتذهب وسأتكفل

بدفع كل شيء ونحن هذا الذي نريده منذ البداية

صفعت سيلين جبينها بيد وشدت شعرها بالأخرى وقالت : كم أخا كان

لديك ؟

_ ليس لدي، لماذا تسألين وأنتِ تعرفين الجواب ؟

_ الآن تمعنت بالسبب

_ سبب ماذا ؟

_ والدتك استهلكت كل جينات الذكاء على إخوتك الذين ماتوا قبل أن

يولدوا وعندما حملت بك لسوء حظك والأبهي من ذلك يا لجمال حظي!

لم يتبق لديها شيء لتعطيك إياه، أنا سأذهب رأسي بدأ يؤلمني

وقف ليمسك ذراع زوجته ليمنعها من الذهاب بعد أن قال لها

اعذريني ولكن وقع الكلام أثر على عقلي قليلا

_ هذه ليست أول مرة ولكن حسنا سأجاريك

_ حسنا اشرحي لي رويدا رويدا ماذا سيحصل ؟ لِمَ ستذهب إلى

الخارج؟

_ حسنا : ستأتي كنتك العزيزة ملوحة لنا بوريث ولكن ليس من ابني

_ ماذا ؟ ستخونه !

_ أنا سأذهب من هنا أفضل للجميع لأنه إن كانت ستحصل جريمة

في هذا البيت ستكون أنت المقتول، ابتعد من أمامي سأحضر ورقة

_ لِمَ ؟

_ سأدلك على متجر يبيع الذكاء ولكنه مُهرب لا تخبر عنه أحدا

وأحرص بأن تذهب باكرا قبل أن تنفذ الكمية لديه لأني سأبعث زوجات

أبنائك إلى هناك أيضا لعل وعسى أن ينفعهم بشيء، فتشعر بأنك تخاطب

أناس مثلنا وليس معاز ولكن كلمة الحق تقال ينقصهن ذنب وسنأخذهن

للأحوال لنصدر لهن شهادة معتمدة بذلك، ولنوثق لهن ذلك الإنجاز الرائع

الذي ستفتخر به عائلتنا لسبعة أجيال قادمة

_ هل من الممكن أن تؤجلي سخريتك لوقت آخر ؟

_ ماذا سأفعل ف عقلك السميك لا يستجيب

_ حسنا، حسنا أكملني، أنا أعتذر

_ حسنا، ستذهب لأي بلد وتبني طفلا وعندما ترجع ويدها ذلك

الطفل تقول : كل شيء حصل بالصدفة_ وتضحك ضحكتها السخيفة تلك

وترفع لي يدها وتضعها على فمها وتمثل بأنها خجلة ورقيقة وبأنها تخجل

من تلك الأمور وهي لا تعرف بأن من رقتها سنضع شخيرها صوتا للمنبه في

الصباح وسنخبر الجيران بأن يرموا المنبه خاصتهم ليس لأننا سنهديهم واحدا

بصوتها لا بل لأن منبها واحدا لدينا بصوت شخيرها يكفي لحينا وللحي

المجاور أيضا بأكمله _ وبعد أن فقدنا الأمل رزقنا الله بطفل جميل وتسميه

على اسمك إذا كان فتى وعلى اسمي إن كانت فتاة، لكي نحبها ونستلطفها

وبهذه الحركة تثبت لنا كم تحبنا لدرجة أنها هي التي قررت وأصرت إصرارا

شديد أن تسمي الطفل على اسمنا، أتعرف ماذا سنفعل نحن هنا؟

_ ماذا ؟

_ سنذهب لطبيب ليزرع لنا قرونا كبيرة لأننا سنرخص ونغني لابن ليس

من دمنا، وبهذا تكون الأميرة روز نالت مرادها

_ حسنا ولكن إن فعلت ذلك، لن يهتموا مطلقا بمرسال وسيدعوه

وشأنه أليس كذلك؟

_ نعم لكي يدعوه وشأنه نخسر ثروتنا التي أمضينا أعواما بجمعها

ونعطيها لمجموعة لقطاع من الشارع والديهم لم يعترفوا بهم حتى

ولم يتحملوا مسؤوليتهم ورموهم بكل بساطة في الخارج إما أمام

مسجد أو كنيسة، هه... والأغلب من طيبة وصفاء قلوبهم يرمونهم في القمامة ولولا لطف الله وأنه يسخر لهم أحدا لينتشلهم من هناك لكانوا سحقوا مع القمامة

أتعلم شيئا ؟

_ ماذا ؟

_ بعد الذي قلته من الأرحم لهم أن يسحقوا مع القمامة

_ ماذا ؟ ما الذي تقولينه !

_ نعم لأن ذلك الطفل سيحمل خطيئة والديه طول عمره ، سيحمل

وزرا ليس وزره

سيلتصق مع اسمه ليس اسم والده ولا حتى والدته بل مسمى اللقيط، لن يعيش بهوية فقط!، بل هويته والرمز التعريفي له والتصنيف العائلي ومن أي قبيلة سيكون الجواب لجميع الأسئلة تلك : اللقطاء

سيكون ضحية بعنوان : أبناء لحظة النزوة وفي مسمى آخر أبناء لحظة

الثقة فالأفضل ألا يعيش في مجتمع الاختلاف فيه منبوذ

أنزل آدم عينيه وقال : أعتقد أن كلامك منطقي نوعا ما، ولكن لربما الله كتب له هذه الحياة ليصبح من اختلافه شيئا كبيرا وعظيما ويصنع من اختلافه علامة فارقة ويصبح ملهما لكثير من الناس وينجح في جميع جوانب الحياة

_ لكل منا وجهة نظر منطقية واختيار الله دائما هو الأفضل بكل تأكيد

_ والآن ماذا سنفعل حيال ذلك الأمر ؟

ابتسمت الابتسامة الخبيثة المليئة بالنظرات الحادة والمكر وقالت :

سنفعل...

أصعب

شعور

في هذا

العالم

شعور

الخوف

أن تقاتل

من أجل

الطمأنينة

شيء

مؤسف

حقا !!

الجزء الثالث

ونجد في هذا العالم شخصا واحدا فقط يمنحنا الطمأنينة
يخبئنا بين ذراعيه يحملنا على أكتافه ويثبتنا بأيديه،
ويغطينا بردائه
كأن لا يخيفنا أحد يحارب العالم للهدف الأسمى لديه :
وهو أن نكون فقط بخيرا!!
شكرا لوجودكم فأنتم أبطال قوتنا ونحن ضحاياه

_أخي سالم ما الذي جرى ؟

رأت هديل شقيقها الصغير مربطاً على حافة السرير لا يستطيع الحراك
رأسه يسيل دماً ملثماً الفم يبكي من قهره ومن الظلم الذي تعرض له ،
اقتربت منه بهدوء لتخفف عنه الألم الذي عاشه رأت عجزاً فوق عجزه
ينظر إليها ويقول : لِمَ يحدث كل هذا لي أنا لم أفعل شيئاً ؟ ليس ذنبي أنني
ولدت هكذا

بدأت هديل تمسح الدماء عن رأس أخيها والدمع يسيل من عينيها
وتحاول أن تفك وثاقه وكان سالم ينظر للأسفل بخجل ، بالبداية لم تفهم
هديل سبب خجله ، ظنت أنها نظرات انكسار لا بل هي أكثر من ذلك إنها
نظرات عجز وتوسل، بعد ما انتهت من فك وجهه وبطنه توجهت بسرعة
لفك قدميه، وهنا عرفت سبب هذا الخجل

لقد تبول على نفسه وقالت في نفسها متحسرة : كم تحملت يا أخي؟
كم تعاني لاختلافك؟

قبلت جبينه وضمته إلى صدرها : لا تقلق ها أنا معك

دخلت هذه الكلمات إلى صميم قلبه نظر إليها وبكى بكاءً شديداً وهي
تمسح على رأسه ولم تكثر حتى لرائحة البول ولا الدماء التي كانت تملأ
وجهه ورأسه

وفي لحظة أخوية عاطفية وهو يتخلل رأسه بين ذراعي أخته التي تكبره
بخمسة أعوام أخذ
شهيقاً عميقاً :

ضميني يا أختي ضمي ضمي ضمي

في صدري دفء وحنان

في قلبي إن غابت أُمي

دفء الام

ضميني يا أختي ضمي

إن فاضت من عيني دَمعة

غسلت من قلبي أحزاني

والبسمة في فمك الشمعة

غمرت قلبي باطمئنان، نورا وأمان

حبا و حنان

نورا و امان

نورا

حبا وحنان

نظرت إلى أخيها لم تعد تعرف هل تبكي على حاله أم تفرح بجمال
صوته؟_ وجمال كلمات تلك الشارة التي غناها التي تركت أثرا لا ينسى في

قلبها_ الغير متوقع من طفل يبلغ من العمر ثمانية أعوام

_ سالم عزيزي يا لجمال صوتك لم أسمع مثله في حياتي !

_ هذه من أجمل شارات الأطفال التي أحبها

_ لِمَ يا عزيزي ؟

_ لأنها تذكرني بك وتذكرني أن هناك من يحبني في هذا العالم

_ لكننا جميعنا نحبك

_ لا أمي تكرهني، وتكرهني جدا حتى هي من فعلت بي هذا

_ ربما أغضبته بشيء ما يا عزيزي لذلك فعلت ذلك

فسكتت قليلا لأنها قالت تلك الكلمات لتواسي نفسها وأخاها من سوء فعل والدتها حاولت أن تجد مبررا لتطفئ الحزن الذي اشتعل في قلب أخيها وتحاول أن تقول له أن ليس هناك أمًا لا تحب طفلها

فتابعت قائلة : ما الذي فعلته هيا أخبرني ؟

نظر إلى زجاج الكأس المكسور وقال لها : أعدت لي الحليب وأنا رفضت أن أشربه فصفعتني وقالت لي إن لم تشربه سأربطك هنا حتى الصباح ولن تأكل ولن تشرب

_ متى حدث هذا ؟

_ في الأمس بعد أن ذهبت وعزيز للنوم

_ حسنا أكمل ما الذي جرى ؟

_ رفضت أن أشرب فكسرت الكأس على رأسي وقامت بربطني وركلتني في بطني ولم أستطع الذهاب إلى الحمام ف ف

أنزل رأسه خجلا وبعينيه دمعة جاهزة للنزول وهي تحمل آلاما جما

_ هيا قم سأخذك لكي تستحم

ارتجفت شفته السفلية وانسحب من بين يدي أخته قائلاً : كلا... كلا...
...كلا أخاف أن تضربني

_ لا تخف سأقول لها أنني أغلقت عليك الباب لأنك أصررت أن تخرج
إلى الحديقة وأنا رفضت لكي لا تضيع مثل ذلك اليوم

_ ولكن هذا كذب، والكذب حرام لا يجوز قول هذا

_ ولا يجوز أيضاً أن تربطك وتكسر رأسك بالكأس هكذا، فاسكت لأن
الله يعلم لماذا سأكذب ؛ لأني لا أريد أن تضربك ولا أريد أن تكمل ما لم
تنهه البارحة

لبث ساكنا وقال : حسنا بعد ذلك ؟

فكرت هديل بماذا ستفعل حيال إخراجه من الغرفة نظرت إلى جسم
سليم فإنه صغير جدا يمكن لسيدة أن تضعه في حقيبة يدها ولا أحد يشعر
به أبدا

_ سأذهب وأحضر حقيبة المدرسة وسأضعك فيها وإياك أن تتحرك أو
أن تصدر صوتا

وسأدخل وأقول لأمي أنني أريد أن أغسلها بعد ما نغلق باب الغرفة
الخاصة بك لتتأكد أنها لن تدخل وتكتشف خطتنا، الآن سأذهب وأضع لك
الملابس في الحمام فكن حذرا

_ اتفقنا

نجحت خطة هديل بإخراج أخيها لكي يستحم وينظف نفسه من البول
والدماء اللذين رافقاه طوال الليل فأغلقت الباب وساعدته كي يستحم وَيُغَيِّرُ

ملابسه ولكن لم تفكر كيف سترجعه بعد ما أصبحت الحقيبة متسخة ولن تستطيع إرجاعه بها لأنها إن خرجت ستكتشفها والدتها أنها لم تقم حقا بغسل حقيبتها بل كذبت عليها وستعاقب سالم على ذلك

سمعت صوت الباب يفتح، فتحت باب المرحاض خلسة لترى من الذي خرج، شاهدت والدتها تحمل سلة الغسيل وتريد أن تنشر الغسيل، تنفست هديل تنفس الصعداء وقالت: هذه فرصتنا

حملت سالم وركضت به إلى القبو_ أعني إلى غرفته_ وفتحت الباب وغطت أختها كي لا يبرد وأغلقت الباب وذهبت وغسلت الحقيبة بسرعة قبل أن تدخل والدتها وأخرجتها لتنشرها،

قالت والدتها لها : كل هذا تغسلين حقيبتك؟

_ تمتمت هديل وقالت : ك..كانت متسخة كثيرا

_ لِمَ لم تجعليني أنا أغسلها بدلا عنك ؟

ابتسمت ابتسامة عريضة : لا أريد أن أتعبك

نظرت إليها باستهجان وعلامات الاستغراب بادية على وجهها : ما هذا البر المفاجئ ؟

تَسَخَّبت هديل من عند والدتها لكي لا تفتح معها تحقيق عما هو سبب هذه الأخلاق العالية التي أطلت عليها على غير العادة

توجهت لأختها وأجلسته على الكرسي وغطته لكي لا يبرد ويصاب بالزكام وقالت له : صوتك جميل لِمَ أخفيتني عني ؟

نظر إليها بخجل: خفت بألا يعجبك صوتي لذلك لم أقل

قالت له باستهجان كبير : بالطبع سيعجبني، ودهشت لسماعه جدا،
اسمع يا صغيري لا تخف مني دائما سأقف إلى جانبك وأساندك دوما
_ أعرِف

_صغيري، ماذا تحلم بأن تصبح عندما تكبر؟

_ قال لها بخجل : أريد أن أصبح مغنيا ومنشدا في قناة " سبيستون "
_ لِمَ؟

_ فرد ببراءة مطلقة: لأني أحب العم طارق العربي ورشا رزق كثيرا
_ ولكنك لم تشاهدهما أبدا ولم تقابلهم بحياتك قط

ضم قدميه باستحياء إلى صدره : نعم....نعم ولكن صوتهما جد جميل
_ الآن فهمت لِمَ سألتني آخر مرة من يغني شارة ذلك " الفيلم "
وقلت لي أنهما يغنيان شارة فيلمك المفضل ما هو اسمه؟ هيا أخبرني

_ لا لن أقول

_هيا أرجوك

_ لا لا لا قلت لك، أنت تزعجيني هكذا

_ حسنا كما تشاء

فقد كان يريد أن يحتفظ بتلك الشارة لنفسه كانت هي أمله الوحيد
في هذه الحياة وكان سبب عدم بوحه أن صوتيهما يشكلان الدفاء والأمل
بأن الحياة ستصبح أفضل، وقارب النجاة الوحيد له لإيصاله إلى شط الآمان
عم السكوت للحظات وقالت له : ألا تود الرجوع إلى المدرسة ؟

_ أريد وبشدة ولكن أمني ترفض ذلك

_ هي رفضت لأنك آخر مرة كنت تبكي عندما رجعت من المدرسة

_ لأنهم كانوا يستهزئون بي ويقولون عني كلاما مريعا

_ أعرف ذلك ولكن أنا معك وسأحاول أن أبقى بجانبك طيلة الوقت

فلا تقلق أريد أن تتعلم اللغة العربية جيدا وتتقنها بشكل جميل لكي

تحقق حلمك في العمل والغناء في ذلك المكان لذا أريد منك ألا تستمع

لكلام أولئك الناس وأن تسعى لتحقيق حلمك وأن تهزم الجميع بنجاحك

وبعزيمتك وإرادتك

تحمس جدا وقال : حسنا أريد ذلك

_ سأحاول إقناع والدتنا بهذا

ذهبت هديل لأمها في المطبخ ورأتها منهمكة في الطبخ على غير عاداتها

قالت لها : ما بك يا أماه ؟

ما كل هذه العجلة ؟

_ خالتك قادمة إلينا، هي وزوجها

_ هل لديكِ أخت غير والدة عزيز التي توفيت ؟

_ لدي أخت في الرضاعة، والدك الموصون لم يأت بعد!

_ لا تقلقي سيأتي ربما تأخر في زحمة السير في المدينة المجاورة

_ لو سمع كلامي وأسكننا في تلك المدينة لعلنا نصبح من البشر

ونتحضر قليلا ولا ندفع لكِ أجرة الحافلة الذي سيأتي ويأخذك عندما تبدأ

طأطأت هديل رأسها : أمي، إذ يكلفك أجرة الحافلة سأذهب مشيا
على الأقدام

_ لا يا عزيزتي بالطبع لن أدعك تمشين مسافة ثلاثة كيلوات مشيا على
قدميك لكي تصلي لتلك المدرسة اللعينة
ابتسمت وقالت : شكرا لك يا أمي

جاء جنيد زوج حنان أخيرا للبيت وقال : كيف حالكم ؟

ردت حنان : بخير ولله الحمد، هيا بدل ملابسك لن يبقى الكثير لتصل
أختي وزوجها إلى هنا
_ حسنا يا زوجتي

قالت هديل : سأذهب لأحضر لأبي ملابسه

نظرت إليها حنان بدهشة فنظرت لجنيد وقالت : البر المفاجئ هذا
أنا قلقة منه

ابتسم جنيد ممزحا حنان : ابنتي الجميلة دائما بارة بوالديها أليس
ذلك صحيحا يا صغيرتي؟

_ بكل تأكيد يا والدي العزيز

ذهبت إلى غرفة أبيها ولحق والدها بها خلصة : هيا أخبرني ماذا
هناك؟ أنا قلت هذا لكي لا تشك أمك بك وأنا أعلم أنك تريد شيئا تكلمي
ما الذي جرى؟

أخبرته بما حصل وكيف استطاعت إخراج سالم من الغرفة

ظل الأب مندهشا لما سمعه : كادت أن تقتله من أجل كأس حليب ؟
ومنذ متى تحضر لسالم وتهتم به وتحضر له الحلي.....

سكت قليلا ومالك أعصابه : أريد ألا تخبري والدتك أنك قلت ذلك لي
وأنا سأصرف حيال هذا الأمر

_ أبي هل ستوبخ أمني؟ أرجوك لا تفعل ستظن أن سالم قد أخبرك
وتضربه مجددا

_ لا لا، لاتقلقي

_ سأذهب لكي أرى سالم ولن أسمح لوالدتك أن تنفذ خطتها أبدا

_ خطتها؟ ما الذي تعنيه؟

_ لا شيء لا شيء، اذهبي وساعدي والدتك هيا

بدأت الوالدة وابنتها تحضير المائدة فذهب الأب لكي يرى ابنه ويرى
أحواله، فطرق الباب ودخل أبتسم سالم لرؤيته، دخل جنيد وقبّل سالم من
رأسه _ كيف حالك يا ولدي؟

رد سالم : بخير يا والدي

كيف هي والدتك أتهتم بك؟

نظر سالم إلى الأسفل وفكر قليلا وقال : نعم ..نعم أنها تعاملني بشكل
جميل جدا

أحس والده بغصة كبيرة لما سمعه، أحس أن وراء هذه الكلمات،

الخوف وانعدام الأمان حتى أن ولده لايملك الشجاعة ليقول همه وقال : يا بني لقد عرفت كل شيء لا تخف فأنا معك

نظر سالم إليه نظرت المستنجد : أحقا يا أبي ؟

_ لا تخف يا بني فأنا معك

هيا قل لي ماذا حدث؟ لِمَ لم تشرب كأس الحليب ؟

_تفضلي يا أختي العزيزة، أهلا وسهلا زوج أختي

_اشتقنا لكم كثيرا

_ ونحن أيضا لم تتصوري كم فرحنا بزيارتك هذه ،هيا أجلسي على

المائدة

بدأت حنان بالنداء على ابنتها : هيا يا هديل تقدمي لتسلمي على

خالتك وزوجها

_ ها أنا قادمة يا أمي

ركضت هديل لقبو سالم لتنادي جنيد وسالم : هيا أسرعنا لقد وصلت

خالتي و زوجها سأذهب لكي القي التحية عليهما

رد جنيد : ها نحن قادمان

جاء جنيد وألقى التحية على أخت زوجته وزوجها وجلس على المائدة

هو وزوجته والضيفين وأحضرت هديل عزيزا وأجلسته بمكانه المخصص وكان سالم خجلا من الدخول أو بالأحرى كان خائفا من أن تجرحه أمه بكلامٍ

قاسٍ أمام خالته وزوج خالته وظلت هديل تدفعه للدخول

كانت حنان وأختها يتضحان بصوت عال وجنيد ينظر بهدوء ويتربص

بصمت

_ م..م.....مرحبا خالتي

غمرت أخت حنان الدهشة وتجمدت ولم تقل أي كلمة

نظرت حنان بدهشة وصمت وشعرت أن حلقتها هبت به عاصفة
رملية، تعرقت كثيرا وأحمر خذاها وشعرت بأن قلبها كالمصعد ارتجفت
يداها وعضت على شفتيها أحست بالإحراج أمام أختها وزوجها، أصابته
بعينها الغاضبة وأعطت له إشارة بأن يرجع لقبوه، شعر سالم بالخوف وبدأ
بالتراجع خطوة بخطوة للوراء

قال جنيد مقاطعا التوتر الذي سيطر على الجو : تعال يا ولدي أجلس

معنا

قالت أخت حنان مستغربة : ولدي ؟؟

هل ... هل هذا ابنك ؟

طأطأت حنان رأسها بخجل ولم تجب

رد جنيد بصوت عالٍ : نعم هذا ولدنا

_ لِمَ لم تخبرانا أن لديكم طفلا

_ لم يخطر ببالنا أنه سيشكل لديكما فارقا أو مشكلة، هل لديكما أي

مشكلة !

_ لا لا بكل تأكيد لا، أليس ذلك يا زوجي

قال بتوتر ودهشة وبدأ يتمتم في الكلام : ن...ن...نعم بكل تأكيد

_ جميل هيا يا ولدي هل أسكب لك الحساء ؟

رد بخجل وخوف من أمه : كما تشاء يا أبي

ظلت حنان صامته ولم تقل أي كلمة منذ دخول سالم ولكن النار التي بداخل ذلك البركان قد انفجرت بعد ما بقيت ساكنة حوالي ربع ساعة

ولم تحتمل أن تصبر قليلا حتى يرحل الضيفان وقفت غاضية وطرقت بيديها على الطاولة وقالت لجنيد : لِمَ أحضرته إلى هنا كيف تخرجني بمنظرة ذاك بماذا تتباهى ها أيعجبك أنه آآآآه اللعنة عليك أيها الصغير التافه

نظر الجميع إليها باستغراب ونظر الزوج إلى زوجته على أنه من الأفضل أن نذهب لندعهم يحلون مشاكلهم بينهم وألا نتدخل لكي لا نزيد حدة الموضوع

قال زوج أختها : من الأفضل أن نذهب كان طعاما شهيا حقا شكرا لحسن الضيافة

فردَّ جنيد : كلا أبقيا مكانكما، ماذا بك يا حنان ليس ذنبه، لِمَ تعاملينه بهذا الشكل؟ تشعرينه أنه من اختار هذه الحياة الصعبة

وتعالت الأصوات بينهما وحاول الضيفان تهدئة الوضع فقالوا لها : ليس هناك داع للحرج لأن الأمر جد طبيعي وهذا الشيء هو قدر وقسمة من الله وليس بيدنا غير أن نقول الحمدلله على كل حال وأن نرضى بقسمتنا ونصيينا ونسأل العوض في الآخرة

لم تكثرث حنان للوعظ واستمرت بصراخها على جنيد وطلبت منه ألا يدخل ذلك الشيء (سام) على الضيوف مرة أخرى

رفض جنيد ذلك الطلب وأستمر النقاش والنزاع وهديل تحاول أن تهدأ روع والدتها ولكنه لم تستطع
وفي هذه اللحظة انفجر بركان لم يكن أحدا يتوقعه

قال سالم صارخا : هذا يكفي يكفييكفي، لماذا تكرهيني ؟ لماذا تريدني موتي؟ لماذا تريدني إذلالي؟ لماذا كل هذا الحقد أنا لم أفعل لك أي شيء، جعلت القبو منزلي ومأكلي ومشري وأنتِ لديكِ غرفة فارغة يمكنكِ وضعي فيها ولكن لا تريدني، وتقولين لي ستوسخها لأنك شخص مقرف و تقولين إنك تشمئز من رائحتي، بالتأكيد لأنك ترفضين أن أستحم إلا مرة في الشهر وو...و..(رجف حلقة وشفته، احمرت وجنتاه رجفت واهتزت قدماه لم يستطع تمالك نفسه لم يستطع نطق الكلام بشكل جيد من الخوف وعواقب الكلام الذي قاله والذي سيقوله ومن جرأة تصرف لم يتوقعها أحد، شعر بالضعف وقلة الحيلة) في تلك المرة تجعليني أرثدي نفس الملابس ولا أغيرها لأنك لاتريدني غسلها

ذهل الجميع من ذلك القول، جنيد أحس بقهرٍ شديد على ولده ونزلت دمعه غيظاً وألماً، وعض شفته اليسرى ووضع يده على قلبه

لم تصدق أختها ما سمعته ونظرت إليها باستحقار شديد وهمست معاتبه إياها : هل تجردتي من الإنسانية إلى هذا الحد ؟

_ والبارحة ضربتني لأني رفضت أن أشرب كأس الحليب الذي تبول فيه الكلب وأنتِ من أجبرته على ذلك وتريدني مني أن أشربه لأنك تكرهيني

وتكرهين وجودي تشعرينني أنني عبء عليكِ وتتمنين موتي ولا تحبينني،
أأست ابنك ؟

امتلاً قلبه خوفاً وامتألت كلماته قهراً فما أقسى البشر وما أصعبها من
حياة !

أذرفت عينيه بالدموع ولكن مع الأسف لم تكن هناك يدان لمسحها!

{خانتك عيناك يا سالم كما فعلت يديك}

الجزء الرابع

الشخص الذي كان يدعي حبنا طيلة الوقت والذي كنا نقول عنه :

لن يفعل بنا ذلك أبدا، هو ذات الشخص الذي سيطعنك

في منتصف قلبك في نهاية المطاف!

جاءت سارة _ الخادمة_ لتغير أغطية السرير فتحت النوافذ لتسترق
 الغرفة بعضا من ضوء الشمس مع فتحها لنوافذ، فتَح عينيه فدخل ضوء
 الشمس إليهما _ بدأ بفتحهما رويدا رويدا وكان يقول لنفسه : أما زلت على
 قيد الحياة ؟ ألم أمت بعد ؟

_ سيدي، أتريد كأس الحليب ؟

_ لا أريد شيئا أغربي عن وجهي

_ حسنا، أتريد شيئا ؟

_ أريد أن أبقى وحدي ولا يزعجني أحد

_ اوه، حسنا لقد اشترى لك السيد نوح معطفا جميلا

_ لا أريد منه شيئا خذيه من هنا حالا

_ كما تريد سيدي

عاد نوح إلى بيته سأل سارة عن حاله قالت له : كالعادة مزاجه سيء
 ولا يريد أي شيء

تأفف نوح وضرب يده على رأسه : ماذا سأفعل مع ذلك الولد

رأته سيلفيا في الردهة حائرا مشغول البال

_ ماذا بك يا زوجي ؟

_ مرسالمرسال.....مرسال

_ ما به ؟

_ لا يريد شيء ويريد أن يبقى وحيدا ولا يريد رؤية أحد ولا أستطيع

أن أتعامل معه أحاول الاقتراب منه ولكنه يرفض

_ لأنك لا تقدم الشيء بنفسك تجعل الخدم وكل من في البيت يقدم له الأشياء التي تجلبها، لم لا تقدمها بنفسك ما المشكلة ؟

_ لا أستطيع رؤيته بتلك الحالة

_ يبقى في النهاية ولدك وفلذة كبديك

_ سأقول لك بكل صراحة لا أشعر بمشاعر الأبوة تجاهه، أشعر بالأحراج من وضعه

نظرت إليه بغضب وأمسكت ذراعه بقوة : اخفض صوتك إياك أن يسمعك مرسال وحذاري أن يسمع والدك ذلك، هيا أدخل لمرسال وحاول أن تتقرب منه وحاول أن تشعر به، لأنه طفل يشعر بالوحدة والبؤس من حالته تلك، يفتقد إلى الحنان والعاطفة

_ حسنا سأحاول

طرق نوح الباب وقال : هل تأذن لي بالدخول يا و...ولدي ؟

_ تفضل

_ كيف حالك يا ولدي ؟ أنت بخير ؟

_ ما سبب هذه الزيارة ؟

_ أريد أن أتفقد أحوالك، أعرف أنني تأخرت عليك

ابتسم مرسال باستهزاء وقال : نعم لم تكن سوى ثماني سنوات

لم يعرف نوح ما يقول وحاول أن يستوعب ما قاله ابنه للتو والحزن

الذي سكن أعماق قلبه وبأنه هو السبب الرئيسي في هذه التعاسة

_ أحتاج شيئا يا ولدي ؟

تنهد مرسال وأدار ظهره وقال : لا أريد منك أي شي، وإذا انتهيت لطفا أريد أن أبقى وحدي

همهم نوح بحزن وقال : كما تشاء يا ولدي

خرج من الغرفة وهو ينظر إلى ولده وهو يغلق الباب

_ ماذا حدث يا زوجي هل تكلمت معه ؟

_ نعم واعتقد أنه لا يحبني أبدا

_ لا تقل هذا

_ سأذهب للشرفة و أنتِ حاولي وادخلي عنده

_ حسنا

جلبت سلفيا زهرة وطرقت الباب ودخلت : كيف حالك يا ولدي؟

_ بخير

_ أنظر لقد جلبت لك هذه الزهرة الجميلة

نظر إليها وحدق بها كثيرا فقال هل يمكنني أن أراها ؟

فرحت سيلفيا لهذا وقالت : بكل تأكيد، هل أعجبتك يا ولدي؟

_ نعم إنها جميلة حقا، ما اسمها ؟

_ هذه زهرة عبّاد الشمس، أنظر إليها إنها تشبه لون عينيك كثيرا !

_ هل لون عيني هكذا ؟

_ نعم، ألم تنتظر لنفسك في المرأة ؟

_ لا، ولا أريد أن أرى

_ لم؟

_ لا أعتقد أنني أريد أن أرى نفسي وأنا عاجز هكذا

أذرفت الدموع من عينيها وقالت : ولكنك جد جميل يا ولدي ! تملك

عينين جميلتين كوالدك

_ ما فائدة أن تكون جميلا وأنت لا تملك كمال الجسد ما فائدة أن

تكون جميلا وأنت عاجز، تنتظر أن يأتي شخص ليساعدك وإذا لم يأت

ستتعفن مكانك، ما فائدة أن تكون جميلا وأنت ترى أن في عيون كل شخص

تقابله إما الشفقة أو الاستهزاء أو الإحراج _كوالدي_ أفضل أن أكون قبيحا

على أن أكون في هذه الحالة

تفاجأت والدته من ذكائه وعرفت أنه يملك عقلا أكبر من عمره بكثير

وأن الأم الذي في قلبه كان سببا في نضج عقله ورجاحته فقالت :

يا بني إنها قسمة الله وقدره فلكل منا ابتلاء في هذه الأرض والله

وحده يعلم ما هو سبب هذا الابتلاء ولحكمة هو وحده عالمها وداريها فهو

يعرف إن أعطى الفقير مالا لطغى وعصى ولو أفقر الغني لكفر وفجع

واستكبر فالله يعطي ويأخذ لأنه وحده علام بذات الصدور فالحرمان يا

بني نعمة والعطاء نعمة وتأخير العوض نعمة، أنت تتعامل مع رب كبير

مجيب وسيخلق من بعد عسر يسر وستتبدل الحال وسيأتيك العوض إن لم

يكن في الدنيا سيكون عوض الآخرة أجمل وسيرضي قلبك كأنك لم تذق مرا

أبدا فلا تيأس يا ولدي وثق بالله ثقة مطلقة واركع على باب التوكل دائما
فهو الرحيم المحيب الجبار

تمعن مرسال بكلام والدته شعر أنها أصابت شيئا ما في قلبه ولكن أحس
أنه لم يكن كافيا، لم يكن كافيا ليخفف ألمه

_ أريد أن تضعي المزيد منها على النافذة

_ بكل تأكيد يا ولدي إذ كان هذا يسعدك

_ نعم أعجبتني كثيرا، شكرا لك، أمي !

_ تكلم يا ولدي

_ أريد الذهاب إلى المدرسة، لا أريد الدروس الخصوصية

_ لم يا ولدي؟، أخاف أن يضايقك أحد بكلامه الجارح

_ لا أعتقد أن أحدا سيجرحني بمقدار الشرخ الذي خلفه والدي داخل

قلبي، لا أعتقد أن هناك أحدا في هذا العالم يستطيع جرحي كما تفعل

تلكما العينين اللتين تشبهانيني

صدمت سيلفيا بكلام ولدها: لا تقل ذلك يا ولدي !

_ لأن أبي ينحرج لوجودي في حياته ويخجل بي أمام الناس ولا يريد

إرسالني إلى المدرسة حتى لا يعرفوا اسمي الكامل وأني ابن نوح الصادق فلا

أريد أن يختار لي والدي الحياة التي تناسبه لكي يحافظ على اسمه أنا لست

دمية أنا إنسان صحيح!

لا أملك قدمين ولكن هو لا يملك قلبا !

_ حسنا يا ولدي كما تشاء

_ شكرا لهذه الزيارة الجميلة والآن أرجوك أريد أن أبقى مع أزهارى
وحيدا

_ كما تشاء يا ولدي

طرقت سارة الباب وأدخلت رأسها : سيدتي السيدة سيلين قامت
باجتماع طارئ وتريد حضوركم بعد نصف ساعة
تفاجأت سيلفيا وقالت في نفسها : لم أرتح لهذا الاجتماع المفاجئ غير
المعتاد

_ها أنا قادمة يا سارة

خرجت سيلفيا من غرفتها وتوقفت قليلا وشاهدت مكتب آدم هزت
برأسها مؤيدة لنفسها على دخولها راقبت الردهة والتفتت يمينه ويسرة تتأكد
أن لا يكون هنالك أحد

طرقت الباب ودخلت بسرعة قبل حتى أن يأذن لها وفي تلك اللحظة
كانت سارة قد أخبرت كل من في البيت عن ذلك الاجتماع الطارئ
رجعت سيلين إلى البيت وكانت قد أخبرت سارة بالاجتماع على الهاتف
فأرتها في الأسفل وقالت لها : هل أخبرت الجميع ؟

_ نعم يا سيدتي

_ جميل

توجهت سيلين إلى غرفتها ومشت قليلا ولكن شعرت بأنها لا تريد

الذهاب إلى غرفتها نظرت إلى الخلف وأصابت عينها باب مكتب آدم ومشت ببطء وهدوء أحست أن في داخله صوت ما، وضعت يدها على الباب وبدأت بالتوتر أمسكت قبضة الباب بيدها ودخلت إلى المكتب بسرعة خاطفة، نظرت واستغربت من الذي رآته وقالت : ما الذي يحصل هنا ؟

تلك آدم وبدأ يتمتم ويقول : ك...كانت تقول لي أن مرسال يريد الذهاب إلى المدرسة

نظرت سيلين إلى سيلفيا بطرف عينيها، فطأطأت رأسها محمرة الوجه وخرجت بسرعة من المكتب

_ ألا تستطيع أن تخبر زوجها بهذا ؟ أليس هو ابنه ؟

_ ن...ن...نعم

توتر كثيرا فصار يحرك يديه تعرق جبينه وأخرج منديلا ليمسح توتره

وقال متلبكا : اجلسي اجلسي يا زوجتي أنتِ تعبـة جدا

نظرت إليه وهزت رأسها : لم تخبرني لِمَ لم تقل لوالده ؟

_ أنتِ تعرفين أن وضع نوح مع ولده متوتر وهي تخاف أن يرفض

وتريدني أن أحاول إقناعه

نظرت إليه بعدم اقتناع وقالت : جميل

حاول آدم تغيير الموضوع والتهرب منه : ماذا ستفعلين من أجل الأمر

الذي تكلمنا عنه؟

_ لا تقلق سأحل جميع الأمور

_ كيف ؟

_ ستري كل شيء أمرت باجتماع وجئت مخصوصا لدعوتك على الحفلة
الجميلة

ضحك وقال : هل ستكون هناك ألعاب نارية ؟

_ ستكون هنالك قنابل موقوتة وستنفجر بالأسفل وأريد أن تكون على
رأسها

_ بكل سرور

بعد طلب سيلين زوجة آدم اجتماع عاجل وطارئ وبعد ما أوصلت
مع سارة رسالة ملغومة كانت عنوانها " سنضع النقاط على الحروف"، عمّ
القلق في أرجاء البيت وزادت حدة التوتر وكان القلق هو سيد الموقف

دار اجتماع صغير بين كئانن البيت قبل أن تبدأ القنبلة الموقوتة
بالانفجار بوجه كل من في البيت

قالت صوفي (زوجة رسلان) : ما الذي تريده تلك منا لا أصدق لا يمكنها
الجلوس دون أن تعكر صفونا

ردت عليها روز (زوجة كنان) : لا وكيف تثبت لنا بأنها هي سيدة هذا
البيت ؟

_ صوفي : يجب أن نحذر منها لقد وضعتنا برأسها ولن تهدأ حتى تنفذ
ما تخطط له

ردت رزو : أفضل ما يمكن فعله الآن هو الهدوء وعدم الإيتاء بأي
تصرف طائش

_ صحيح هذا الكلام السليم

أجمعوا على توصيات روز

نظرت روز إلى سيلفيا وقالت : ما بك؟

ضمت يديها وسرحت بأفكارها وعينيها على الأرض وقالت بنبرة صوت خافتة: أيعقل... أيعقل... أيعقل أيعقل أنها عرفت ؟

صرخت روز في وجهها وأمسكت فمها بكلتا يديها : اصمتي يا حمقاء!
وارتفع صوت صوفي عليها وقالت : إن لم تغلقي فمك، أقسم بأني سأقطع لسانك !

أبعدت سيلفيا يدي روز نظرت إليهن بخوف وذعر : لقد قلت أيعقل أنها عرفت لم أقل إني سأذهب وأخبرها !
بدأن يتبادلن نظرات الخوف وأخيرا نظرت صوفي إلى روز وقالت : أيعقل !

_ روز : لا أعلم ... لا أعلم

بدأ التوتر واضحا على روز وبدأت بقضم أظافرها والتحرك بالغرفة كالمجنونة

طُرق الباب ودخل الرعب إلى القلوب ولكن هذه المرة مختلفة بسبب تكهنات سيلفيا و إذ بها سارة تنادي على الاجتماع

_ سيداتي، السيدة سيلين تناديكن لحضور الاجتماع

ردت سيلفيا : ها نحن قادمات

قالت روز : هيا لنذهب، لندعو الله أن يمر كل شيء على خير

اجتمعت العائلة وجلس كل شخص بجانب زوجته وظل آدم واقفا أمام
النافذة يحتسي كوبا من القهوة ليشاهد الحدث بالجودة المطلوبة وكأنه
يقول لهم أن هذا الاجتماع ليس لي به أي شأن
بقي الجميع ملتزم الصمت حتى نطق كنان وقال : والدتي ما سر هذا
الاجتماع المفاجئ؟

_ أجل لقد اجتمعتم اليوم لكي نتكلم بشكل واضح وصريح

أنا أريد حفيدا

_ وقف كنان وهو منزعج : يا أمي كل هذا بيد الله ليس لنا أي شأن
به

ردت عليه بكل برود : أعرف أن هذا بيد الله ولكن نحن فقط سنسرع
الأمر ونحاول أن نأخذ بالأسباب، أليس كذلك؟

تبادل الجميع النظرات القلق وقالوا بصوت واحد : كيف؟

ابتسمت وأعدلت ظهرها ورفعت ذقنها للأعلى : سنجري تحاليل
لنعرف من الخلل؟ وأعتقد أن الشخص الذي سيكون به الخلل سيخرج
من الدوري المقام في الوقت الراهن
ضحك آدم وهو يشرب القهوة ولم يتمالك نفسه

_ آدم؟

_ نعم زوجتي؟

_ماذا يقولون الإنجليز في هذه الحالة

رد عليها وأشار بأصبعه على الباب بصوت عال وهو يضحك :

_أجل تلك (وأشارت بأصبعها وغمزت عينها)

علامات الدهشة بدت واضحة على أبنائها وتبادلوا فيما بينهم نظرات الاستغراب وأن هذا الشيء بمثابة كارثة حلت عليهم

أضافت سيلين قائلة : أتمنى من نوح وزوجته ورسلان وزوجته ونخص بالذكر زوجة كنان قبل كنان (ونظرت إلى زوجها وتبادلا تلك الضحكات الصامتة)

وأكمل آدم مضيئا : على الأسماء المذكورة أدناه مراجعة قسم المحاسبة في الأسبوع القادم

(تعالت ضحكات سيلين وسط خوف مترقب من أبنائها و زوجاتهم)

علم آدم أن وراء تلك المخاوف قصة يخفيها كل منهم وقال في نفسه
مواسيا :

"حان وقت كشف الحقائق وإظهار الأوراق واحدة تلو الأخرى،
ليصمد من يصمد وليبقى من يبقى"

يُخلق الإنسان ليبحث عن الشيء الذي يلامس قلبه
آمنت بالمقولة : "الروح تألف من يشابهها"

الجزء الخامس

اعتقد أنه قد كتب علينا منذ ولادتنا أن نبقى عبيد، ندور
مع دورانهم وتتغير مع اتجاه أهدافهم سئمنا من لعب دور عبّاد
الشمس!!

سكب سالم كل ما في قلبه على تلك الطاولة وسط ذهول الجميع مدّت حنان لكي تصفحه فأمسك جنيد يدها وهو يكشر عن أنيابه وشدها نحوه عينيه نارا مشتعلة وقال لها : لقد انعدمت في قلبك الرحمة والشفقة لم وفي أكن أتصورك في هذا السوء أنا لم أعد بحاجة لامرأة مثلك في بيتي هيا اجمعي أغراضك ولا أريد أن أرى وجهك إطلاقا وورقتك ستصلك خلال يومين

ركعت حنان تحت قديمة وبدأت تتوسل إليه وتُقبل يديه وتطلب منه السماح والعفو وتعهده أنها لن تفعل ذلك مرة أخرى وأنها ستحرص على أن يحظى سالم بكامل الرعاية والاهتمام ولن ينقص عليه أي شيء وأن يمنحها فرصة أخيرة، ولكن ظل جنيد متمسكا بقرار الانفصال ومصمم على أنها لا تستحق أن تعيش في هذا البيت وأن مصيرها هي وأمثالها أن يلقوا على حافة الطريق ولا يستحقون لا رحمة ولا شفقة

تدخلت أختها مسرعة فأمسكت بجنيد من قميصه أن يتركها : لا يجوز أن تهدم بيتك من أجل سوء تفاهم وتسرع
_سوء فهم ؟ سوء فهم أنها تريد قتل ولدها وتقولين سوء فهم! وأنها لا تريده بحياته وتعد الأيام لكي تتخلص منه !

تدخل زوج أخت حنان ليحاول تهدئة الوضع ويحاول الإصلاح بينهما وسط بكاء عزيز الحاد على حنان

لم يسمع جنيد أي شيء وكانت أذانه شبه مغلقة وكان عقله غير قادر على استيعاب ما كانت تفعله زوجته

لم يتحمل وبدأ هذا الاندفاع المستميت عن حنان ومحاولة الصفع عنها

وإعطاءها فرصة أخيرة بدأت تعمل بمفعول عكسي

فانفعل بشدة وأصبح وجهه أحمر والنار تقدح من عينيه وأمسك
بذراع حنان تحت الرسغ مباشرة وقال لها : انتهى وقتك هنا
بدأت هديل بالبكاء، وهي تحتضن أياها سالم وتقول : أرجوك يا أبي لا
تفعل!

بدأ جنيد بجر حنان نحو غرفتها ووضع لها قطعتي ثياب بكيس صغير
وجر بها إلى الباب وهي تتوسل إليه وتطلب السماح منه وهي منهمة في
البكاء

وبمحاولات من أختها وزوجها بأن يعدل عن قراره ولكنها كلها باءت
بالفشل ففتح الباب
وإذ بصوت رقيق صغير مليء بالخوف والتوسل قادم من الخلف
يقول : لا يا أبي لا ترم بأمي خارجا أرجوك الجو باردٌ جدا ستمرض هكذا
ولن تستطيع الاعتناء بعزير

قالها وهو يحتضن رداء أخته برأسه والدموع تنهمر من عينيه، أبي أن
تهان والدته وهي التي سعت دائما لإذلاله واستحقاره أبي أن تُرمى في
الخارج والثلوج تنهمك في غزارة وهي من ألقته بالقبو ولم تأبه يوما لأجله،
أبي أن تشعر بالوحدة كما هو يشعر الآن

نظر إليه والده قبل أن يلقي بحنان للخارج وقال : هل أنت يا سالم ؟
استنجد به والدموع تسيل من خديه : أرجوك يا أبي لا أريد أن أبقى
بلا أم !

كأن وجود تلك الأم كان يشكل عند سالم فارقا، فالأم هي التي تربي وترعى ليست فقط التي تنجب، لم يكن سالم يعي حقا ما يقول فقد كان يضحى بحقه وبنفسه لكي ينعم عزيز وهديل بحنان الأم، فَصَلَّ قسوة القبو وبرد الشتاء والوحدة والاستحغار على أن يعيشا بلا أم ترعاهما وتهتم بشؤونهما ضحيتَ بنفسك يا سالم، ولكن من يضحى اليوم بنفسه سيدفن حيا وحده

نظرت إليه حنان والأسى مليء عينيها تسحبت من بين يدي جنيد وقالت: أرايت سالم سامحني أرايت ؟

دنى جنيد إلى ولده وأخبره بصوت هادئ: أتسامح والدتك يا بني؟

_ نعم فلا أريد أن تحزن أختي هديل، وعزيز سيظل يبكي على أمتا

_ حسنا يا بني كما تشاء

أوقف جنيد حنان على قدميها : هيا اذهبي واغسلي وجهك ونظفي غرفة سالم جيدا وسنطوي. الماضي ونعتبر كأن شيئا لم يكن

قالت أختها: الحمد لله الذي انتهى الموضوع على خير حسنا نحن تأخرنا كثيرا ويجب أن نذهب

رد جنيد : نعتذر على الذي حصل ونأسف لحدوثه حقا ونتمنى أن تسامحونا

رد زوج أخت حنان وقال : لا لا العفو أنت سامحنا على قدومنا في الوقت الخاطئ

ألقيا التحية والسلام في ما بينهم وأغلق جنيد الباب هدأ الوضع قليلا

في البيت وبعدها أخبرت هديل بمطلب أخيها أنه يريد الذهاب إلى المدرسة
فقال: يا سالم

_ نعم يا والدي؟

_ اذهب للنوم يا عزيزي أمامك مشوار طويل غدا

رمت سيلين تلك القنبلة وبعدها لم يعرف أحد طعم النوم في البيت
الكل حائر والمهلة التي لمح إليها آدم بدأت تعد تنازليا للانتهاء طرقت سارة
باب غرفة مرسال

أذن لها مرسال بالدخول بعد عناء جم، كانت قد أحضرت له زهرة عبّاد
الشمس وجلست بجواره و قالت له : تفضل يا صغيري

بدت على مرسال علامات السعادة لأنه أحب تلك الزهرة كثيرا لم يعرف ما
السبب، شعر لوهلة أنها حقا تشبهه، حقا تشبه لون عينيه كما زعمت
والدته

قالت : أتعرف يا مرسال لِمَ سميت بهذا الاسم ؟

- لِمَ ؟

_ كانت هنا خادمة في هذا البيت عندما ولدت، كانت تحب هذه
الزهرة بشكل جد كبير وكانت تحبك كثيرا وكانت تحمل عدة شهادات
ومثقفة جدا

كانت تهتم في علم النبات؛ لأنها مهندسة زراعية ولكن بسبب ظروفها

القاسية اضطرت لأن تعمل خادمة لتعيل عائلتها بعد وفاة والدها وعجز والدتها فليس لإخوتها الصغار معيلا غيرها

فكان هنالك رابط عجيب بينكما وكانت تهتم بك بشكل جد مذهل ولم تكن عربية كانت نصف سريلانكية ونصف أمريكية، ولكن كانت تجيد العربية بشكل متقن حقا، كانت تذهل كل من في البيت بلغتها العربية السليمة الخالية من أي شوائب .

عندما ولدت بالبداية لم يعطك أحد اسم بسبب الانشغال الدائم وكانت هناك بعض المشاكل ووالدتك قد عانت بعض الشيء لأنها لم تنجبك هنا .

ف كانت تناديك تلك السيدة(الخادمة) ميراسول "merasol" فاسمك هو أحد أسماء عبّاد الشمس ولكن لتسهل الاسم علينا ولكي يعجب أهل البيت ويبدو اسما مألوفا وليس غريبا ويميل إلى العربية أكثر من الأعجمية، كانت تناديك مرسال(كانت سيلفيا تقف وراء الباب مستمعة لذلك الحوار)

نظر مرسال باستغراب لتلك الواقعة وهنا قد وضح ذكاؤه الحاد وقال :

"إذن كتب على أمثالي منذ ولادتنا أن نكون عبيدا "

الرابط بيني وبينها كبير فعباد الشمس يدور مع ضوء الشمس أينما دارت وارتحلت وأنا أدور حول ظل وراحة والدي أينما سار وذهب، أعتقد بأن عباد الشمس لا يشبهني ويشبه لونا عينيا فقط، بل عباد الشمس ... أنا نظرت إليه سارة وهي تشفق على حاله ربتت على كتفه وقالت :

الأمر ستتحسن ثق بالله

لم تتمالك سيلفيا نفسها تحاول مسح دموعها وترفع عينيها للأعلى لتعود لصوابها ورشدها أغمضت عينيها وتوجهت راكضة نحو مكتب آدم من دون أن تطرق الباب حتى، وأغلقت الباب بالقفل !

جلست تقريبا عشر دقائق ثم خرجت مبتسمة وتنظر إلى آدم وهي تغلق الباب بكل سرور ولكن هي لم تستطع رؤية أن سيلين كانت تراقبها وتشاهدها

هزت سيلين برأسها : هذا الوضع لا يجب السكوت عنه أبدا أعتقد أن دورك يا آدم قد اقترب ،ورفعت شاهدها وتوعدت بذلك

دخلت سيلفيا على ابنها وكانت تحمل حقيبة ظهر مدرسية وقالت له :
انظر ماذا أحضرت إليك يا ولدي

دهش لما رآه ولم يتوقع ذلك أبدا

_ هيا يا ولدي نم جيدا لتذهب إلى المدرسة غدا

_ حسنا

_ أنا آسفة يا ولدي لم أستطع وضعك إلا بمدرسة قريبة وسأحاول

- ياذن الله-أن أنقلك لمدرسة أفضل في العام القادم إن وعدتني أنك ستتفوق بالدراسة

أجاب برأسه بالموافقة ، فخلد إلى النوم بمساعدة سارة

_كيف حالك ؟

_بخير يا سيلين

_جيد

_حان موعد تنفيذ الخطة

_أأنتِ متأكدة ؟

_نعم لقد بدأ آدم بالتمادي كثيرا

_سنرى يا آدم سنرى

قال تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ
الْأَبْصَارُ﴾^(٤٦)

الجزء السادس

لا تجد أبداً معركة بين حق وحق لأن الحق واحد
ولا تطول معركة بين حق وباطل لأن الباطل دائماً زهوق
فאלلهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

الشيخ محمد متولي الشعراوي

استيقظ سالم وكله حماس لم يذق البارحة طعم النوم وهو يفكر
ويتخيل نفسه قد حقق حلمه وبالأخص أن هناك دروسا موسيقية تعطى
في المدرسة

صعد للأعلى عندما أشرقت الشمس ووقف عند باب غرفة هديل لم
يستطع فتح الباب ولا حتى طرفه

استيقظت هديل وبدلت ملابسها واستعدت للذهاب إلى المدرسة
فتحت الباب وتفاجأت بوجود سالم : سالم ما الذي تفعله هنا ؟
عيناه يتلألآن من الفرحه وقال لها : هل يمكنك مساعدتي في ارتداء
ملابسي

_ بكل تأكيد يا عزيزي

ألبسته ثيابه وخرجت لترى والدها وسألت حنان عنه التي كانت في
المطبخ : أمي، أين أبي ؟

_ لقد خرج، بضاعة المحل أتت باكرا هذا اليوم

_ حسنا، هل أخبرت الحافلة لكي يأتي ويأخذونا

_ يأخذكم؟ من ؟

_ أنا وسالم يا أمي ألم يخبرك أبي بذلك؟

_ أخبرني ونسيت ما المطلوب مني الآن؟

_ أنا وسالم ألم تحجزني لنا في الحافلة ؟

_ لا ليس معي نقود سوى لواحد وأيضا الحافلة ممتلئة، فأخبرني أيضا

السائق أن الحافلة لا تتسع سوى لشخص واحد

نظرت هديل إلى الأرض وقالت: حسنا ليذهب سالم لأنه صغير وأخاف
أن يتعرض الناس عليه بأذى وأن يسمعه كلاما قاسيا

صرخت حنان في وجهها : ما رأيك أن أجعلك تمشين من القرية للمدينة
وسط قطاع الطرق والهمج؟ لكي يتعرضوا لكي بسوء قال سالم قال

أضحى بكِ كي لا يتعب قدماه الجميلتان في المشي !

ذهبت هديل لغرفة سالم والدموع على رأس عينيها حزنة على أخيها
الذي سيمشي كل هذه المسافة، وأمام الناس فهو شخص مختلف تماما

نظرت هديل إلى سالم وفي عينيه براءة وجمال لم يسبق لأحد أن أمتلكه
قبله ورأت ذلك الجسم الضعيف وتنهدت وأخبرته بما قالته أمها للتو

كان سالم متفائل محب للحياة على الرغم من الحال الذي هو عليه
وعلى الرغم من الظلم الذي يتعرض له

وضع رأسه بين ذراعي أخته وقال : لا بأس يا أختي فأنا يجب أن
أحميك دوما ويجب أن أحرص على ألا يصيبك أي مكروه فقال بصوت عال:
لا تخشي يا أختي ما دمت بين يدي (كأنه يريد تذكيرها بأول شارة غناها
لها)

نظر إلى يديه وابتسم ساخرا : إنه تعبير مجازي فليس لي يدان

ضحكت هديل لطرافة أخيها ودهشت بأنه يتقبل واقعه وأنه راض
بقدره وأنه يشعر بأن الحياة جميلة وأنه قوي ويجب ألا ييأس وحزنت بأن
الآخرين لا يتقبلون اختلافه فمسحت على رأسه

_ هيا لنتنظر الحافلة في الخارج

_ هيا

وفي ذات الوقت الذي لا يستطيع سالم ركوب الحافلة الصغيرة التي
تقل الطلاب لسوء الوضع المادي وتضحيته لأجل أخته

كانت سيارة مرسال "مرسيدس" آخر طراز (٢٠٠٥) وأنداك لم يستطع
أحد شرائها لا في القرية ولا حتى في المدينة

ساعدت سارة مرسال لكي يبدل ثيابه ويستعد للذهاب للمدرسة

طرق نوح الباب وقال: كيف استعداداتك يا ولدي؟

رد مرسال : أيهمك الأمر؟

لم يتحمل نوح فظاظة ابنه وخرج غضبانا من غرفته مع دخول سيلفيا
الغرفة متوجها لمكتب آدم

قالت سيلفيا لمرسال: لِمَ تعامل والدك هكذا؟ أنت تقلل من احترامه

_ لا يهمهم والآن أنتِ اخرجي أرد أن أبقى وحدي

غضبت سيلفيا أيضا من قلة احترامه وأن نوح على حق فلا شيء يعجبه

ولا شيء يرضيه

خرجت من الغرفة ومشت في الردهة ورأت نوح يخرج من المكتب

وعندما رأته تخبأت خلف الحائط وهي تدعو وتحمد أن لا يكون قد رآها

.. ظلت تراقب المكان إلا حين أنها تأكدت أن المكان خال تسللت إلى

مكتب آدم وأغلقت الباب.

ولكن كانت سيلين لها بالمرصاد لم تتحمل ما رأته وركضت مسرعة
فرجع نوح من الأسفل لأنه كان قد نسي هاتفه في غرفته وقال : أمي ماذا
هنالك لما أنتِ غاضبة

_ لا لا.... لا شيء أضعت خاتمي وابحث عنه

وذهبت للدرج وقالت: ساعدني يا ولدي لنبحث عنه

_ حسنا

وهي تبحث عن الخاتم لم تستطع أن تتمالك نفسها أبداً فأنظرت
إلى وجه نوح

_ صحيح تذكرت كنت سأعطي لزوجتك وشاحا ولكني مررت على
غرفتك للتو ولم أرها

_ ربما عند مرسال؟

_ لا كنت هناك قبل قليل ورأيت مرسال عابسا كعادته، تشعر وكأنه
خارج من زنزانه تعذيب ورأيت الخادمة تلك فقط

توتر نوح كثيرا وبدأ يشعر بأن أمه تلمح إلى أن زوجته في مكان وأنت
لا تعرف أين

_ لا بأس يا أمي، ربما بالمرحاض

عضت شفتيها وأمسكت ذراعه وجرته إلى مكتب والده بدأ صوته
يعلى ويقول: ما بك؟ يا أمي ماذا أصابك؟

وهي تجر به وتقول : سترى سترى

وصلت إلى مكتب آدم وجدت الباب مغلقا فقالت: كما توقعت

بدأت بطرق الباب كالمجنونة وتقول : تجلس كالقطة المسكينة بيننا وهي كالأفعى تتلصص من حولنا بدأت تصرخ وتمزق شعرها وتقول: آدم افتح الباب افتح الباب أنت وتلك ال..... .

صرخ نوح واصبحت عيناه نار ولهيب أمسك بذراع أمه وقال : ماذا هنالك يا أمي ما الذي تلمحين وترمين إليه قولي الآن بكل وضوح لا احتمل ما تقومين به

بدأت بالطرق على الباب ولم يفتح أحد، إحدى يديها أحست بأنها كانت ستكسر من شدة الضرب على الباب

فقد نوح صوابه : أمي بتعدي قليلا

_ماذا تريد أن تفعل ؟

_أمي قلت لكِ ابتعدي

كسر نوح الباب.....

وقفت هديل وسالم في الخارج وهما يتمازحان ويتضاحكان ، وحسب ما علمت من حنان أن الحافلة دقائق وستصل

مرت جارة لهم _سمينة الهيئة وجهها عابس يملؤه التجاعيد وجبينها يغرق من كثرة الحبوب ترتدي فستانا أبيض من الحرير وتضع وشاحا أحمر اللون ظننا منها أنها ستصبح جميلة هكذا _تسكن في الطابق الخامس فقد نسيت شيئا وعادت لتأخذه من بيتها قبل ذهابها إلى عملها _

فألقت التحية على هديل وقالت : ما هذا الجمال كله يا ابنتي اليوم
أول يوم؟

_أجل ، يا خالة

نظرت إلى سالم بإشمئزار وقد رفعت طرف شفتها العلوية للأعلى
وتتعالى في نظرها عليه _تحسب نفسها من جميلات _ وتقول: من هذا
الفتى؟

ردت هديل : إنه أخي سالم،القي التحية يا سالم على الخالة

_م...م...مرحبا

_أهلا بك أيها الصغير المسكين

_أهلا بكِ يا خالة

فابتسمت وقالت : لماذا تريد الذهاب إلى المدرسة ؟

_أريد الذهاب كي أتعلم وأصبح شيئا عظيم الشأن في المستقبل

ضحكت ضحكات متتالية لم تستطع أن توقفها وقالت : ستصبح ذا
شأن بتلك اليدين؟

أنزل سالم رأسه وتخبأ خلف ظهر أخته فردت عليها هديل بعنف:
سيدرس وسيصبح شخصا مهما وسترين

ابتسمت وهي تمسك بطرف شعر هديل وتدور به بين أصبعيها:
سيصبح طيارا ام مهندسا أم طبيبا؟

أعتقد أنها تخصصات تحتاج أقل شيئا إلى مقومات الإنسان السوي

طبعاً وهو لا يمتلكها فقط أخاك بارع بالاختباء وراء ظهره كالغبي، أشفق عليه حقاً

اقتربت منه وهمست في أذنه : أمثالك يستحقون أن يموتوا أنتم عبء علينا

جرت الجارة نفسها باستهزاء وتتسحب بسخرية وتطرق بقدميها على الأرض وتمشي بتعال وبثقل قالت تلك الكلمات وظلت تردد بها ولم تكثرث لمشاعر سالم فراح حنان تصرخ في وجهها ودموعها على باب عينيها : سترين سيصبح شيئاً عظيماً وأنتِ وأمثالك يا عديمة القلب يجب أن تموتوا وتنقرضوا

أسأل الله أن لا تبسمي بحياتك أيتها العجوز الخرفة غلبتها دموعها وحضنت أخاها وقالت: لا عليك يا أخي لا عليك الله سيحاسبها لا محالة على ما قالته

سالم أحس بكلمات تلك الجارة وكانت قد انتزعت قلبه من مكانه وكان حقاً يريد أن يبكي، ولكن هو أخذ على عاتقه حماية أخته لم يكن يملك الإمكانية لذلك ولكن على الأقل يحميها بأن لا تبكي لأجله مطلقاً

_ أختي لا تحزني أنا لم أحزن لما قالته

_ أحقاً؟

أتعرفين ماذا كانت تقول بيانكا لألفريدو في عهد الأصدقاء؟

_ ماذا؟

_ كانت تقول

" لن تعيش هذا اليوم ثانيةً، لا تدعه يمر بحزن، كن سعيدا وستغير كل شيء حولك"

نظرت إليه ودهشت بما قاله ودهشت أن الكلام الجيد والطاقة الإيجابية تظل محفورة بذاكرته ويحاول بهذه الكلمات أن ينتصر على الكلام الجارح الذي يقوله أولئك الوحوش

_ فرحت كثيرا لسماع ذلك لا تدع أحدا يطفئك يا صغيري ولا تدع الحياة تدنس طهر قلبك

ابتسم ابتسامة القبول وهز برأسه

أتت الحافلة فودعت هديل أخيها وقبلت رأسه وصعدت

قالت لسائق الحافلة بعد ما تحرك : هل ستصطحب طلاب آخرين أم أنك انتهيت

_ لا يا عزيزتي أنتِ آخر طالبة

نظرت حولها وشاهدت أن هناك مقعدين فارغين أحست بضيق شديد من كذب والدتها والكره التي تحمله لسالم الغير مبرر حضنت حقيبتها وقالت: سأدرس أنا أيضا جيدا لكي أساعد أخي سالم ولكي لا أدعه يحتاج أحدا

مشى سالم إلى المدرسة ولم يعرف أن هنالك تحديا جديدا وأمورا أخرى بانتظاره

وهو يسير ويحاول أن يحمل حقيبة سوداء توضع على الكتف وهي

أكبر منه حجماً رأوه في الطريق ثلاثة شبان حاولوا مضايقته فقال أحدهم :
يا هذا من ابتلع يديك ؟

وأجاب الآخر : هذا المعنى الحقيقي لجملة أكلت نفسي من الجوع

فرد آخرهم: ماذا حدث هل نسيت يداك في بطن أمك ؟

وتعالت الضحكات والتصفيق والتصفير في الشارع وقَضَلَ سالم أن
يبقى صامتا تجنباً لسوء أكبر سيحدث له

فمشى قليلاً وإذ به يلقي أولاد صغار من عمره يلتفون حوله
ويرقصون ويضحكون عليه ويهتفون: يا عديم اليدين.....يا عديم اليدين
وبدأوا يدفعون سالم بصدورهم ويرمونهم فيما بينهم كأنه كرة قدم

وهم يرمونه فيما بينهم سحب أحدهم حقييته وشدها وخنق سالم،
ورمي سالم أرضاً.....

قال تعالى :

﴿وَبَشِّرِ الصَّادِرِينَ ﴿١٥٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٦٠﴾﴾
 ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

الجزء السابع

لم تكن محض دعاية، لم تكن سوى واقع مؤلم.....

بعد ما كسر الباب لم يشاهد أحداً بالغرفة فأسرعا بالذهاب إلى الغرفة المجاورة للمكتب التي لا يستطيع أحد دخولها إلا من المكتب فتحت باب الغرفة مسرعة لم تجد أحداً جن جنونها نظر إليها نوح ونظرات العتاب ملأت وجهه ولام نفسه على أنه سمع كلام أمه، نظرت إليه وبدأت تتأثر وتتلعثم بالكلام ولم تعرف ماذا تقول: نعم لم ينتهي الأمر بعد

ركضت إلى المرحاض الخاص بالغرفة ولم تجد أحداً

قال نوح حينها : أمي هذا يكفي أشعر بالخجل من نفسي حين طاواعتك ورضخت لتلميحاتك

_كلا، لم ينته الأمر بعد وأقسم لك أنني.....

صرخ نوح في وجه والدته : أمي كفى! هذه الأفكار نسج من الخيال وكيف تفكرين بأبي وزوجتي هكذا ؟

هزت برأسها معترضة وحركت يداها محاولة تهدئته وإقناعه بأنها لا تكذب ولا تتخيل

وتابع نوح قائلاً : لا أعرف بأي وجه سأواجه والدي بعد كسري باب مكتبه

أصابت عينا سيلين باب الشرفة المغلقة : أتبعني أرجوك

_أمي، كلا

أصرت سيلين على ذلك وأمسكته مرة أخرى وركضت به نحو الشرفة فتحت الباب والستارة بسرعة كبيرة لترى أخيراً زوجها بالجرم المشهود

ولكن صدمت لما رأيته، الطبيب يوسف الخاص بالعائلة منذ سنوات

يسحب عينة الدم من سيلفيا من أجل الفحوصات التي كانت تريدها
سيلين،

نظر إليها آدم باستغراب ونظر إلى ولده : ما الذي يحصل هنا؟

قال نوح : أنا اعتذر يا والدي لقد كسرت الب...

قاطعته سيلين : لقد كسرنا الباب لأننا طرفناه ولم تفتح لنا يا عزيزي لقد
خشينا أن يكون قد أصابك مكروه ما، يا إلهي قد أفقد عقلي

نظر نوح باستغراب إلى والدته وإلى عقلها المخيف وإلى تمثيلها البارع
المتقن

فرد الطبيب يوسف المعروف باسم " جو " : من الجيد أنك أتيت يا
سيد نوح لكي أضع جرعتك مع زوجتك لأني انتهيت من أخذ عينات إخوتك
ولم يبق سواك وطلب السيد آدم من سيلفيا المجيء ظنا منك أنك خرجت
ولا يصح أن أخذ عينه من دون وجود أحد، تفضل بالجلوس سيد نوح

نظر نوح إلى زوجته محاولا استلطافها لكي لا تأخذ على خاطرها أو
تشعر بأن هناك شيئا ولكن نظرات سيلفيا كانت تقول عكس ذلك فهي لم
تلاحظ أي شيء أو لربما تعمدت أن لا تشعره بأنها أحست أن دخوله بذلك
الشكل غير طبيعي وأن الحجة التي رمتها سيلين لم تدخل برأسها ولم تتعدَّ
عتبة بابه حتى

أخذ الطبيب العينات وقال : معافى_ إن شاء الله _اسمحو لي يجب أن
أذهب لدي عمل كثير

قال آدم : أيها الطبيب أريد منك فحصا شاملا لا أريد أن ينقص أي
شيء فزوجتي الجميلة تريد حفيدا بأسرع وقت

_أتريد التحاليل أن أعطيك إياها أول بأول أم تريد جميعها في آن واحد؟

_أسأل زوجتي ما هو الأنسب لها لتفعله

تلبكت سيلين وبقي ذهنها عالقا بالموقف الغبي الذي وضعت نفسها به وقالت في نفسها إن خطوة حمقاء أخرى ستكشف كل شيء ليس هذا فقط بل ستدمر كل شيء خططت له خاطبة نفسها: يجب أن تهدئي يا سيلين وتحاولي ان لا تشعري آدم بشيء وأن تكسبيه إلى صفك ولا تخسري ثقته بك أبدا لأن كل تعبك سيضيع سدا

_زوجتي؟ لمَ شردت هكذا؟

_ن... نعم!

_متى تريدان التحاليل؟

_دفعه واحده، دفعه واحده أجل

_ لقد سمعت أيها الطبيب تريدها جميعها وبأسرع وقت ممكن

_حسنا سيد آدم والآن اسمحوا لي

_تفضل

نظر نوح إلى والدته وكان غضبانا منها لما كان سيحصل لو لاحظ والده وزوجته أو سمعوا صراخها، فحمد الله أن باب الغرفة التي بجانب المكتب عازل وصعب أن يسمع وحمد الله على جلوسهم في الشرفة المغلقة، بهذه الأفكار تأكد أن لا أحد استطاع سماع صوت والدته التي تتواعد وتزمرجر

ذهب نوح لغرفته منتظرا زوجته لكي يرى ماذا ستقول ولكي يجهز مبرر

لذلك الدخول المفاجئ غير التي قالته والدته تحسبا أنها لم تصدق ما سمعته من أمه

بعد ما خرج الطبيب وخرج نوح وتأكدت بأن نوح ذهب

وقفت سيلفيا بحركات كلها استفزاز وتقترب من آدم شيئا فشيئا حتى وصلت وأمسكت ذراعه وقالت بصوت هادئ : شكرا لك على حسن الاستضافة _ كانت تنظر لآدم تارة وتغيظ سيلين تارة أخرى _ أتعبتك معي، أشعر أنني لست بخير هل هذا طبيعي ؟

رد آدم وأمسك بيدها وامراته فتحت عينها وهي تغيظ بها : لا بأس عليكِ ربما دمك ضعيف

_ربما (وتناور عينها بعد كل كلمة على سيلين)

مشت سيلفيا خطوتين فأغمي عليها فزع آدم وحاول إيقاظها، ظلت سيلين صامدة مذهولة أمام هذا التمثيل المتقن

حاول آدم رشَّ عليها الماء وصفعها مرارا وتكرارا إلا أن استيقظت وقالت وهي في نصف وعيها : كم أنت حقا وسيم من الجيد أنك أنقذتني يا سيد آدم

صرخت سيلين في وجهها: ماذا هداكِ أيتها ال.....

انفعل آدم في وجهها وقال: ما بكِ ربما تظني زوجها ألا ترين حالتها أأصابك العمى؟

قالت سيلين في نفسها يالي من حمقاء كيف تصرفت هكذا لقد تغايبت مرتين في آن واحد

لكي تنقذ الوضع بدأت تتملق زوجها وتقول : أعطيني أساعدها عنك

يا زوجي

فأوقفتها وقالت لها :دعيني أوصلك لغرفتك هيا يا عزيزتي وهي
تمسكها وتوهم آدم بذلك ولكنها كانت تشدها من ذراعها وكادت أظافرها
قد غرستها داخل جلدها، سيلفيا بدأت تصرخ من الألم وسيلين تصرخ معها
لتخرسها وتقول : لا عليكِ يا عزيزتي أنتِ بخير ستتحسنين

فهمست بأذنها : سأريك أيتها الساحرة اللعينة

مشت بها نحو الردهة قريب من الدرج قامت بدفعها وارتطمت

بالحائط

رن هائف سيلين قبل أن تواجه سيلفيا بأفعالها كان الطبيب جو قد

اتصل فجأة

_ ابقني هنا حديثي معك لم ينته بعد

_ تفضل طبيب جو ماذا هنالك؟

_ سيدة سيلين أنتِ تعرفين أني أحترمك كثيرا وأقدرك لذلك لا يمكنني أن

أخفي عنك الموضوع أكثر من ذلك

_ ما الأمر لقد أقلقنتني؟

_ سيلفيا

_ ما بها ؟

_ أنها حامل وطلبت مني عدم إخبار أحد بهذا وخصوصا أنتِ

_ ماذا ؟

_ نعم، لم أستطع أن أخبئ عليكِ أكثر من ذلك

_ أيعقل ؟

_ لكن من خوفها أعتقد أن الطفل ليس من نوح، لأنها عندما أخبرتها بحملها بدأت تولول وتلطم على خدها

_ حسنا أيها طبيب سلمت ودعا

أمسكت بعنقها وخنقتها إلى أن صار لون وجهها أزرق : أأنتِ حامل؟

_ نعم

عضت سيلين على شفيتها وهجمت عليها

ابتسمت سيلفيا وقالت : ماذا هنالك بهذا الأمر لم أنجب منذ ثماني سنوات واعتقد أنه حان وقتها وأنتِ قلتِ تريدين حفيدا وأنا سأحضر لك واحدا

_ أيتها الحقيرة...

بدأت تتعرق ويدها تترجف وتهز برأسها وتقول بصوت أشبه بحفيف الشجر: مَنْ مَنْ؟ هيا أجيبني

_ ماذا بك أنسيّت أنني متزوجة من نوح ؟

ونظرت إليها وأمسكت ببطنها وبدأت تلمسه برفق وبتأن ثم أعطتها نظرة بطرف عينها واقتربت منها وتسلفت كلماتها نحو أذنيها : وربما مِنْ.... وأشارت إلى المكتب آدم

أشعل حريقا في قلبها، فحقد وغل سنوات قد أطلقت عنانه بصفعة

قوية على وجهها أوقعتها عن الدرج مغمية

وكانت قوته قادرة على إسقاط حصان من مكانه وبرحه أرضاً، صرخت
سيلفيا بأعلى صوتها وهي تسقط عن درج بشكل متتابع

أمسكت سيلين يديها ووضعتهما على قلبها لم تعرف ماذا ستفعل لقد
نزفت سيلفيا كثيراً لقد أغرقت الأرض بدماء من فمها

التفت للخلف وإلا إذ بها الخادمة سارة قد شاهدت الحادث وقد
سمعت كل شيء

ركضت سارة خائفة أحست أنها ستنتهي عليها كما فعلت بسيلفيا
ركضت سيلين خلف سارة ولكن.....

توقفت سيارة كبيرة فارهة في منتصف الطريق خرج منها رجل كبير صرخ في
وجه أولئك الصغار وقال: ابتعدوا يا عديمي التربية هيا ابتعدوا!

هيا قم يا ولدي هيا قم

_يا عم هل هو بخير؟

_لا أعرف بعد انتظر يا صغيري أخشى من أنه لا يتنفس

_يا عم قم بعمل (ونفخ في فمه ثلاث مرات) ليقلد ما يقوم به

الإسعاف

_حسننا يا بني وأنت أحضر لي الماء من الخلف

_ حسننا

بعد محاولات من التنفس الاصطناعي والإسعافات الأولية المتقنة وبعد
ما جعله يشم العطر استيقظ أخيراً فتح عينيه وبدأ يستعيد وعيه شيئاً
فشيئاً

_يا عم لقد استيقظ

_الحمد لله

نظر سالم إلى ذلك الفتى الذي يمتلك عينين تشبهانه إلى حد كبير كانتا
حقاً عينا عبّاد شمسي، كان ذلك الفتى هو مرسال

قال العم الطيب: لِمَ تمشي وحدك يا بني المكان لا يناسبك فهؤلاء
الأشخاص كانوا سيقتلونك

أشرب مرسال سالم الماء ومسح على رأسه، وبدأ مرسال يبحث عن شيء
قال له العم الطيب: على ماذا تبحث يا بني ؟

أبحث في المكان الذي أضع فيه يديه، أين أضعتهما؟

رد سالم ضاحكاً: في نفس المكان الذي أضعته به قدميك

فضحك مرسال وكانت هذه أول مرة في حياته يضحك ويشعر أنه حقاً
ينتمي لشخص ما، فعلامات الود باتت ظاهرة ل كليهما

لقد بدأ تعارفاً بدعابة ولم تكن كأبي دعابة !

قال مرسال : ما اسمك؟

_سالم، وأنت ما اسمك ؟

_مرسال

_اسمك جميل من اسميك إياه

_الآن اصعد معنا وسأخبرك به في الطريق

_لا لا، لا أريد أن أزعجكما

فرح العم الطيب بأن مرسال وأخيرا وجد صديقا لا بل شعر أنه وجد
العائلة التي حقا ينتمي إليها فقد وجد شخصا يشبهه في هذا العالم وجد
شخصا يتقبله كما هو وجد شخصا يحبه كما هو

قال العم الطيب: لا يا بني فنحن مسرورون بلقائك ونتمنى أن نصبح
أصدقاء أليس ذلك يا مرسال؟

_بكل تأكيد

هيا مرسال سأساعدك في الصعود

قال السائق السيارة: لحظه أنا سأساعده هيا اصعد أنت

ركب مرسال وركب سالم وكانت هذه أول مرة يركب بها سالم سيارة
فاخرة كهذه أحس أنها كبيرة عليه

وبدأ كل منهما بتناول أطراف الحديث والضحك قال سالم لمرسال : ما
حلمك؟

_حلم؟ ليس لدي لم أفكر في هذا من قبل وأنت؟

_أريد أن أصبح مغنيا ومنشدا للأطفال كما يفعل العم طارق والخالة

رشا

_أصوتك جميل؟

_أختي تقول لي إنه أجمل صوتا في العالم

_حسنا غني إذن

_أنا أخجل بعض الشيء

قال العم : يجب أن تكسر حاجز الخجل لأنك ستغني أمام الكثير من الناس ويجب ألا تخاف وأن تثق بنفسك وألا تدع أي شيء يوقفك أمام حل.....

_حُلْمِي الصَّغِيرُ أَنْ أَحْيَا بِسَلامِ ..

فِي بَيْتٍ تَصْحُو بِزَوَايَاهِ الْأَحْلَامِ

يَعْبُقُ بِنَسِيمِ الْحَبِّ،

يَغْسَلُ لِي الْأَيَّامِ ..

لَا أَزَالُ صَغِيرًا

أَنْتَمِي لِلْحَنَّانِ !

أَغْفُو حِينَ أَطِيرُ،

عَلَى جَنَاحِ الْأَمَانِ !

أَصَوَاتُ الْأَحْبَابِ ..

تَحْطُمُ الْجَدْرَانَ،

تَخْتَارُ الْفُؤَادَ

مَلْجَأًا ...

دهش مرسال والعم الطيب لما سمعاه، وصفقا له بحرارة

قال سالم لمرسال من شدة خجلة: هل يمكنني أن استعير يديك وأضعهما

على وجهي

لِمَ؟

لأنني عندها أخجل أضع ركبتي على عيني وأضمهما إلى صدري
وأخاف أن أوسخ السيارة بحدائي

ضحك العم ومرسال كثيرا وقال له مرسال: اقترب .. اقترب فوضع يديه

على عيني سالم

أدرك العم الطيب أن تلك الكلمات لم يغنها عبث وأن ذلك الإحساس
الدافي الذي غنى به كان وصف لحالته، واختياره لتلك الأغنية كانت تعبر
عن رغباته واحتياجاته التي هي أبسط ما يتمنى أن يعيشه طفل في مثل
عمره التي من المفروض أن تكون من الوجوديات

لهذا الحال قد وصلنا طفلاً جُلّ أمنياته أن يعيش بأمان واطمئنان

فشعور الخوف صعب، صعبٌ حقا

قال السائق : لقد وصلنا إلى المدرسة

كانت سيلين تشعر أن الخادمة تراقب تحركاتها ولكن لم تعرف لماذا ؟
فعندما أمسكتها بالجرم المشهود ركضت خلفها ولكن لم تستطع اللحاق
بها فقد اجتمع جميع من في القصر لكي يروا ما يحدث ولكن آدم لم يسمع
شيئا لأن غرفته عازلة عن الخارج

خرج نوح متلبكا متعجلا رأى أمه تلحق بالخادمة أوقفها نوح : ما بك

أحست سيلين أن أمرها قد كُشف وحن الوقت لكي يحاسب كل شخص على أفعاله وأن الحظ لم يحالفها هذه المرة وإن خطتها انتهت قبل أن تبدأ حتى، فهي حوصرت من جميع الجهات بعد ما تكاثر أبنائها وحولها ليعلموا ما الذي جرى وما كان ذلك الصوت؟

هنا خافت أن تكون سيلفيا قد قُتلت ولم تتحمل وزر هذا الذنب من عائلتها وستصنف أمام أبنائها بالقاتلة وهذا اللقب سيخلد معها إلى الأبد فتلبدت مكانها ولم تنبت بينت شفه إلى أن اجتمعت قواها بعد تكرار الضغط من أبنائها وسؤالهم المملح ، ما هذا الصوت؟

نظر نوح إلى خلفه بحث بعينه عن زوجته في جميع الجهات ولم يجدها وقال في صوت خفي لم يستطع سماعه سوى والدته :أين زوجتي؟ قفزت والدته وقالت: إنني أركض وراء تلك الخادمة اللعينة لأنها دفعت سيلفيا عن الدرج وكانت حاملا وربما وربما توفيت !

(رجت يديها وهي تقول ذلك الكلام وشعرت بأنه سيغمى عليها من الخوف ولن تستطيع النظر إلى وجه أبنائها وكل خطتها ستذهب هباءا منثورا)

صعق الجميع بما سمع وأحس نوح أن الدنيا اسودت في وجهه ارتجفت يداه وراح يركض نحو الدرج ويصرخ بأعلى صوته : زوجتي زوجتي لا تتركيني أرجوك َ

أنهالت دموعه من عينيه وهو يركض رآها ممددة والدماء تملأ وجهها

وشعرها داخل فمها وعينيها، حاول إفاقتها ولم يستطع فاتصل بالإسعاف على عجلة

امسك كنان الخادمة من شعرها : سأضعك بالسجن أيتها الغبية لن أدعك تفلتين من العقاب ستتعفنين هناك في مكانك المخصص

بدأت سارة تقسم بأنها لم تلمسها وأنها من المستحيل أن تريد بها سوءاً أو ضرراً، وقالت : ستصحو وتقول لكم من الذي دفعها ويريد التخلص منها (جنت سارة لهذا الاتهام الشنيع وبدأت تصرخ وتولول)

ونظرت إلى السيدة سيلين وقالت: سنرى من يكذب في نهاية المطاف

صفعها كنان وقال: أنتكذبين أُمي أمام مرأى عيني؟

فحاول خنقها وأن يأخذ بثأر زوجة أخيه ودفعها ثمن فظاظتها مع والدته

لكن سحبتة صوفي و روز وبشدة لكي يترك الخادمة ولا يبالي بها وقالوا له : لا توسخ يديك بأناس من الطبقة الفقيرة والهمج فتلك مجرد خادمة ومكانها تحت القدمين فقط أو بالسجن مع القتلة واللصوص أمثالها

نظرت روز مشمئزة وبدأت تهدئ من روع زوجها وتقول : ليس هنالك داع يا زوجي بأن تهدر دم أناس لا قيمة لهم حتى أن قتلهم يقلل من شأنك وقدرك وسيحسبونها عليك واحدةً من البشر

بكت سارة من ذلك الكلام الجارح وفعلاً أحست كم أن مراسل يعاني كل يوم وهو في اكتئاب بسبب تلك المعاملة وإحساسك أنك لا شيء، عديم القيمة وأنت لمجرد اختلافك عنهم تدور أصابع الاتهام نحوك ولا تملك حتى خيار أن تدافع عن نفسك وتُضطرَّ حينها إلى أن تبقى صامتاً إلى

أن تُبان وتظهر الحقيقة التي ستبرئك عاجلا ليس آجلا ويقينك بالله هو الذي حسبك على ما يقولون، فتذكرت الآية الكريمة ودمعها ملاء خديها، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ إِذْ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٠٤﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾

وصل الإسعاف أخيرا

وخرج آدم ورأى البيت مقلوبا رأسا على عقب سأل : ماذا هنالك ؟ ما الذي يجري هنا ؟

أخبروه بما حصل فصعق كالأخرين لم يستطع حتى أن يتكلم من شدة دهشته

أمسكت سارة ذراعيه لآدم وقالت: أرجوك يا سيدي أنا لم أفعلها أرجوك

_ الآن المهم هو سلامة سيلفيا وبعدها لكل حادث حديث

ركضت الأسرة إلى المشفى الخاص وكانت سيلفيا حالتها جد سيئة

بدأ المسعفون عملهم بسرعة فائقة إلى أن وصلوا المشفى وكانت توشك على أن تفارق الحياة والظاهر على أنها لن تعيش إلا لأيام معدومة

بقي الجميع متربصين في غرفة الانتظار ونوح ملاً الدمع عينيه ويحاول شقيقاه أن يخففا عليه: لا تقلق ستكون بخير

خرج الطبيب جو الذي يعمل في المشفى بعد طول انتظار وقال بأسى وحزن : لقد فقدنا.....

أزل العم الطيب مرسال من السيارة ووضعه على الكرسي المتحرك لأن والدته أصرت على أن يذهب به لكي يسهل عليه الحراك وكان يريد العم الطيب أن يجر الكرسي إلى داخل المدرسة ليسهل عليه إكمال الطريق

قال سالم : أيها العم إذا أردت أنا سأدفع كرسي مرسال إلى الداخل

_ لكن يا بني أخشى أنك لن تقدر

_ لا تقلق سأدفعه بجسمي وسأكون حريصا عليه

_ كما تشاء يا ولدي

قال مرسال لسالم وهو يدفعه : أتعلم شيئا يا سالم ؟

_ ماذا ؟

_ تملك عينان تشبهان لونا عينا

_ لقد لاحظت ذلك منذ أن فتحت عيني ورأيتك

_ أتلاحظ أن شهما غريب ؟

_ وتلاحظ أن لديك ساقين وأنا أملك يدين

أحس كل منهما أنه جاء ليكمل الآخر وأن لا يشعر الآخر بأنه ولد ناقصا، كانا يريدان أن يقولوا لبعضهم البعض خذ ما ينقصك مني فهو لك، ولكن يكفي وجودك إلى جوارني يكفي أن تشعرني أننيأنني لست بعاجز، يكفي أن تقول لي أنني لست بعبء عليك أو بأنك تخجل من وجودي بقربك، يكفي أن تكون إنسانا!

البشر لا تبحث عن الشيء الذي ينقصها بل من يتقبل نقصها وعيوبها

والذي يكملها لتصبح أجمل فنحن بطبيعة الحال نسعى للكمال، فما أجمل أن نجد ذلك الشخص الذي يتقبل عيوبنا ونرى بعينه كمال أنفسنا وإن نَقُصَّت

_أتعلم يا سالم؟

_ما الأمر؟

_لديك ابتسامة جد جميلة وبسببها شعرت بأني أفضل، فقد أمدتني بالتفاؤل وشعور لم أشعر به من قبل

_حقا؟

_ بكل تأكيد الله أعطاك شيئا جميلا غير الابتسامة

_ ما هو؟

-الطموح، لقد زرع فيك الله التفاؤل والطموح وأعتقد بأن هذا الشيء لم يعطيني إياه الله ولكن أعتقد أنه وضعها في الشخص المناسب حقا

عندما دفع سالم مرسال بصدرة أحس سالم لأول مرة بأنه ليس ناقصا وأنه بالفعل قادر على مساعدة من هم بحاجة إلى مساعدته وأنه يستطيع أن يمنح الكثير من الأشياء للآخرين، أحس منذ تلك اللحظة أنه أصبح مسؤولا عن حماية شخص بالفعل يحتاج إليه وأن في هذا العالم الكبير من هم أسوأ حالا منه _ لا أقصد الجسدية بل النفسية فكثير من الناس عاجزون نفسيا لا جسديا _ فأخذ على عاتقه حماية جميع من يحبهم من ذلك العجز، لأن ذلك الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يحميهم منه .

_لقد فقدنا ...

أنزل رأسه ولم يستطع أن يكمل العبارة لأنه علم وقعها على قلوبهم
صرخ آدم وعيناه ويدها ترتجفان ودقات قلبه لا تهدأ ووضع يديه على
كتف نوح لكي يستعد أن يتلقى الصدمة الكبرى : هيا أيها الطبيب ما الذي
جرى ؟

_لقد فقدنا الطفل

تلقت العائلة ذاك الخبر المميت بشق الأنفس، فوضعوا أيديهم على
قلوبهم يناجون الله أن يلهمهم الصبر والسلوان على مصابهم
قالت رزو: وسيلفيا أيها الطبيب ؟ كيف حالها؟

_حالتها مستقرة الآن ولكن بحاجة للراحة وللهدوء والابتعاد عن التوتر
قدر الإمكان والآن سوء الموقف سيزداد عندما تستيقظ وتعرف أنها فقدت
طفلها أسأل الله لها الثبات أعرف أنها تنتظره منذ ثماني سنوات

إنهار نوح وضرب بيديه على رأسه وعينيه انفجرتا من الدمع، تلفت
أعصابه ولم يستطع تمالك نفسه انقض على الخادمة امسكها من عنقها يُرد
خنقها وإنهاء حياتها حاول والده منعه وهي تستنجد وتقول لست أنا
نظرت وروحها بين يدي نوح إلى سيلين: كيف يمكنك فعل ذلك والجريمة
الأكبر أن تلفقي لشخص بريء تلك التهمة الشنيعة

بدأت سارة تحاول أن تلتقط نفسا واحدا يساعدها على أن تبقى حية
إلى أن يخلصها أحد من بين يديه أزرَّق لونها قالت في نفسها تلك هي
النهاية سأموت واحمل ذنبا لم ارتكبه سأموت وسيحمل كل من في هذا

البيت وزري سأموت ولن أسامحها لن أسامحها أبدا

أغمضت عينيها وتلوّثت بذنب ليس ذنبها

أغمضت عينيها ولم تستيقظ قط. ﴿٣﴾ ...

دخل مرسال وسالم لتلك المدرسة ولم يعرفا أن هنالك طريقا جديدا
سيسلكانه وأن هنالك تحديات جديدة بانتظارهما

منذ دخولهما توجهت الأنظار إليهما شعروا بأنهما دخيلان في تلك
المدرسة لم يسّلما من نظرات الصغير قبل الكبير وبالطبع الضحكات المعتادة
عند رأيتهما ولكن في هذه المرة رأيتهما مع بعضهما شكلت لوحة ورابطة
عجيبا، وقول الأطفال في ما بينهم وهم يتضحكون: أحدهم لا يملك يدين
والآخر لا يملك قدمين

لم يدركوا أن ذلك الرابط لم يكن عاديا لم يدركوا أن سر كمالهم يمكن في
جوهرهم و في قريهم

دق جرس المدرسة ليصطفوا في الطابور الصباحي سعد مدرس التربية
الرياضية ليبدأ مع الطلاب النشاط الرياضي

بدأ وقال : هيا أيها الطلاب يداك إلى الأمام

بدأ الطلاب بالضحك وبالنظر إلى سالم ويقولون له : يا هذا لِمَ لا تسمع
للأستاذ؟ نعم صحيح لا تستطيع فتبادلوا الضحكات بصوت عال وسط
صرخات من أستاذهم بأن يتوقفوا وأن يتمرنوا بالشكل المناسب نظر مرسال

إلى سالم وفي عينيه حزن كبير وأسى شعر أنه قد يحتمل أن توجه الإساءة إليه ولكن لن يتحمل أن توجه لسالم تلك الإساءة فضل أن يتحمل هو الإهانات على أن يرى سالم بعينه دمعة الحزن، والخجل يقتل وجهه

وبعد عدة تمرينات وصل الأستاذ لتمرين الهرولة انتقلت الضحكات من سالم إلى مرسال لم يعرهم مرسال أي اهتمام لأنه كان يتمتع بشخصية باردة لا يكثرث لما يقال وإن الذي عاشه من قلة الاهتمام ونظرات والده المليئة بالخجل جعلته يكتسب شخصية لا مبالية في هذه المواقف، ومع انتهاء الضحكات ومرور تلك الدقائق المعدودة التي كانت على قلب سالم أشبه بالساعات

أوقف مرسال سالم بعيداً: سآتي بعد قليل

_ حسنا ولكن إلى أين ؟

_ سآتي انتظر _ من فضلك _

ذهب مرسال لمدرس التربية الرياضة وألقى عليه التحية : صباح الخير يا أستاذي

_ صباح النور، أهلا يا صغيري كيف يمكنني أن أساعدك هيا أخبرني؟

قال مرسال وعيناه بالأرض : هل ... هل يمكن أن لا يحضر سالم الطابور الصباحي إذا سمحت؟

_ استغرب الأستاذ وسأله : لِمَ؟ ومن هو سالم؟

أوجه مرسال عيناه لسالم : ذاك هو سالم

_ آه، حسنا ولكن لِمَ تطلب مني ذلك ؟

ـ هناك بعض الطلاب يوجهون إليه كلاما قاسيا وهو يملك قلبا طيبا لا يتحمل مثل ذلك الكلام

اقترب منه المعلم بلطف : وأنت، أتحتمل ذلك الكلام الذي يوجه إليك ؟ لأنني أعتقد أنك تسمع مثل ذلك الكلام الذي يقال لسالم
ـ أتحمل ذلك، ولكن لا أطيق رؤية سالم بقلب مكسور والكلام الجارح
يملاً تعابير وجهه

تأثر المعلم لما قاله مرسال فاقترب منه : التضحية جميلة والأجمل من ذلك عندما تأتي من أخيك أقرب الأشخاص إليك
ـ صحيح يا أستاذي ولكنه ليس أخي بل صديقي

ـ حقا ؟ ظننت أنه أخوك أو ستقول على الأقل إنه مثل أخاك

ـ لم أعرفه سوى من فترة قصيرة ولكن أشعر بأي أعرفه منذ سنوات، ولا يمكنني أن أقول عنه أخي لأن ذلك اللقب يحتاج إلى مواقف ليحصل الشخص عليه ويتوج بشرفه، يجب أن ننتظر تلك المواقف لكي لا ننصدم بواقع الشخص ولكي لا ننتظر شيئا من أحد وأن لا نعلي سقف توقعاتنا، لأن في النهاية قلبك الذي سيتحطم إلى أشلاء

دهش المعلم من ذكائه وقال : اسمع يا مرسال سأسألك سؤالا وأريد أن تجاوبني بصدق

ـ تفضل يا أستاذي

ـ ما الشيء الذي يعجبك في سالم ولم شعرت أنك تعرفه منذ سنوات؟

ـ السؤال الصحيح هو ما الشيء الذي لا يعجبك في سالم!

لأنني لا أعتقد أن هنالك شيئاً لا يعجبني به فهو بصمة الأمل وغلاف التفاؤل، فاعتقد أنه يملك قلباً طاهراً لا يصلح للعيش في هذا العالم ولديه فوق كل ذلك ابتسامة وعينان جميلتان بهما إشراق عجيب، أتعرف يا أستاذي شيئاً ؟

_ أخبرني ؟

_ أنني رغم عيوب سالم المرئية إلا وأني لا أكاد أراها، فخصاله قد سبقت عيوبه بأشواط، ومن المؤسف أكثر أن تلك العيوب ليست خُلقية وإنما خَلقية، والمحزن في ذلك أن السخرية نتعرض عليها لا لأخلاقنا بل لاختلافنا، إذ كان هنالك شيء في هذا العالم يستحق السخرية فهي أخلاقهم الفظة وسوء تربيتهم الشنيعة وعدم إنسانيتهم اللامتناهية والغير مبررة

ابتسم المعلم له : أنا فخور بك وبذكائك يا مرسال حسنا ليس هنالك أي مشكلة إن لم تحضرا الطابور الصباحي وحتى حصة الرياضة يمكنكما عدم المجيء أنا أعفيكما منها، يكفي أن تأتيا لإلقاء التحية علي فقد شعرت أنني بدأت أحبكما

_ بكل تأكيد يا أستاذي، سنفعل ذلك وشكرا لتفهمك

مسح الأستاذ على رأس مرسال وهو فخور منه : لا عليك يا صغيري لا عليك

قال المعلم في نفسه : سبحان المعبود وسبحان المعطي والآخذ وسبحان من يسخر لنا أناس ليخففوا عنا تعب هذه الحياة وسخطها وسبحان من يأخذ منك شيء ليعوضه لك بشيء آخر فسبحان الخالق جل شأنه.

أعطى مرسال ذكاء ودهاء لم يسبق أن أعطاه لأحد من عمره وأعطى

سالم قلبا قنوعا متفائلا، فجمع بينهما الخالق ليكمل كل منهما الآخر كمالا روحيا قبل جسديا فمرسال سيحمي سالم من خبث الناس وشرهم وسالم سيحمي مرسال من التشاؤم ووخمه، هذه الطريقة الوحيدة ليخبئ كل منهما الآخر من العالم وقسوته.

بعد ما دخل الطلاب إلى الصفوف ومساعدة العم الطيب مرسال ليصعد إلى صفه وبصحبة سالم وأوصلهما إلى الباب وقال : سأعود لأخذكما عندما تنتهيان

قال سالم لمرسال : ما الذي تحدثت به أنت والمعلم؟

_ لا شيء، طلبت منه أن لا أحضر التمرينات الصباحية لأني أنزعج ووضعي الصحي لا يسمح بذلك وأخذت أذنا لك أيضا قلت له إنك تساعدني بالتنقل

_ هل وافق ؟

_ نعم إنه شخص لطيف إلى حد ما

فرح سالم بذلك كثيرا وقال :فكرة جيدة ولكن أليس هذا يعتبر كذبا ؟

_يا عزيزي الرياضة لأناس تملك قدمين وتريد أن تبني عضلات جسمها لذلك يسمونها كمال الأجسام أما أنا أفترق لوجود الأساسيات، بالطبع لن أذهب وأقول له : لا أريد أن أحضر وعندما يسألني عن السبب أقول له: أيها الأحمق ألا ترى أن جزءا مهما من جسمي مفقود!

وبدل ما أمتنع عن التدريبات سأمتنع عن المدرسة كلها

ضحك سالم وقال : كم أنت مضحك يا مرسال أحب رفقتك كثيرا

_أتحبني لأنني مضحك؟

_لا لأنك ذكي

_جميل، ذكي ومضحك صفات جميلة هيا لنذهب

_هيا

دخلا الصف وبدأت نوبات الضحك تشتعل بين طلاب الصف جلس الجميع على كرسیه ولكن تركوا لهم كرسیين فارغين
جلس سالم في المقعد ولكن مرسال أزاح المقعد لكي يجلس بكرسیه
عوضا عنه

بدأ ولد سمين يرمي عليهم الورق المليء باللعب ويلزقه بشعرهم
ليضحك الجميع عليهم، ويصدرون أصواتا مزعجة ويصفرون بأذانهم لعلمهم
بأنهم عاجزون ولا يستطيعون حتى قول كلمة لا، فإن عجزهم يحرمهم من
أبسط حقوقهم، عندما يكون المجتمع ليس لديه أي شفقة ولا رحمة
ويعيش ويأكل على إذلال غيره ومتعطش لآلمه

دخلت المعلمة وجلس كل منهم في مكانه وقالت: هيا أيها الطلاب
ليخرج منكم دفتره سأختبر معلوماتكم في الرياضيات

أخرج الجميع ورقة وكان سالم حجمه جد صغير وكان يخجل من أن
تراه مدرسته بذلك الشكل فكان يحشر جسمه إلى داخل بحيث لا يظهر من
جسمه سوى رأسه

فبدأت المعلمة تتجول للتأكد أن الطلاب سمعوا كلمتها وصلت لآخر
الدرج ووجدت أن سالم الوحيد الذي لم يخرج ورقة زارت في وجهه و رطمت

يديها بكل قوتها على الدرج وقالت له : ألا تسمع الكلام أيها الأحمق الغبي
وصرخت بأعلى صوتها : أتتحداني بهذه التصرفات (قالت تلك الكلمات ظنا
منها أن جميع الطلاب متشابهه يشتركون بالمشاغبة وقلة الاحترام) ألم
تعلمك والدتك الاحترام والأدب ؟

أصفرّ وجه سالم وأصبح وجهه دما قانتا وقال : أأنا ... أأنا لا أستطيع
أمسكت بإذنيه ورفعت رأسه للأعلى وقالت وهي تفتح فمها بوجهه
على أوسع: لماذا أيها الأحمق أليس لديك يدان ؟

أكملت وقالت: غبي، معتوه أنا برأيي أمثالك يجب أن يبقى في المنزل
وإن تغسل القدمين وتجلس تحت البقر وإذا جلست مكانها يكن أفضل...

قالت هي تلك الكلمات وبعد ما انتهت منها أفلتت بلحظتها أذنيه

وقف سالم مرتجف الجسم خائف القلب منتزع الروح مزرق الوجه
وقال لها وهو يبكي بحرقة قلب وفي خنقة صدر، كان يريد أن يضم يديه إلى
صدره ليخفف دقات قلبه ولكن لا يوجد باليد حيله ولا يوجد حتى يد
لفعل ذلك!

_ن...نعم ليس لي يدان

أُغْرِقَتْ رُوحُكَ يَا سَالِمَ أَمَا وَخَوْفًا قَبْلَ أَنْ يُغْرِقَ سُرُوكَ 

سقطت سارة عن الأرض مزرقه الوجه لفظت أنفاسها الأخيرة وهي
تستنجد وتستغيث لقد راحت ضحية ذنب لم تقترفه، شاهدها الجميع

تسقط وسط دهشة وخوف، أصبح نوح قاتلاً حاكم الفتاة دون تحرٍ أو تقصٍ وثق بكلام والدته، هذه ضريبة كل من يثق ثقة عمياء ويسلم عقله وقلبه لم ليس أهل به

تعالت الصيحات : لقد قتلت، لقد ماتت م.. ماذا سنفعل الآن؟

خاف نوح كثيراً تخبأ خلف والده طالبا منه المساعدة، أسرعوا ليأخذوها للطبيب ليس خوفاً عليها بل خوفاً على نوح من حبل المشنقة
اجتمع الأطباء حولها وقاموا بما يلزم من إسعافات أولية لإنقاذ حياتها وأخذوها ليجروا لها الإسعافات اللازمة بأقصى سرعة

ارتجف نوح وقال لوالده وهو يقبل يده ويحتضنه : أبي لا أريد دخول السجن أرجوك أبي لقد كانت لحظة فعل طائشة لم أملك نفسي، فقدت طفلي ولم أعلم به حتى، كان أمني بأن أشعر أنني أب حقيقي لكي أشعر بمعنى الأبوة الحقيقي ويعوضني عما عشته مع مرسال، أرجوك يا أبي أرجوك !

ضم آدم ابنه وقال : لا تقلق يا بني لا تقلق لن أدع أحداً يأخذك مني
ضمت سيلين نوح وقالت له : لا تخف يا ولدي والدك سيحميك لا تخف

وهي تضمه كان همها الوحيد _ ليس نوح أو غيره _ إن تكلمت سيلفيا وقالت أن الخادمة ليست هي الفاعلة ستكون أرتكبت ثلاث جرائم في الوقت نفسه: دفعها لسيلفيا، وضع التهمة على الخادمة، وبسببها نوح سيدخل السجن لمحاولة قتل الخادمة

شعرت أنها في ورطة كبيرة ولا تستطيع الخروج منها نظرت إلى غرفة

سيلفيا وقالت في نفسها : إن أخرست تلك الحمقاء ستحل كل المشاكل

فيجب أن اسكتها للأبد لكي أكمل خطتي واستحوذ على كل شيء

رن هاتفها فأجابت : بخير .

_ أشعر بأن صوتك غير مريح هل حدث شيء

_ نعم

أغلقت الهاتف وذهبت إلى عائلتها وأخبرتهم أنهم يجب أن يرتاحوا ويذهبوا ليشربوا شيئاً ليخفف عنهم وأنها هي ستبقى هنا وستتطمئن على سيلفيا وتعلمهم إن استيقظت ، لم يرضخ الجميع في البداية ولكن مع إصرارها وإلحاحها وافقوا أخيراً، ارتكى نوح على والده لأن مصيبتته أصبحت مصيبتين

فخائته قواه ولم تستطع قدماه حمله فساعده والده وذهب به ليستنشق بعض الهواء النقي ذهبوا إلى المطعم الخاص بالمشفى، تأكدت سيلين أن الجميع ذهب ولم يبق أي أحد

تسللت إلى غرفة سيلفيا وهي تمشي بخفة لكي لا يلاحظ عليها أحد دخولها خفية لأن الزيارة كانت ممنوعة بأمر من الطبيب، دخلت عليها ووجدتها نائمة بعمق اقتربت قليلاً وهمست بأذنها : يجب أن تموتني وموت السر معكِ إلى الأبد مددت يدها على الوسادة تريد أن تخنقها اقتربت وقبلها على يدها أن يدخل أحد على الغرفة، استجمعت قواها وكادت أن تنقض عليها فسمعت صوتاً من الخلف يقول لها : ما الذي تفعلينه هنا ؟

التفتت للخلف وشاهدت الممرضة فقالت بصوت يائس حزين والدموع على خدها : يا لكنتي المسكينة جئت لأطمئن عليها لا تعرفين كم

أحبها وقلبي... قلبي متعلق بها

_ لكن يا سيدتي أوامر الطبيب واضحة

_ أعلم أعلم ولكن غلبتني العاطفة فأنا امرأة عاطفية لا أستطيع التحكم في عواطفِي ومشاعري أرجوكِ دعيني فقط انظر إلى وجهها الجميل لكي أرتاح وتنطفئ النار التي في قلبي آآه يا عزيزتي المسكينة فقدت طفلها الذي كانت تنتظره كيف سأقول لها عندما تستيقظ كيف سأواجهها بتلك الحقيقة المرة

حزنت الممرضة عليها واحتضنتها وقالت لها : لا عليكِ ستكون بخير، أهنئ أن يكون الجميع ببقاء قلبك وصفائه سيكون العالم أجمل بكثير، يمكنكِ البقاء يا سيدتي ولكن أحرصى على راحتها أولاً

_ شكرا لك شكرا يا لك من لطيفة لن أنسى معروفك هذا

خرجت الممرضة وأغلقت الباب وعادت سيلين إلى رشفها ومسحت دموع التماسيح تلك وقالت : مكياجِي فسد بسببكِ أيتها الممرضة الخرقاء، والآن لنعود للعمل جاء دوركِ يا صاحبة الوجه القبيح، سيقطع لساني أن مدحتكِ مرة أخرى، قال جميل قال

رجعت وأمسكت بالوسادة، وفي حركة لم تكن بالحسبان فتحت سيلفيا عينها وابتسمت لها ضاحكة : مفاجئة ! هل أخفتكِ ؟

صعقت سيلين لما رآته وقالت : أأأ...ألست نائمة

قالت مستهزئة : كنت ولكن الخير في صوتكِ ونحيبك وتمثيلكِ المتقن يوقظون الميت ليس النائم وحسب، لا تنظري إلي هكذا وتندهشي خبئي القليل منه لأنكِ ستحتاجين تلك النظرة كثيرا في الأيام القادمة، أعدكِ بذلك

(وأمسكت ذقنها بيد وشعرها بالأخرى وتنظر إليها بنظرة الانتصار)

وقالت : أنا أعرف أنك لم تفهمي شيئاً لا تقلقي أنا سأشرح لك، نعم أنا حامل وحامل منذ ثلاثة شهور وطلبت من الطبيب ألا يخبر بحجة أنني أريد أن أقيم حفلة مفاجئة لكم بذلك الخبر السار، وأن الابن الجديد قادم لهذا البيت، لم يعترض الطبيب على ذلك وقال: بكل تأكيد ولكن لا تطيلي لأن أكثر من ذلك سأقع بمشاكل مع السيدة سيلين قلت له : حسنا لا تقلق كل الأمور بخير

ثم ذهبت لعمل فحوصات للجنين ومع الأسف لم يكن نوح والدة الحقيقي

شعرت سيلين بأن أحدهم قد رطمها بصخرة كبيرة، ظلت فاتحة الفم مندهشة العينين لم تستطع قول جملة واحدة مفيدة لم تصدق أذانها ما قيل للتو

فأكملت وقالت : فذهبت لوالد الطفل وقال لن أتحمل مسؤوليته وأنا كنت سأتخلص منذ ذلك الطفل ولكن بعد فحص الأبوة إذا لم يوافق الأب الحقيقي على الطفل وبالفعل لم يوافق فقررت أن أتخلص منه ولكن قلت لنفسى : لا لا أريد أن أتخلص منه بتلك البساطة يجب أن أكون الضحية فقلت للطبيب إني لا أريد أن أخبر العائلة و سأذهب إلى أمريكا وأنجب ولدي هناك كما فعلت مع مرسال اعترض الطبيب بشدة وقال لي : سيويخني السيد والسيدة إن علما بالأمر وأني شاركت معك بإخفائه قلت له: لا يهمني أفعل ما تشاء سأقلع غدا الساعة الثالثة وهددني أنه سيخبرك بذلك، لم أكثرث لكلامه و ذهبت وكنت أعرف أنه ينتظر خروجك "للكراج" عندما أخذ العينة ولما أحس أنك تأخرتي أو لا تريدين الخروج أتصل بك على

الفور ولم يخبر نوح بالداخل لكي لا تنفجري بوجهه وتقولي : كيف لم تخبرني بذلك منذ البداية وتهزئين به أمامنا .

فنظرت إليها ساخرة ومستمعة برؤيتها عاجزة واقتربت وهمست بأذنها : من يدري من هو والد ذلك الطفل!

فضحكت سيلين بأعلى

_ ك..كيف... كيف لأب أن... أن

_ سيلين، سيلين عزيزتي سيلين، جميعا نعرف أن نوح طفل متبنى تبناه السيد آدم لأنك عانيتِ من مشاكل أثناء الحمل وعندما كبر تعلقتي أنتِ والسيد آدم به ولم تستطيعا تركه، فلا تقولي ولده

_ أيتها اللعينة

_ أعرف الكثير من الأشياء وستكشف واحدة تلو الأخرى، وأولها من أوقع بي على الدرج وسبب في إجهاض طفلي الحبيب وحرمني من أكون أماً لمرة أخرى

_ الأ تخافين أن أقول ذلك الكلام لأحد

_ كلا، لأني سأقول أنك مريضة ومختلة عقليا وتتهميني بأنني أخون زوجي مع والده وهاجمتيني لكي أعترف بذنب لم أقترفه وعندما أنكرت كل التهم وقلت لها أنني الآن أم من جديد بعد ثماني سنوات ، أريد أن أعيش مع طفلي بسلام وأنجب لمرسال أخا، فقالت بصوت عالي تلمح وتقول : من والده الحبيب !

اقتربت منها سيلين بملامح رجاء وقالت لها : ماذا تردين مني أن أفعل

_ جميل حقاً، ستسكتين، سأسكت ستتكلمين سأتكلم وأني أقسم لك أنني أعرف أشياء عنك أنتِ بذاتك قد تكونين دفنتها ونسيتي أيضاً أين هي مدفونة فتصرفي كالعقلاء وألا محيت وجودك ليس فقط من البيت بل من الحياة كلها

ارتعبت حينها سيلين وأحست أن هذا التهديد ليس مجرد تخويف وتعريب بل أخطر من ذلك بكثير شعرت بأن الثقة التي في عينيها والجرأة بالكلام تلك ليست كلاماً فارغاً

_ لِمَ تفعلين كل ذلك ؟

_ أنا وأنتِ متشابهتان يا عزيزتي سيلين كلانا لا نحب زوجينا ولا نحاولي إنكار ذلك والأيام ستثبت أنني على حق وسندعها تحكم بيننا، المهم أنا أجبرت على زواج من النوح لأجل النقود والمال والسلطة واضطرت أن أفسخ خطبتي لشاب أعرفه منذ سنوات بسبب أوامر أبي وأن حياتي ستكون أفضل مع نوح ولكن حياتي تحولت إلى جحيم من ذلك اليوم، لذلك ستزيحيني من رأسك تماماً والتحليل التي ستقومين بها ستستثنييني منها نهائياً لأنني لا أريد الإنجاب من نوح إطلاقاً وستقولين إن الخلل منه

_ لا يمكنني فعل هذا !

_ يمكنك تزويرها قبل دخولها وتقولي أن سبب التأخير من نوح وليس مني، ولا تخبري الطبيب جو لأنه سيقول لك شرف المهنة وذلك الكلام الفارغ الذي يقوله الأطباء في تلك المواقف

_ حسناً حسناً سأحاول

_ لا لن تحاولي، بل ستفعلين ها أنا قد حذرتك ستفعلين كل ما أمرك به
وإلا سأفضح الذي حصل وأجعلك تتعفين في السجن، وسأفضح أموراً أخرى
وأنتِ تعرفين ما هي تلك الأمور !

أصاب الرعب قلب سيلين وتنفست بعمق لم تستطع إخراج شهيقها
وعرفت أنها كانت تراقبها وتراقب تحركاتها
وقالت في نفسها : أيعقل أن

نظرت المعلمة بأسى إليه لم تعرف ماذا تقول جمدت مكانها ابتلعت
أحرفها وسط دموع سالم، خرج مرسال من الفصل وتوجه إلى غرفة المدير
أحضره وطلب منه أن يأخذ حق سالم وبدأ يصرخ من قهره على سالم
ومن عجزه الذي تمنى أن يقف على قدميه ليلقن كل من استهزأ به درسا
فقال : انظر أيها المدير أهكذا يعامل الطلاب هنا، نحن من ذي
الاحتياجات الخاصة ولكننا بشر نملك قلوباً، تجرحنا النظرة فما بالك بالنبرة
؟ تكسر قلوبنا لأيام وشهور نتداوى منها بأنفسها لأنها داء من غير دواء لأنها
سهم أن أصابنا أثره سيبقى طوال حياتنا

اللعنة على هذه الحياة التي تجعل منا محتوى للسخرية والاستهزاء،
اللعنة على هذه الحياة التي لم نر منها يوم واحد جميل، اللعنة عليكم لا
بل على قلوبكم التي لا تعرف معنى الإنسانية معنى أن تكون إنساناً،
اللعنة عليكم أيها الوحوش واحدا تلو الآخر، لا أستطيع تصنيفكم من
الحيوانات لأن الحيوانات لا تأكل أبناء قطيعها، لا تأكل من يشبهها لا تأكل

إلا إذا جاعت وأنتم تنهشوننا وتشوهون روحنا ولستم بحاجة لذلك، اللعنة عليكم جميعا، تركنا مدارسنا وتركنا أحلامنا وجلسنا في بيوتنا هدمنا بأيدينا ما تنمناه ونحلم به، أغلقنا على أنفسنا باب العلم والمعرفة، تحولنا إلى قطعة أثاث في المنزل ننتظر أحدهم ليحن علينا وينفض الغبار عنا ويشعرنا أننا بشر وأنكم مخطئون وأننا لسنا همجا ولا هجينين وننتمي لهذه الحياة مثلما أنتم تنتمون، بسببكم قطعنا شغفنا بالحياة ونعد الأيام الثقيل ومنتظر اليوم الذي سترفع فيه جنازتنا وننام إلى الأبد حاملين ثقل كلامكم وعبء نظراتكم إلى قبورنا، سنذهب يوما ما إليه سأخبره بكل شيء فهو وحده من يسمعنا ويشعر بنا.... هو الله!

وختم كلامه بدموع، وجنتيه لم تعد تحتملان ثقلها وتحرك بكرسيه نحو سالم ومسح دموعه وخلع معطفه الذي أعطاه إياه نوح - أجبرته والدته على ارتدائه لأنه دافئ- وغطى به سالم لكي لا يشعر بالخجل لأنه بلل ثيابه من الخوف وقال له : هيا لنمشي إلى الخارج، سأجعل العم يحضر لك شيئا من عندي، هيا لنذهب

مشى سالم وحمل في طيات هذا الموقف ذكرى سيئة، فأول مرة قد بلل بها ثيابه عندما ربطته والدته بالسريير لأنه رفض شرب ذلك الحليب، شعر بأن الحليب المليء بالبول الذي رفض أن يشربه اصطحبتة لعنته إلى الأبد وقال في نفسه مؤنبا : ليتك شربته يا سالم، ليتك شربته !

لم تتفوه المعلمة بأي كلمة خرجا وكان قلبها يتقطع لما فعلته كيف أهانت طفلا صغيرا وكسرت قلبه هكذا وتسببت له بذلك الشرخ في قلبه وضعت يديها على رأسها من خجل ما فعلته ومن الذنب العظيم الذي اقترفته من أجل لحظة تسرع وطيش هنا علمت أن الأمور أحيانا لا تكون

كما يبدو لنا وأن هناك حقيقة خفية وراء كل مجهول وداًماً هناك جواب آخر غير الذي في رأسنا وأتينا أحياناً نعطي إجابات لمواقف لا يجب أن نستبق عذرها ونحدده وحدنا من تلقاء أنفسنا وأن الحقيقة وأن كانت ناقصة لا يجب مليء فراغاتها بتكهانات من نسج خيالنا، ويجب علينا الحذر أن السؤال الواحد ليس له إجابة نموذجية واحدة وأن عيشك في وسط قدر هذا لا يعني أن الجميع متسخون بسوئه ولا يعني أن لدينا الأحقية في اتهامهم جميعهم أنهم ملطخون وملوثون بمياهه، سوء تجاربنا وسوء الأشخاص الذين قابلناهم جعلونا نحكم على الغلاف من عنوانه وعلى الصفحة من الكلمة الأولى وعلى الموقف من تكرار بدايته إذ حمل نفس الطابع الموقف الذي قبله، جميع أولئك الناس السيئين في حياتنا جعلونا نفقد الأمل بوجود بذرة خير صالحة في قلوب بعض البشر، خسرنا معظم الذين نعرفهم ظناً منا أنهم كسابقتهم، لا نعرف أنلوم أنفسنا أم نلوم مجتمعنا؟ الأشخاص الطيبون يروحون ضحية تلك التجارب القاسية وتلك الحروب الأليمة وتلك الأوجاع التي تحملناها فوق ظهورنا لم نعد نستطيع أن نتحمل أكثر من ذلك فقد خلفت تلك الحروب أوجاعاً جَمَّ في قلوبنا أصبحنا أناساً آخرين لا نعرف أنفسنا ألبستنا قناعاً لا نحب أرداءة جعلت منا محاربين بشخصيات دفاعية، رمينا رحمنا وحملنا درعنا واستعدنا للدفاع لم يعد هناك طاقة لأن نحارب خسرنا كنانة عزيمةنا بوقائع كانت كالخنجر على أعناقنا ففضلنا الدفاع عن أنفسنا على أن يتم قتلنا ونحن نحارب من أجل أشخاص كانوا يحملون السيف وراء ظهورنا ظناً منا أنهم يدافعون عنا ولكنهم كانوا ينتظرون لحظة سقوطنا ليجهزوا علينا بالضربة الأخيرة وليضمنوا قتلنا وأننا سنصل لقبورنا لا محالة، كل ذلك كان كفيلاً لجعلنا أناساً غرباء عن أنفسنا، كبتنا جرحنا فانطلق بوجهنا كالسهم ليتنا

قاتلنا شعورنا، ليتنا لم نفضل الاختباء ليتنا لم نفضل النسيان ليتنا رددنا الجرح أضعاف ليتنا أشعلنا حربا ثانية في وجه من غدروا وخذلونا ليتنا فعلنا ذلك ولم نبق نضع المالح على الجرح ونكتم ألمنا حتى أنفجر في وجهنا وخسرنا، نعم خسرنا فقد أشعلنا نيرانا في وجه مواقف وأشخاص لا تستحق ذلك ولا تستحق عنا الصراخ حتى، خضنا حربا على الآلام الصغيرة لنهدأ من نفسنا ولنخفف حملا على قلوبنا ولنقول لأنفسنا ها قد أخذنا حقا بأيدينا ولكن هيهات ! على من شينهاها؟ لنفرغ طاقاتنا لنشعر بأننا أفضل لنعبر ونصرخ ونفرغ أوجاعنا بشيء لا يكاد يذكر لنخفي وجعنا وآلامنا الحقيقية والسبب الرئيسي لصراخنا ذلك، لا نريد أن نقول لأحد عن أوجاعنا الحقيقية ولكن في نفس الوقت نريد... نريد أن نخرج تلك الآلام بآلام صغيرة، الندبات الكبيرة ستخلد دائما داخل الصغيرة وستنفجر داخلها لا محالة، فيجب أن نحرص أن نخوض حروبنا في أوانها أو نخلق حربا وقت ما نكون مستعدين لذلك لكي لا تنشئ حربا بين ذاتنا ونقاوم أنفسنا ونكون قد لعبنا ضد الشخص الخطأ كل هذا لكي لا نخسر أنفسنا ونخسر من نحب .

لم يقل المدير للمعلمة ولطلابها ولا كلمة _ سوى اقتباس للفيلسوف " جان جاك روسو" _ وذهب :

"يولد الإنسان حرا ولكنه في كل مكان يجر سلاسل الاستعباد"

_والآن أريد منك أن تذهبي وتخبريهم أنني استيقظت وأني بحالة جيدة نوعا ما

_ولكن هنالك مشكلة

_قولي ما هي ؟

_لقد ظننت أنك ستموتين فاتهمت الخادمة أنها دفعتك... و .. ونوح
خنقها وربما لن تعيش

_جميل هذا ضمان آخر لكي لا تفتحي فمك

_ماذا؟

_لا عليكِ أنا سأحل الأمر والآن اذهبي وكوني الحماة الحنون وقومي
بمدحي والنحب قليلا من أجلي...هيا

_حسنا

خرجت سيلين من عند سيلفيا وهي تلعنها وتشمها وكيف أنها
أصبحت دميمة تحت رحمتها،ذهبت إلى المطعم لتخبرهم أنها استيقظت

_سيلفيا استيقظت ووضعها جيد نوعا ما

_نوح : أحقا؟

_أجل يا بني

أسرع نوح وعائلته لرؤيتها ودخلوا إلى الغرفة ووجدها منهارا من
البكاء وتشد بشعرها وتلطم على وجهها

_لقد فقدت طفلي وأملي الوحيد في هذه الحياة ماذا أفعل الآن كيف
سأعيش كيف سأنجب لِمَ يحصل لي كل هذا ؟

لا عليكِ يا عزيزتي المهم صحتك بخير ستنجب طفلا أجمل إن شاء

_الله

_لا، أريد طفلي ذاك لا أريد طفلا غيره

علامات الحزن والاستياء باتت واضحة على الجميع وانهارها المتقن
وأدائها الفذ لا يكاد أن يشك بأنه تمثيل

طرق الطبيب جو الباب وقال : سيد آدم هل لديك بعض الوقت

_ها أنا قادم

_أمر الطبيب جو إعطاء سيلفيا إبرة مهدئ لكي ترتاح قليلا وأمر بأن
يتركوها لوحدها ترتاح وتخفف الضغط على نفسها اجتمعوا في الساحة
الخارجية للمشفى منتظري آدم، مشى آدم رويدا رويدا وفي وجه الحزن، هزه
رسلان وقال : ماذا هنالك يا أبي، أبي ما الأمر أخفتنا؟

_س...س...سارة!

صرخ الجميع بصوت واحد : ما بها ؟

_لقد ماتت

رضخ الجميع أرضا من هول الصدمة لم يتحملوا الخبر لقد حلت عليهم
مصيبة أخرى فوق مصيبتهم ولكن هذه المصيبة أكبر وأعظم من سابقتها

حتى نوح رأسه تحت قدمي والدته وقال لها: أرجوك يا أمي أنقذيني
سيأخذونني سيراجعون الكاميرات وسيعلمون أني خنقتها وسأذهب للسجن
طوال حياتي

حضنت سيلين ولدها وهي خائفة : لا تقلق يا صغيري أنت بأمان لن

يمسك أحد

_آدم لنتكلم على انفراد

_حسنا

_هيا خذوا أخاكم وأجلسوه قليلا وأحضروا له شيء ليشربه

_كنان: حسنا يا أمي، هيا أخي هيا بنا لا تقلق والدتك ستحل الأمر

_ ماذا سنفعل يا آدم الآن ؟

_تكلمت مع الطبيب جو وقال لي : إن لم أكتب تقريرى بمهنية
سيعرفون كيف ماتت في الطب الشرعي إذا أصرَّ أهلها على ذلك وان أصرّوا
سيعلمون أني تلاعبت بالتقرير وسأخسر مهنتي للأبد،وعندما قلت له :
سأعمل أي شيء

نظر الي بحزم وقال : سيد آدم أنا أحترمك كثيرا ولكن أنا لا أريد أن
أخسر مهنتي في الطب وعن إذنك أريد أن أذهب لدي عمل

_الأحمق يدعي الاستشراف إذن

_سيلين الأمر ليس فقط متعلقا بدخول أو خروج نوح من السجن

_ماذا هنالك ؟

_نوح لا أحد يعلم أنه متبنى ولا حتى إخوته، إذ دخل السجن سيعلم
الجميع بذلك

بدأت ترجف وتشعر أن خطتها ابتعدت كثيرا وستصبح مستحيلة إن
دخل نوح للسجن

وقالت في نفسها : إن علموا أن نوح متبنى ف..... اللعنة

_لذلك مشكلتنا ليس بدخوله السجن مشكلتنا هي عندما يحاكم
ويوكلون أهل سارة محاميا وإذا وكلوه سيعرف الجميع أنه متبنى وليس

هذا فقط ف نوح يدير شركة والدك للمقاولات على أساس أنه ولدك، ماذا ستقولين لوالدك عندما يعرف أن شخصا ليس من صلبك يت رأس منصب المدير العام وأمامه ملايين، سيقول كان يسرقني لا محالة وأنت تعرفين أن خسائر تلك الشركة باتت فادحة لولا نوح لم يساهم في إنشاء فروع لوالدك في الخارج كانت الشركة أعلنت إفلاسها ولولا لم يمض حياته أغلبها في الخارج كان والدك فقد منصبه وثروته وجميعنا نعلم أن نوح مهندس متمكن ومبدع في عمله والآن إذا علم والدك أنه ليس ابنك الحقيقي سيلحق الخسائر التي تسببها هو على ظهر نوح وغير ذلك

_أخ يا رأسي،أهنالك المزيد؟

_نعم ، والدك سينعتك بالمخادعة وسيغير وصيته لجعل الرئيس العام لشركاته كلها تحت إمرة أخيك الصغير وزوجته

لم تعد سيلين تستطيع عدّ من أي مكان تأتيها الضربات وقالت في نفسها : لو أنني صمت قليلا لحين استيقاظ تلك الحمقاء لكننا الآن بألف خير

_أظنن أن الأمر سينتهي عند هذا الحد؟ فأنت تحلمين، سيعرف الإعلام أن لدي ابنا بالتبني وسيبدأ السؤال لماذا تبنت طفلا ولديك ولدان وهم لا يعرفون أنه تبنيه قبل مجيئهما، وسيتهمونا بأننا نريد أن نحرم أولادنا الحقيقيين من الميراث وأن نوح طفل غير شرعي اقترفنا ذنبه قبل الزواج وسيصبح عنوان الأخبار: الحرب على المنصب بين الأبناء الشرعيين وبين الطفل الغير الشرعي

أشارت إليه بنظرات أن ذلك مبالغة كيف سيظنون أنه غير شرعي ؟

قال لها :لا تستهيني بالوضع أنسيّت بأن نوح تاريخ ميلاده أكبر من

تاريخ زواجنا بخمس سنوات؟

_صحيح أجل صحيح، يا ربي ما هذه المصيبة التي حلت على رأسي
_لذلك لا أعرف ماذا سأصرف، يجب أن نكلم أهل الفتاة ونحاول
إقناعهم

_حسنا لنذهب، أتعرف أين يقيمون؟

_لقد سألت السائق وأرسل لي الموقع

_إذن هيا بنا

ركبا السيارة بأقصى سرعة توجهنا إلى منزل والديها طرق آدم الباب

وخرجت والدتها وقالت: تفضل؟ من أنتما؟

قال آدم: نحن ربا المنزل التي تعمل فيه ابنتك

_أهلا أهلا يا سيد آدم، تفضلا تفضلا بالدخول، يا زوجي السيد آدم

الصادق لقد جاء مع زوجته

_يا أهلا تفضلا بالجلوس، نأسف على حال البيت ليس من مقامكما

ولكن ليس بوسعنا عمل شيء

رد آدم: لا عليك لا عليك لا تكثر ذلك

قالت والدة سارة: سأحضر الشاي

_سيلين: لا لا أرجوك لا تتعبي نفسك، اجلسي نُرد أن نتحدث بأمر جد

طارئ

فدخل طفل صغير يبلغ من عامين ومعه فتاة صغيرة في نفس عمره

تلبكت والدة سارة من دخولهما وقالت : هيا يا طفلاي لدينا ضيوف

هنا

سألت سيلين : من هذين الطفلين ؟

_إنهما ولدا ابنتي سارة ، حفيدي أليسا جميلين؟

_نعم يملك عيون ذهبية رائعة حقا أظن أنه يشبه والده لأنه أمه لا

تملك نفس لون العينين، ولكن لم أكن أعرف أنها متزوجة ، أين زوجها؟

قرصها آدم وهمس في أذنها: نحن لم نأت للتعارف أو نقدمها عروسا

لأبنا، ولدك قتلها لم يعد هنالك داع لأن تسألني عن أحوالها لو كنت مهتمة

لسألتني قبل أن تموت ليس بعد ما أصبحت جنازتها خلفنا، فلتصمتي قليلا

_قال والد سارة : أقلت شيء سيد آدم ؟

_لا لا بل أقول يا له من طفل جميل والآن لندخل في صلب الموضوع

_والد سارة تلبك وقال : أبدر من سارة شيء أغضبكما؟ طوال تلك

المدّة

_آدم : لا أبدا كل الخير

فقال آدم جئنا لنقول لك:

فسرد ما جرى دون نقصان وسط دهشة الأبوين وسيلان الدمع من

عينهما وقفت الأم وبدأت تصرخ : ماذا فعل ولدك بابنتي هذا جزاء الخدمة

يقتلها دون حتى أن يسمعها كانت تستنجده وتقول لم تفعل وماذا ستطول

من قتلها ها.... أخبرني أيها القتلة لديها طفلان كيف ستتجرأ على ارتكاب

تلك الجريمة الشنعاء ماذا سأقول لزوجها حين يأتي من السفر؟، عذرا لقد

قُتلت زوجتك!

هيا أخبراني ماذا سأقول لطفليها يا مجرمون؟، رفعت أصبعها وهي تهدد وتتوعد سأضعكم بالسجن جميعا لن أرأف بكم ابنتي ماتت ميتةً شنيعة وهي تستنجد وتطلب العون الإننا فقراء تفريضون سيطرتكم علينا وتظنون أن روحها رخيصة ! ستدفعون الثمن سأفضحكم في كل مكان، أمسكت الهاتف وستتصل بالشرطة توصلت إليها سيلين ألا تفعل وسحبت منها الهاتف بالقوة وقالت: سنجد حلا لذلك أعدك

_ستجدين حلا، أيتها السيدة لقد فقدت ابنتي ماذا سيكون هنالك حل سوى العقاب والقصاص من المجرم، أمسكتها من كتفيها وقالت: ليس هذا وحسب سأشوه سمعتكم يا آل صادق وأخبرهم أنكم اسم على غير مسمى وسيعرف الجميع أنكم ربيتم في منزلكم وحوشا وستصبح قضية رأي عام وسأخذ حقي منكم

عندما قالت والدة سارة أنها ستصبح قضية رأي عام اندلع الذعر في قلبها وبدأت السيناريوهات تنزل على رأسها كالصخر

ركعت ولأول مرة أمام والدة سارة وقالت : أرجوك سأعطيك كل شيء كل شيء تريدينه وأي شيء ولكن نجد حلا وسطا

قالت تلك الكلمات وآدم مندهشا لما فعلته أهي حقا خائفة على نوح لتلك الدرجة لتفرد بجميع ما تملك؟

_حسنا سنرى

رن هاتف آدم وأجاب: كنان أهنك شيئا ؟

أوقع آدم الهاتف تحول لونه لرماد لم يستطع تحريك يده ، صوت

دقات قلبه الجميع قادر على سماعها تلك مكانة لم يثبت بينت شفة

_سيلين: ماذا حدث ؟ أخبرني؟

_ن...ن...نوح لقد...

_أريد أختي

_هل شقيقتك هنا في المدرسة؟

_نعم إنها أكبر مني بخمس سنوات

_أين هي؟

_في ذلك الفصل

_حسنا أنتظر قليلا، ولكن ما اسمها ؟

_هديل، أختي هديل

_لا تقلق يا سالم سأجلبها لك

ذهب مرسال وطرق باب الفصل وأذن له المعلم بالدخول وقال له :

تفضل يا بني ماذا تريد؟

_المعذرة يا أستاذ أريد الطالبة هديل، أخاها الصغير مريض ويريد

الذهاب للبيت

قفزت هديل من مقعدها وقالت : سالم، هل هو بخير ؟

_نعم لا تقلقي ولكنه يريد مجيئك

استأذنت هديل من أستاذها وأذن لها بالخروج فرافقت مرسال لعند

سالم

مشت ورأته واقفا ينظر إليها قالت في نفسها : لقد شاهدت تلك
النظرة من قبل لِمَ ينظر لي هكذا سوى....

ركضت إليه مسرعة علمت أنه وقع في نفس تلك الواقعة ولكن
بسيناريوهين مختلفين وصلت لعنده واحتضنته: لا عليك يا صغيري لا عليك
فأنا هنا

_أختي أنا... أنا، لم أقصد فعل ذلك

ونظر إلى سرواله وعض شفتيه من الإحراج

وقال : أرجوك لا تخبري أُمي ستضربني أرجوك لا تخبريها أنا لم أفعل
ذلك عامدا، ليس لدي ثيابا سوى هذا ولن تقبل أن تغسله لي وستجبرني
على المجيء به، سيضحك علي الجميع مجددا

امسك مرسال رأس سالم : سأعطيك من عندي لا تقلق وسأغسله وإذا
تريد خذ جميع ملابسني ولكن لا تبكي

نظرت هديل إلى أخيها باكية لا عليك يا أخي لن تعرف ولن أخبرها
ولن أدعها تضربك أو تفكر بذلك حتى أنا أعدك

وأوجهت نظرها إلى مرسال وسألته : ما اسمك أيها الصغير ؟

_اسمي مرسال

_لديك عينان تشبهان سالم كثيرا

_أجل

_أرأيت يا صغيري الأمور تسوء حيناً وتفرح حيناً، انظر لقد أصبح لديك صديقاً جديداً، هيا يا صغيري لنذهب إلى البيت

_اذهبي أنتِ في الحافلة أنا سأذهب سيرا لأن أُمي إن علمت ستوبخك وتقول لِمَ أدفع المال لكي تذهبي مشياً

قال مرسال لهديل : أيمن أن أسألك سؤالاً واعذريني عليه؟

_تفضل يا مرسال

_والدتك كم تعطي سام نقوداً، فهي لا تعطيه سوى ثوب واحد، وليست مشكلتها إذ اتسخ أو لا إذن لا تعطيه مصروفاً أليس كذلك؟

_أنزلت رأسها ثم رفعته وقالت: أنت فتى ذكي يا مرسال، نعم كلامك صحيح لذلك أقسم الطعام بيني وبين سام

_وأحياناً تعطيه الطعام كله وتبقي أنتِ جائعة أليس كذلك؟

_نعم كيف عرفت ؟

_لأنه قال إنها تضربه، ولا تشتري له ثياباً وليس من الغريب ألا تطعمه

أيضاً

_مع الأسف كلامك كله صحيح

_إذن لدي حل لذلك

_ما هو ؟

_السائق الذي يوصلني للمدرسة يحضر العم الطيب من قريبتكم لأنه يسكن فيها ولكن هو في أول القرية وأنتم في منتصفها فهو الطاهي الخاص

للعائلة وجدي يحبه كثيرا فيأمر السائق باصطحابه

_حسنا ؟

_سأخذكما معي وأنتِ تقولين لسائق الحافلة لا أريد أن تقلني
وتأخذين النقود وتشتريني لك ولسام طعاما وثيابا

_أحقا تقول ؟

_بكل تأكيد، ما أدراك ربما نصبح أصدقاء ولربما عائلة

مسحت هديل على رأسه وأمسكت يديه وقالت : شكرا لك أنت حقا

لطيف

_لا عليكِ

بعد اتصال مرسال المستعجل للعم الطيب

جاء العم الطيب أخيرا : لقد تأخرت عليك أيها السيد الصغير كانت
هناك أزمة سير خانقة بالمدينة لقد أحضرت ما طلبته

قال مرسال لهديل: إذا سمحتِ ساعدي سام وأبدلي له ثيابه سأخذكم

لبيتي كي يستحم،

نظرت هديل إلى الملابس وقالت: لكنها غالية أليست كذلك؟

_ليست أعلى من سام على قلبي

شعرت هديل بأن سام أخيرا وجد الشخص الذي حقا يشعر به

مساعدة مرسال لسام ليست ناجمة عن محبته فقط أو توثيق لرباط
الصدافة بينهما، بل لأنه يعرف معنى أن تكون منبوذا لاختلافك، لأنه يشعر

به، ولا أحد يعلم مدى الألم سوى أصحاب الألم أنفسهم مهما قلنا أننا نشعر بهم ومهما حاولنا أن نشعر يبقى صاحب الأذى هو الشخص الأنفع لقول كلمة "إنني أشعر بك" جميعنا نقولها وربما قاصدون إياها ولكن لا أعتقد أننا نُصِب الهدف المطلوب السهم الذي رميناه قريبا جدا للدائرة ولكن مهما حاولنا لن نصيبها لتلك الدائرة التي في المنتصف تلك الدائرة التي هي مكان أوجاع سالم، لن يصبها أحد قط لن يصبها سوى مرسال!

غيرت هديل لأخاها وانطلقا في سيارة مرسال وقد وصلا إلى البيت، كانت حالته النفسية متعبة جدا، ولحسن الحظ لم يكن أحد في القصر، دخلاه وعلى وجههم علامات الصدمة من فخامة القصر

أخذهم مرسال إلى غرفته الفخمة أعطى هديل ثياب جديدة ومنشفة نظيفة وقال لها: أرجوك ساعديه

أيها العم الطيب : أحضر الغداء؟

إنهم يضعونه على المائدة

شكرا لك أتعبتك معي اليوم، أعرف أن إحضارك للثياب لي ليست من

مهماتك

لا عليك يا ولدي، وأسفي عليك يا ولدي هذه حال الدنيا

ماذا تقصد

ألم تعرف؟

لقد.....

صرخت سيلين في وجهه وقالت : ما الذي حدث لنوح هيا أخبرني

_ألقت الشرطة القبض عليه

_كيف ؟

أمسكت بوالدة سارة وقالت : أيتها العجوز الحقيرة ألم أقل لك سنتفق وأجبت برأسك الكبير أنك موافقة، من اتصل بالشرطة هيا أخبريني وإلا قتلت أحفادك أمام عينيك وألحقهم بأهم

_أقسم لك لم أتصل بأحد ولم أضغط على الزر حتى لا أعرف لا أعرف
صدقيني، اتركي شعري أرجوك

_سأقتلك أقسم بذلك سأدمركم لن أدع أبناءكم ولا أحفادكم يعيشون
يوما واحدا سعيدا في هذه الدنيا يا مجموعة من خراف

_آدم: سيلين اتركيها ما هذه التصرفات ؟

والد سارة خاف على أحفاده من تهديدها فبدأ يتوسل إليها : نقسم
لك لم نفعل أي شيء ولم نخبر أحدا وليس هنالك غيرنا والطفلين هنا

_آدم: اهدئي يا سيلين ليست هكذا تحل الأمور

_اهدئي!، وابني سيعدم وسيُكشَف كل شيء

_الآن اذهبي وقابليه وهدئيه وأخبريه أن والده معه ولا يقلق حيال أي
شيء وأنه سيخرجه من هناك لو كلف ذلك الأمر حياته

_وأنت ماذا ستفعل ؟

_سأحاول حل الأمر مع عائلة سارة هيا اذهبي قبل لا يفقد نوح

صوابه لديه رهاب من الأماكن الضيقة، فهمس بأذنها وقال : إذا فقد عقله
وغلّب خوفه على عقله وأفلت لسانه لا تعرفين كمية الحقائق التي
ستتكشف في الوسط، فكوني حذرة

تلبكت من كلام آدم وجمعت أغراضها وركضت بسرعة كالمجنونة على
قسم الشرطة، فقال آدم لوالدي سارة : دعونا نجلس ونتفق بشكل سلمي
وعقلاني، لكي لا يتأذى أحد سمعتم ما قالته وضمن حدود معرفتي بها أنها
لا تترك قسما دون تنفيذ، فكونا عاقلين لكي يسلم الجميع

وصلت سيلين إلى قسم الشرطة وبصحبته المحامي، طلبت الإذن
بدخولها إليه ولكن كان صعبا بعض الشيء ولكن حلّ المحامي الأمور
واستطاع إدخالها، وجدت نوح منهارا يتخبط بين جدران الزنزانة يرطم
برأسه على الحائط ويسيل الدم من رأسه بغزارة والدم لا يسيل فقط من
رأسه بل من عينيه و الغضب قد أفتك بأسنانه، رأته مُنزل الرأس ينتظر
أحدا ليفترسه، ركضت إليه وقالت: بني ! أنت بخير ؟

نظر حوله خائفا مرتجفا : أمي أنتِ لا ترين ؟ كيف سأكون وأنا
بالسجن وسيحاكمونني ويعدمونني ؟ أجيبني كيف ؟

_حسنا اهدأ يا صغيري سأخرجك من هنا والدك يقول لك : لا تقلق
فإنه معك ولن يتركك أبدا فإنه خلفك وسيخرجك من هنا لو كلف الأمر
حياته

اجتاحت كلمات أمه قلبه وعقله وهز برأسه وقال : أمي أخرجيني الآن
من هنا

_يا بني اصبر الأمر يستغرق وقتا

صرخ وفي وجهها وبدأ يلطم على وجهه : أمي ألا تفهمين أنا أستطيع البقاء هنا ولا دقيقة، لن أنتظر أبي صاحب الروح الطويلة؛ لأنه سيفكر أن يخرجني بعد ما أموت

بدأ يكسر ويضرب بالزنزانة ووجهه أحمر وعيناه الذهبيتين أصبحتا حقا شمسا حارقة وعرفت سيلين أن تلك الشمس ستحرق الجميع

_بني انظر إلى عينيك أصبحتا شمسا حارقة اهدأ قليلا

ابتسم وقال: أجل.. أجل.. أجل يا أمي: أصبحتا عيني شمس حارقة وستحرق كل من انظر إليه

_ما الذي تقصده ؟

_إن لم تخرجيني أنتِ من هنا سأحرق الجميع وأولهم أنتِ

_بني أنت لا تعرف ماذا تقول بسبب الرهاب الذي لديك

_نعم سيتحول الرهاب الذي لدي لكابوس مرعب سيلاحقك وسيدخلك مكاني ، وبدأت علامات الجنون تظهر على نوح لم تصدق سيلين ما سمعته وبدأ بنوبات ضحك هستيرية لا تتوقف وفجأة سحب والدته بالقرب منه وقال: إن لم أخرج بعد ساعتين من الآن سأدمر عالمك الخفي ذاك بفمي وعيناي الجميلتان ستنتفضي نارهما عندما تشاركينني زنزانتني هذه وأشاهدك وأنتِ تتعذبين مثلي وخطئك لامتلاكك كل شيء ستنتهي قبل أن تبدأ وسأقول لوالدي بخصوص الأموال الممنوعة وكل شيء، أمسك يديها وضحكات الشر ترافق وجنتيه وقال : أعتقد أنك ستكونين شريكة سجن جميلة حقا

سحبت يديها ورأت حقا أن كلام آدم صحيح وأن الرهاب سيطر عليه

ولا يعرف ماذا يقول ركضت خائفة للخارج اتصلت بسرعة على آدم وقالت :

آدم الوضع جد حرج يجب أن نخرجه لكي لا يتفوه بشيء

_ لِمَ أنتِ هكذا خائفة أقال شيء أنا لا أعرفه؟

_ كلا كلا، و...و... ولكن قال ع..عن النبي وهكذا أمور

_ آه الحمد لله ظننت أن هناك شيئاً آخر

_ لا يا عزيزي ماذا سيكون؟، قل لي ماذا لديك هل عرفت من أبلغ

الشرطة؟

_ نعم ممرض يعمل في المشفى اتصل بأخيها وقال له ما حصل

بالتفصيل ومع الأسف يعتبر شاهداً على الحادث وأخذ تسجيلات الكاميرات

أيضاً، وعمل نسخة واحتفظ بها للمدير المشفى

_ أتقصد أنه لن نستطيع أن نصل إلى الدليل

_ بالضبط

والحل إذن؟

_ سننتظر

_ آدم لست في مزاج لانتظار إجراءاتك وبطنك ودقتك اللامتناهية وتريد

كل شيء مثل الساعة يجب أن يخرج قبل ساعتين؟

_ لِمَ ساعتان؟

_ ل...لكي لا تزداد حالته سوءاً اتصلت بطبيبة وقال لي يجب إخراجه

قبل ساعتين ولا سيفقد السيطرة على نفسه

_ فهمت فهمت، ولكن متى لِحِقْتِ واتصلتي به؟

ماذا بك يا آدم أهذا وقت التحقيق؟

نعم نعم صحيح

ماذا الآن؟

إذن سننتقل لمطالبهم

ماذا يريدون؟ هيا أخبرني سأعطيهم إياه

يقولون يريدون شركة والدك للمقاولات

ماذا هل جنوا؟

هم يريدونها لأن والد الطفلين مهندس ويستطيع إدارتها والرفع من شأنها وبالتالي يضمن حياة كريمة لأبنائه بدل أن يضطر للسفر من أجل العمل ويبقى مع أولاده، ماذا أفعل لقد عرضت عليهم مبلغ مليون دولار ولكنهم رفضوا؟

أولئك البقر يريدون أن يصبحوا رجال أعمال على ظهورنا

دقيقة، لم لم يطلبوا شركتك أنت للمقاولات؟

كيف سيطلبونها وأنا لست مالكة على الورق وإنما شريكي هو المالك ولا أستطيع إعطاءهم حتى نصفها لأن القانون العام للشركة واضح والعقود واضحة إذا تريد التنازل أو البيع فالأحقية للشريك ولا تستطيع أن تبيع أو تتنازل لغيره إلا بإذنه وهذا ضمان عملي معه ولا أستطيع إبطاله وإذا أبطلته سأدخل السجن

ولم ليست الشركة باسمك ولم تخبرني بذلك من قبل؟

قصة طويلة لم أستطع ترخيص الشركة لأني كنت شريكا بشركة

مقاوالات أخرى فاضطرت وضع اسم شريكي المهندس ولكن المالك الحقيقي هو ولست أنا حتى التوقيع تتم بتوقيعه لا بتوقيعي لدى المحكمة وأنا أعتبر لدي أسهم فقط وبقيت الأمور على حالها لأننا لم نختلف قط لأني أعده أخا لي وهو كذلك يعدني أخا له والذي على الورق لا نعترف به أبدا من ناحية كسب المال

_والآن ما الحل؟

_يسقطون الدعوة ليضمنوا حق أحفادهم في أن يعيشوا عيشة كريمة يريدون شركة والدك كاملة

_لكن كيف عرفوا أن لي شركة وسأرثها عندما يموت أبي وأنه كتب نصفها لي ؟

_أعتقد سارة أخبرتهم لأنها قالت لي ذات يوم : إن زوجي مهندس ومهندس جيد هل تستطيع أن تجد له عمل في شركة زوجتك سألتها لِمَ ليس عندي فقالت : أخي يعمل لديك وأعتقد ان قانون الشركة لا يسمح بعمل الأقارب لذلك طلبت مني وأنا نسيت إخبارك لأنه موضوع لا يهمني كنت أسايرها فقط

_حسنا ولكن أخي لديه حصة لا أستطيع أن أجبره على بيعها

_اتركي أمر أخيك لي

_حقا ؟

_نعم الأهم من كل ذلك أن نُعَجِّلَ وألا نُضَيِّعَ الكثير من الوقت،مضى من الوقت نصف ساعة، اطمئني على نوح وقابلي المحامي وأنا سأذهب لشركتك الحقيقي بي إلى هناك عند انتهائك

_حسنا حسنا

وصل أخيرا إلى الشركة وجد هنالك يونس شقيق سيلين ألقيا التحية على بعضهم البعض وجلسا واحتسبا فنجانا من القهوة ودخلا لغرفة العمل بعد ثلث ساعة خرجا وجدا سيلين وهي تلهث ودقات قلبها سبقتها وأتت قبلها

_يونس : على رسلك يا أختي ماذا حصل؟

_آدم : لا لا شيء ولكنها مشتاقة لرؤيتك فقط، فغمزها ألا تتكلم وألا تشعره بشيء

قال يونس : لدي أخبار مفرحة لقد كتب لنا والدنا الشركة أخيرا قال لي: أريد أن أراكما تتمتعان بالأموال أمام عيني لكي لا أشعر قبل موتي أنني قصرت معكما بشيء، وهذه نسخة من التنازل
_شكرا شكرا لك يا أخي

_والآن مبارك أصبحت الشركة لك

_كيف؟

_زوجك اشترى حصتي وأنا وافقت، بالطبع ليس لديك أي مانع فأنتِ وزوجك واحد صحيح، فتعالت الضحكات الزائفة والمجاملة، فقفز آدم وقال قبل أن تقول زوجته كلاما فارغا يكشف كل شيء : هيا يا زوجتي لدينا عمل كثير، فأمسك يديها وخرجها وهي تهمس في أذنه ما الذي جرى، ماذا فعلت ؟
_اصمتي قليلا إلى حين أن نخرج لم أسحبك من الداخل مصادفة، لأني أعرف ستسحبين من لسانك الحاد ذاك

وصلا إلى سيارة فدخلا إليها فقالت : هيا أخبرني ماذا حصل ؟

_ لقد أفنعتة ببيعها

_ كيف ؟

_ المال عزيزتي يفعل كل شيء عندما تدفعين ثمن سلعة لشخص وهو يعرف أن المبلغ المدفوع يساوي أضعاف المطلوب، بضعفين فبال تأكيد سيوافق

_ أحقا اشتريتها لتنقذ نوح؟

_ ماذا بك إنه ولدي لم أنجبه صحيح ولكن ربيته وعلمته وأصبح مهندسا مثاليا وأعطيته أصول المهنة وعلمته كل شيء أعرفه وكان يدير لك الشركة هذه على قدم وساق، لن أترك ولدي يتعفن داخل تلك الزنانة لو كلفني ذلك كل شيء

كبر آدم بعين زوجته كثيرا وبدأت تشعر بتأنيب الضمير لأول مرة بحياتها، ولكن لم يلبث كثيرا لم يتجاوز حتى دقائق معدودة بعد ما تذكرت خيانتها لها

اتصل آدم بالمحامي وقال له : الأوراق جاهزة _ من فضلك _ فلتبدأ أنت بالإجراءات جميعها، نعم نعم سأبعث لك ورقة التنازل الخاصة بزوجتي والخاصة بي ولكن قبل أن تسلمها تذهب إليهم وتخبرهم أن يسقطوا الدعوة، وذلك البغيض أخوها سأطرده من الشركة لا محالة، لم يبق لدينا سوى نصف ساعة فقط

_ أتعلم شيئا يا آدم

_ ماذا؟

_ لِمَ لم نخبر سيلفيا أن تشهد بأنها من أوقعتها عن الدرج؟

_ كنت سأفعل ذلك ولكن أنت لا تحبين إجراءاتي الدقيقة وتحبين

العجلة ولا نريد لأحد أن يعرف أن نوح متبنى ، وعندما شرحت لي وضع نوح قلت في نفسي: سنوكل محاميا ويوكلون أيضا والقضية ستأخذ عدة جلسات وابنك دخل ساعتى وفقد صوابه فما بالك إن بقي لشهرين!

_صحيح، صحيح

_والأهم من ذلك لا نريد يحاكم أمام القاضي لربما هنالك محامي ذكي يكشف كل شيء

_نعم، أنت محق، منذ متى تحمل هذا الذكاء كله؟

_لا لدي قليل منه ولا أهدره في الأيام العادية أريد الحفاظ عليه للأيام القادمة المشابهة لهذا اليوم

_جميل أتمنى ألا تكون استهلكته كله وخبأت شيئا للأيام القادمة

_نظر إليها بطرف عينه وقال : لا تخافي لدي ولدي الكثير

_جميل فأجبتني

وأخيرا تمت المعاملة وأصبحت الشركة باسم زوج سارة وأسقطا الدعوة وذهب كل من آدم وسيلين لأخراجه من السجن

وقعت سيلين على الأوراق المطلوبة وخرج نوح وعندما خرج لم يسيطر على نفسه ففقد الوعي ونقلوه إلى المشفى

وفي الطريق رن هاتف آدم

_نعم، جميل حقا، حقا جميل انتظرت ذلك منذ زمن

لا شيء يا ولدي لا عليك لم يحصل أي شيء

_أنت متأكد أيها العم الطيب ؟

_ بكل تأكيد هيا نادي ضيوفك ليتناولوا الغداء

_ حسنا يا عم

_ نادى مرسال سالم وهديل وكان سالم قد تحسن من الحمام الدافئ

الذي أخذه

خرج سالم من الحمام وقال له: هذه أول مرة استمتع بالماء بهذا الشكل،

شكرا لدعوتك وشكرا على الثياب الجميلة

_ لا عليك يا سالم، هيا يا سالم هيا يا هديل لقد جهز الطعام

ذهبوا إلى المائدة وتعالن الضحكات وكل الخدم ينظرون إلى مرسال

بدهشة وهو يضحك ويمرح لأول مرة يشاهدونه يضحك هكذا، مرت

الساعات ولم يلحظا الوقت، فقال لهم مرسال ما رأيكما أن تشاهدا المكتبة،

فوافقا على الفور فقال لهما : هيا اتبعاني

فتح باب المكتبة وقالت هديل : هذه الكتب رائعة حقا وفيها كتب

كثيرة هناك الكثير ما أجعله إذن

ولكن هل ممكن لقروية مثلي أن تقرأ كل هذه الكتب ؟

فقال سالم ومرسال بصوت واحد :

"إذا استطعتِ أن تقرئي هذه الكتب فستجدين فيها معلومات في كل

نواحي الحياة ويجب عليكِ أن تجدي وقتا للقراءة فالقراءة تغني العقول

وكما تعلمين ميزان عقله لا مظهره"

هكذا كان يقول العم فيتاليس لريمي

ابتسمت إليهما وقالت أتعرفان أيضا ماذا كانت تقول ريمي أيضا؟

_ماذا؟

_كانت تقول ريمي

"إياك أن تفرط في ذلك الحلم الذي عقدت العزم على تحقيقه
سيتحقق الحلم إذا امتلكت العزيمة والإصرار على تحقيقه "

عرفت هديل أنها متعلقان بالأمر الإيجابية التي تحفزهم عليها تلك
القناة التي تعرض على التلفاز وكانت تريد أن تسمع الجواب منهما لترى
مدى تأثرهما بالكلام الإيجابي كتأثرهما بالسلبى أرادت أن تقول لهما لا
تأسان ولكن بطريقتهما لأنه الشيء الوحيد الذي يدخل إلى
أعماقهما ويلمس قلوبهما، ففرحت أنهما يحتفظان بتلك الطاقة لفسيهما
ويجب أن يخرجوها للعلن لكي تدفعهم للأمام ولا تشدهم الكلمات
الجارحة للخلف

نظرت إليهما وابتسمت وقالت أتعرفون ماذا كان يقول "ماتيو"
لأصدقائه؟

_ماذا؟

كان يقول "ماتيو":

"إياكم أن تأسوا لا حياة مع اليأس أبدا ولا يأس مع الحياة أيضا
دعوكم من الماضي انظروا إلى المستقبل نظرة ملتها التفاؤل الغد قادم
والمستقبل لنا "

فهتف جميعهم قائلين : الغد لنا

نظر مرسال إلى سالم وقال له سأعيرك يدي لرفعها وستهتف بصوتك

فضحكوا ثلاثتهم ورأت هديل معالم البسمة والتفاؤل قد تغلغلت
بوجه سالم ورجعت أقوى من ذي قبل وقالت لذاتها : كنت بحاجة لشخص
يشبهك يا أخي كنت بحاجة لمرسال

وسط تلك الضحكات كان قادم البلاء على رؤوس كل من في البيت، في
الوقت الذي فيه عائلة الصادق تتعافى من ضربات القنابل واحدة تلو
الأخرى، كانت هناك قبلتين موقوتتين تتنافس فيما بينها من التي ستنفجر
أسرع من الأخرى، هل سينتصر الذكاء المصطنع والقوة الخدّاعة أم سيفوز
العقل المدبر في الخفاء ...

أت المصائب على بيت آل صادق دفعة واحدة، لم تأخذ حتى فترة
استراحة كانت نشطة على الدوام، بتلك الفترة كان كل من جنيد وحنان
ينتظران اتصال العمر، هل سيتحقق رغبة وحلم كل منهما

استيقظ نوح من غيبوبته وأفاق ووجد الجميع حوله : أي أين أنا ؟

_ لا تقلق يا ولدي أنت في أمان أنت في المشفى

_ لماذا ما الذي حصل ؟

_ لقد أغمي عليك يا ولدي بسبب الرهاب الذي الذي لديك لا تخف

أنت بخير الآن وفي مكان آمن لن يلمسك أحد بسوء فلا تقلق

_ لماذا أنا أين كنت لكي أصاب بالرهاب ؟

_ ألا تذكر شيئاً يا ولدي؟

_ لا ماذا حدث؟ هيا أخبرني

تدخل الطبيب وقال لآدم : سيد آدم ولدك مصاب بانهيار عصبي ومن الطبيعي ألا يتذكر شيء وأنا أفضل ألا تذكرونه بالحادثة لكي لا تزداد حالته سوءاً

_ آدم : معك حق أيها الطبيب

_ والآن إذا سمحتما المريض بحاجة إلى الراحة

خرج الجميع من الغرفة فسحبت سيلين آدم للزاوية كي لا يسمعها أحد وقالت : إنه لا يذكر شيء لا يذكر ما قال أبدا !

_ عزيزتي اهدئي بالتأكيد لن يذكر أي شيء ، وأن قال شيئاً كان يقوله من دون أي وعي وإدراك ، لذلك اهدئي ولا تقلقي نوح شاب واع ولكن موت طفله زاد حالته سوءاً ، كيف حال زوجته ؟

_ بخير، سألت الطبيب وأخبرني أنه يمكنكم أخذها وإخراجها اليوم

_ جميل جدا

_ أعتقد أن المشاكل انتهت هكذا حللناها جميعها

_ أتمنى ذلك

_ لقد تأخر الوقت أُمي بالتأكيد ستقلق علينا، هل يمكنني استعارة

هاتفك لأطمئنها علينا

_ بكل تأكيد

اتصلت على أمها وقالت : أمي كيف حالك أنا هديل

_ أين أنتِ يا هديل وأين أخوكِ

_ أمي لا تغضبي نحن عند عائلة السيد صادق

_ عند من ؟

_ عائلة السيد صادق يا أمي ما بك أصبحتِ لا تعرفينهم، أمي، أمي

لماذا شردتِ ؟

_ م...م...معك أسمعك جيدا

_ أصبح لسالم صديق جديد اسمه مرسال

_ تقصيدين الوحيد، منذ متى لذلك الصغير المعاق أصدقاء

_ أخ.. أمي حسنا سنتأخر قليلا وسيوصلنا مرسال بسيارته أليس ذلك

صحيحا يا مرسال، مرسال يوصلك سلامه خذ يا مرسال تحدث مع أمي

صرخت حنان في وجهها: لا، لا أريد

_ أمي هذا عيب تصرخين سيسمعك الصبي وسيأخذ عنك فكرة سيئة

_ لا لا رأسي يؤلمني ولا أسمع كثيرا لأن أذناي تؤلمانني وأصرخ لأني لا

أستطيع سماعك ولا أريد أن يظن أني أصرخ في وجهه في الأيام القادمة إن

شاء الله، هيا صغيرتي حاولي ألا تتأخري، هيا مع السلامة

_ لقد أغلقت الخط في وجهي وأصبحت لطيفة فجأة

قال مرسال : هذا لحسن حظنا لكي تأتيا عندي دائما استمتعت

برفقتكما كثيرا

رد سالم : ونحن أيضا وطعامكم جد لذيذ لم أذوق مثله في حياتي

_شكرا لحسن الضيافة يجب علينا الذهاب وإلا وبختنا أُمي

_حسننا ما رأيكما أن تشاهدا شيئا مرعبا قبل ذهابكما

قفزا مكانهما وقالوا : هيا بنا

نزلوا جميعهم على الدرج وساعدت هديل مرسال بالنزول وصلوا أخيرا،
فاقترب سالم من قميص أخته مرتعبا وقال له مرسال : نحن نضع هنا
الأشياء المخيفة والأشياء القديمة التي ليست لها أي حاجة ونرمي فيها
الأشياء الغير مفيدة ، تستطيع قول أنها مثل القبو، ماذا بك يا سالم أهذه
أول مرة ترى القبو ليس لديكم مثله ؟

تسلل الحزن إلى قلب سالم وقال بصوت مجروح منكسر : كلا لأول مرة
أعرف أن غرفتي تسمى قبوا

فاقترب برأسه على على قميص أخته فشعر مرسال أنه قد جرح مشاعر
سالم فحاولت هديل تدارك الوضع فقالت : نعم ولكن ليس كل الأقيية
متشابهة أليس ذلك يا مرسال ؟

_ نعم، نعم بكل تأكيد

شعر مرسال أن سالم ما زال يحمل في قلبه الحزن والأسى فقال لهما :
انتظرا قليلا فنأدى على مربية القصر فهمس بإذنها فهزت برأسها : حسنا
أيها السيد الصغير

أحضرت مطلبه وكان سالم مطأطئا رأسه لم ينتبه لما أحضره له مرسال،
اقترب مرسال بكرسيه من سالم وقال له : تفضل يا سالم هذه هدية مني

إليك هذه أحب الأشياء لقلبي ولكن سأعطيك إياها

نظر سالم ودهش لجمالها، فقال له مرسال : أمي تقول إنها تشبه لون عينيا ولأن اسمي سمي على اسمها وأنت تمتلك نفس لون عيني فهي تشبهك أيضا، فرح سالم كثيرا وحتى لشدة فرحه بها نسي أمر القبو، فأكمل مرسال : ضعها على شبك غرفتك لتأتي لها الشمس كي لا تموت فهي تتبع الشمس أينما ذهبت حافظ عليها من أجلي، اقترب سالم برأسه ليضع رأسه على صدر مرسال ليحتضنه، شعر مرسال بشعور الأمان ولأول مرة في حياته يحتضنه أحد بذلك الحب

هديل تنظر إليهما فرحه لسعادة أخيها، فقالت : هيا يا سالم لقد تأخرنا

_ هيا

ذهبا وهم يمشيان إلى الباب فُتِحَ الباب وإذ بعائلة الصادق رجعت إلى البيت، صعقت سيلين عندما رأت سالم، مشى آدم عند الطفل وأخته تمسك به خجله فقال : ما اسمك أيها الصغير : اسمي سالم

_ اسم جميل، أنت صديق مرسال ؟

_ نعم يا سيدي

_ جميل أنت طفل مهذب يا سالم وتملك عينان جميلتان كمرسال حقا

_ هذا لطف منك يا سيدي

_ وأنت يا عزيزتي؟

_ أنا شقيقة سالم اسمي هديل

_ شقيقة سالم، ولكن لا تشبهين سالم كثيرا

_ نعم سيدي سالم أجمل فرد في عائلتنا

_ جميل، هيا يا سيلين ألقى التحية على الطفلين

_ أ....أ...أهلا وسهلا

_ هيا أيها السائق أوصلاهما إلى بيتهما وقولي لوالدك أيتها الجميلة أن

يأتي لزيارتنا في القريب العاجل فاعتقد أن حفيدي مرسال ابتهج لزيارتكما كثيرا، أليس ذلك يا عزيزي مرسال؟

_ جدي أرجوك دعهما يأتيا كل يوم لزيارتي

_ بكل تأكيد يا حبيب قلب جدك لذلك أخبرتها أن تحضر والدها لكي

يعلم أين يذهب أطفاله ليبقى مطمئن عليهما

قالت هديل : بكل سرور يا سيدي والآن عن أذنك

مسح آدم على رأس سالم وابتسم في وجهه، عندما خرجا قال آدم

لسيلين : لا أعلم لماذا دخل ذلك الطفل إلى قلبي

_ ر...ربما لأنه حاله من حال مرسال

_ ربما

_ الآن قل لي لماذا تريد أن تلتقي بوالده وأن يتعرف علينا، أهنالك أحدا

لا يعرف عائلة آل صادق

_ أنها العادات فقط، لماذا أشعر أنك لا ترغبين ؟

_ ك..ك..كلا ولكن يجب أن نسأل عنهم لربما أناس ليسوا جيدين

_ كلامك صحيح سأسأل عن والدهما

_ لا لا

_ لماذا غيرتي رأيك ؟

_ إذا علم أنك تسأل عنه سيمنع ولده من المجيء وسيمطر عليك حكم ومواعظ أن حالنا مستورة ولكن لدينا كرامتنا والكلام الذي يحفظه كل فقير ويسمعه للأغنياء ليستشرف به عليهم ويظهر بأن الأغنياء عدموا كرامة، يا إلهي المغفرة!

_ كيف عرفت أنهم فقراء، وأنا لم أسأله حتى عن من يكون والده أو ماذا يعمل ؟

_ لقد ..لقد عرفت لأنهم لم يقولوا أن لديهم سيارة لتقلهم

هز آدم رأسه متظاهرا بالتصديق ولكن شعر بأن هناك أمرا غريبا يحدث ويحصل من ورائه وقال في نفسه سأعرف بكل تأكيد

رجع سالم وهديل إلى البيت وأخبرت هديل أمها بما حصل وكانت جد مستمتعة وفرحة بتلك الزيارة حتى سالم استغرب أنها لم توبخه فجاء والدها وقفزت بوجهه قائلة : أبي أبي لدي لك مفاجئة

_ ما هي يا عزيزتي ؟

_ أصبح لسالم صديق جديد

_ حقا ؟ ما اسمه

_ مرسال وهو من عائلة آل صادق

_م..م..من ؟

_ مرسال يا والدي أتعرّفه

_ ك... كلا لا أعرف أحدا، أنا سأذهب أبادل ملابسني كي يجهز الطعام،
لحقت به حنان قاتلة : ما بك لِمَ لم أشعر بأنك لم تفرح بسماع الاسم ؟
_ بلى فرحت كثيرا، ولكن تلك العائلة غنية ولا أريد تلك الصداقة
وأنتِ تعرفين ماذا حدث لكِ في الماضي

_ أنا نسيت الأمر ولا أريد شيئا في هذا العالم سوى الراحة
_ نعم ولكن ...

_ ألا تريد أن يجد سالم رفيق، ها قد وجد وبرأيي لن يجد غيره
_ صحيح

_ قل لي أتخفِ شيئا ؟ أتعرف تلك العائلة أو عملت عندها من قبل؟
_ كلا... كلا كل ما في الأمر لا أريد أطفالي الذهاب إلى منزلهم... لكي
...لكي لا يبنهروا بالوضع المادي لديهم ويشعرون أننا مقصرون في حقهم
_ لا تقلق لن يشعروا فأولادك عقلاء وسالم طيب القلب لن يطلب
منك شيئا فوق طاقتك

_ أول مرة تمدحينه ما الذي جرى؟

_ عدم مدحي له لا يعني أنه ليس هكذا، ولا يعني ذمي له أيضا ،
والآن اغسل يديك لأجهز الطعام هيا بسرعة

تناول عائلة آل صادق العشاء ، وعائلة جنيد وخذ كل منهما إلى النوم،
بعضهم لم يغمض له جفن من قلق ماذا سيحدث بالغد والآخر ينام مرتاح

البال لا يعرف شيء أو لا يهتم بما سيحصل والآخر يستعد ليكشف الحقائق
وليأخذ كل شخص حجمه في هذه الحياة

وفي يوم روتيني كالعادة يستيقظ الجميع على طعام الفطور وليست
هنالك أثار لهبوب أي عاصفة في بيت جنيد على عكس بيت الصادق تماما
فبدأ التوتر وبدأ الجميع يتسلح بخناجر من الكلمات عند معرفتهم أن
الفحوصات قد وصلت وأن الوقت حان

جهز الجميع نفسه لم يتناولوا حتى طعام الإفطار ، مرسال بدا متحمسا
على غير عادته ينطلق للمدرسة بحماس وشغف مفاجئ الجميع بتلك
الطاقة غير المتوقعة يذهب مع السائق ليحضر هديل وسالم من غير أن
يعرف أحد بذلك ومجرد خروجه بدأت النار بالاشتعال مع وصول نوح
للبيت مع زوجته فجلسوا جميعهم بغرفة الضيوف ينتظرون الطبيب

تكلمت سيلين مع نفسها قائلة : لقد خسرت معركة ولكنني لم أخسر
الحرب بعد ما زلت أملك الأراضي والمنتجعات والذي سأخذه منه سأشتري
به شركة أكبر بأضعاف من تلك التي خسرتها بسبب ذلك الغبي نوح والآن
يجب أن أركز على المهمة الأساسية ألا وهي ...

_روز : لقد جاء الطبيب

آدم : هيا أيها الطبيب قل لنا النتائج

_ لم أقم بتحاليل نوح وزوجنه لأنه كانت حامل فلم أر داعيا لذلك

_ آدم : نعم تكلم لا يهمني نوح جميعنا نعرف أن ليس هنالك به

مشكلة

لم يقم الطبيب بالتحاليل بعد ما أفنعتته سيلين بعدم القيام بذلك

_ كنان ورسلان

_ سيلين : تكلم يا رجل أقلقتنا

_ كنان ورسلان لديهما عقم ولن ينجبا أبدا

صاعقة وضرت على رأس سيلين عندما سمعت الخبر، كنان ورسلان ذهبا ولم يستطيعا مواجهة الآخرين بالأمر _ كأنهما يعرفان النتيجة سابقا_ وسيلين خطتها التي كانت ستنفذها بعد تلك التحاليل انتهت قبل أن تبدأ حتى، كاد أن يغمى عليها خسرت شركة بالملايين لكي لا تفضح خططها وكانت تقول لنفسها مهونة عليها وقع الذي أصابها سيتغير كل شيء مع تلك التحاليل

ركضت بسرعة خلف ولديها وقالت لهما : كنتما تعرفان أليس كذلك ؟

رد رسلان : نعم ولكن قلنا سنحلها وحدنا ولكن

صفعته بقوة وكادت أن تكسر له سنا : أفسدتما كل شيء، كل شيء خطت له منذ سنوات بلحظة غباء منكما أضعتما كل شيء دفعة واحدة والآن المصيبة الكبرى أن علم آدم أن

ذهب مرسال لأخذ سام وهديل دون معرفة والدتهما بذلك أبدا، تبادلوا الضحكات فيما بينهم متناسين جميع الآلام والأحزان، وأخيرا شعر مرسال أن الحياة لها لون وأن من يصنع تلك الألوان هم الأشخاص الذين يحملون فرشاة الرسم ليرسموا لنا طريقا من السعادة وفرشات من الأمل، تشعر بأن وجود أولئك الأشخاص يحيون بداخلك شعور الفرح وانتظار

الغد، بعدما كنت عديم الشغف فاقد للحياة منطفئ العزيمة والإرادة،
 بابتسامتهم يشعلون دربك حياة ليس بعدها حياة تمضي الساعات برفقتهم
 كدقائق تتمنى أن تعيش عمرا آخر فوق عمرك فقط لتبقى معهم، أن
 تخلق حوارا من العدم فقط لتسمع صوتهم ليعيش بداخلك إلى الأبد، هم
 أصدقاؤى !

هم أصدقاؤى

عزائى هنا

شلال حب

يسكنه الغنى

نرى الغيوم

مرآة للشمس

تغطي البحر

وتنادينا بهمس

نشيدكم مدى

وعهدكم مدى

والورد والندى

صوت يشد

الآن نبتدى

بحبنا الندى

بحثا عن الغد

بعد الانتهاء صفقوا لسالم بحرارة وهو فرح مبتهج وأصبح يثق بنفسه
 أكثر وأكثر ولم يعد يخجل أبدا من أحد سيسخر منه، وصلوا إلى المدرسة
 وصعدوا إلى الفصل دون الحاجة لحضور الطابور الصباحي شاهدهما المدير

فاستوقفهما وقال لهما : انتظرا يا ولدي إلى أين أنتما ذاهبان ؟

رد مرسال : لقد أستأذنا من معلم التربية الرياضية ألا نحضر التمرينات الصباحية

_ لِمَ يا ولدي؟

_ لأن وضعي الصحي لا يسمح لي بأن أتمرّن، والطلاب يسخرون على حالتنا فنفضل ألا نشارك بها

_ حسنا يا صغيري لا عليك أنفهم وضعك أذهبا

_ شكرا لك أيها المدير

_ العفو هذا واجبي

دخل الطلاب فشاهدوا مرسال وسالم في الفصل ولم يشاركا في التمرينات بدءوا يتهايمسون ويتضحكون بصوت مرتفع ليسمع كل من سالم ومرسال تلك الكلمات الجارحة وكأن الكلمات التي قالها مرسال لم تجد أي نفع، جاءت هديل ونادت على مرسال وسالم لتعطيها نصيبهما من الحلوى التي وضعتها أمها لها في الصباح ومن المفاجئ أنها قد صنعت لسالم ومرسال، فأعطتها لمرسال لكي يطعمها لسالم في الاستراحة

التف أحد الطلاب ووضع محفظة طالبة في الصف في حقيبة سالم استغل أنه يقف على الباب مع أخته ومنشغل معها ومع مرسال، دخلت معلمة العلوم إلى الصف فعم الهدوء للحظات وفجأة بدأت طالبة بالبكاء سألتها المعلمة : ما بك ما المشكلة ؟

_ لقد سرق أحدهم محفظتي إنني لا أجدها

_ ابحتي جيدا يا عزيزتي فهذا اتهام شنيع

_ بحثت عنها في كل مكان ولم أجدها

ساعدتها المعلمة في البحث عنها وفعلا لم تجد محفظتها الصغيرة

_ ما لونها يا عزيزتي ؟

_ أنها وردية اللون صغيرة الحجم

_ أيها الطلاب أنا لا أتهم أحدا، ولكن من أخذها عن طريق الخطأ

فليقل هذه أمور تحدث ونحن لا ننتهم أحدا بالسرقة

خرج أحد الطلاب من مقعدة وقال بخبث : فتشينا يا معلمتي لقد

أعطيتي الفرصة للشخص الفاعل ولم يعترف بذنبه

_ حسنا ليفتح الجميع حقيبتهم الآن

فتح الجميع حقيبتهم ولكن مع الأسف سالم لا يستطيع فتحها إلا

بقدميه وهو يرتدي حذاء ولا يمكنه أيضا خلعه، همس مرسال له وقال :

أعطيني أفتحها لك

_ حسنا

فتح مرسال الحقيبة وصدم لما رأى، شاهد أن المحفظة في حقيبة سالم

وعرف أن أحدا وضعها عامد لكي يوقع بسالم، لم يعرف ماذا سيفعل

والمعلمة تقترب منه على بعد متر واحد فقط، خاف مرسال على سالم من

المعلمة أن تفعل كما فعلت سابقتها وأن تصرخ في وجهه فهو لا يتحمل

وقال لنفسه مؤنبا : ليتك فتحتها قبل ذلك ليتك فتحتها

_ لمن هذه الحقيبة ؟

_ أنها لي

فتحتها وقالت : أسفي عليك، أسفي عليك يا رسال، هيا أذهب إلى
المدير حالا

_ كما تشائين

ظل سالم عالقا في دهشته ،مستحيل أن يفعل رسال ذلك
طرق رسال باب المدير فقال له : ادخل يا عزيزي هيا تفضل، كيف
يمكنني أن أساعدك ؟

_ لقد أرسلتني المعلمة إليك

_ لماذا ؟

_ لأنني سرقت محفظة زميلة لي في الفصل

_ أنت سرقتها؟

_ كلا

_ لِمَ لم تقل لها إذن ؟

_ لأنها لم تسألني وأمثالهم لا يسألون يعبئون الإجابة لوحدهم،
ويصدقون فقط ما تراهم أعينهم ليس لديهم بُعد نظر وحدود تفكيرهم لا
يتجاوز حد أنفسهم لذلك لا أفضل أن أجادل أولئك الناس الأفضل أن تقول
لهم إنهم على حق وأنت المخطئ وأنتك لن تكررهما مرة أخرى وهكذا
سينتهي الأمر فإن تناقش أصحاب العقول المنغلقة الذين تشعر بأنهم
يحفظون فقط ولا يفهمون ولا يحاولون ادعاء الفهم حتى، لكي يخطوا على
غبايئهم الاجتماعي، الأفضل ألا تناقشهم وتلتزم الصمت لتحافظ على سلامة

لم يتفاجئ المدير بكلام مرسال العاقل البالغ الذي ينم عن فكر واع
وذكاء شديد فقال : أخبرني إذن يا عزيزي ماذا حصل ؟

_ أحدهم وضع المحفظة بحقيبة سالم لكي يتكرر الموقف الذي حصل
البارحة مع سالم ليحظى بشيء من الضحك ليرضى نفسه اللئيمة

_ لِمَ حملت الوزر إذن ؟

_ لأن سالم لا يستطيع حتى فتح حقيبته أتصدق أنه يستطيع أن يأخذ
شيء ليس له ؟

_ حسنا ؟

_ وأنا أستطيع أن أدافع عن نفسي ولكن سالم لا يستطيع لأنه خجول
وطيب أنا أستطيع أن أقول لك إن هذا اتهام باطل فأنا لست بحاجة للمال
فجميعكم تعرفون من أنا والنقود التي في المحفظة دون أن أنظر إلى ما في
داخلها أعرف أنني أملك في محفظتي ضعفها بثلاث مراحل، أما سالم لن
يستطيع أن يدافع عن نفسه من هذا الجانب لأن عائلته ميسورة الحال

_ أنت ذكي يا مرسال

_ الأمور بالعادة لا تحتاج إلى ذكاء بل تحتاج إلى حسن التصرف
ومعرفة تدارك الأمور فأنها ثقافة لا يستطيع الجميع امتلاكها

_ حسنا يا مرسال لنذهب إلى صفك الآن

_ كما تشاء أيها المدير

طرق المدير الباب وقال : لن يخرج أحد من الفصل قبل أن نعرف من

الذي وضع المحفظة في حقيبة سالم

_ بل كانت بحقيبة مرسال

_ لا لم تكن، لأنك لم تتكبدى عناء السؤال عن إن ما كان هو الفاعل أم لا ، ولكنني عرفت أن الحقيبة لسالم وليست لمرسال وأن سالم لا يستطيع فتح حقيبته دون مساعدة من أحد فلا يمكن أن يأخذها

خاطب المدير نفسه قائلاً : أمثل سالم الذي ليس لديه يدان كيف سيعاقب كيف تقتص منه أليس على السارق أن تقطع يده، وكيف لسارق أن يسرق من غير يدين كيف ينفذ حد العقاب على شخص يفتقر للبدائيات التي يجب أن تكون لدى السارق ألا وهما يده، أيعقل فاقد الشيء يلام على فقدته وكأننا نريد أن نلصق به التهمة لا محالة نريد أن نوجه أصابع الاتهام إليه دون حكم ولا حساب، إلى متى سنبقى مطفيين عقولنا وفاتحي أذاننا، ألا يجب أن يسبق الحكم المنطق؟

_ هيا إن لم تبوحوا بالفاعل سأحاسبكم جميعا وسأطردكم من المدرسة ولن ترجعوا إليها قط وأحذركم، وأنتم تعرفون عندما أقول كلمة لا أرجع فيها أبدا، لا أحتاج في هذه المدرسة طلابا لا يحترمون زملاءهم ولا يعرفون من الأخلاق سوى اسمه

خاف أحدهم وقال : أيها المدير هذا هو الذي وضع المحفظة بحقيبة سالم وأراد المعلمة أن توبخه

_ جميل تعال معي أيها الفتى، وأنتِ يا آنسة اعتذري لمرسال وسالم

هيا

_ أنا

_ نعم لأنك لم تكوني عادلة ولم تتحري الحقيقة وتتبعي المنطق ولم تكلفي نفسك عناء السؤال حتى

_ أنا لم أكن أقصد

_ كلامي واضح يا آنسة لا تطيلي

_ أنا آسفة آسفة حقا

_ جميل، سأخذ هذا الطفل المشاغب قليلا

_ كما تشاء أيها المدير

_ هيا يا مرسال اجلس يا عزيزي وحافظ على دروسك جيدا، وأتمنى أن

تخبرني إن واجهت مثل هذه المشاكل

_ شكرا لك، سأفعل

قال سالم : ما الذي حدث ؟

_ لا عليك يا عزيزي أمور تافهة لا تشغل بالك قط

_ كما تشاء

ذهب المدير لحظات وثم عاد تفاجئ الجميع بذلك الفتى المشاغب، ربط يديه خلف ظهره وقدميه ربطهما مع بعضهما البعض وادخله للفصل زاحفا على بطنه أصبح أضحوكة للطلاب في الممر وفي الصفوف وبالأخص الذين في فصله وقال المدير : منذ الآن وصاعدا من يتعرض لسالم أو لمرسال سيلقى نفس العقاب وهذا قانون سينفذ، أيُّ استهزاء أيُّ سخرية أيُّ ابتسامة ساخرة توجه إليهما سيكون حساب الشخص عسيرا إن كان طالب أو معلم لا يهمني فالقانون سيطبق على الجميع

وأخبروا أصدقاءكم غير الموجودين ها أنا قد حذرت وقد أعذر من أنذر

لأول مرة جاء أحد لينصف مرسال وسالم ويقف بجانبهما وليس أي حد
شخص لديه سلطة، شعرا أن مسيرتهم التعليمية ستكون هادئة وستكون على
ما يرام لأنها بأيد أمينة بأيدي تخاف الله فيهم .

_ماذا سأعرف ؟

_آدم!

_هل تخفون عني شيئا ؟

لا لا بالطبع، كنت أقول لهم إن والدكم سيحزن إذا علم أن إنجابكم

مستحيل

_نعم سأحزن جدا لذلك ولهذا عقدت اجتماعا طارئا ولكن هذه المرة

أنا سأترأسه

حدقت سيلين به ورمت نظراتها إليه كالسهام وكأنها كانت تقول له :

ما الذي تخطط له ماذا يدور في رأسك أيعقل ناطحة الغباء التي لديه

تحولت فجأة لذكاء ومكر ودهاء!

_لا تحدقي بي هكذا يا زوجتي جئت لأدعوكِ على الحفل الذي سيقام

بالأسفل وأنتِ ضيفة مهمة بالنسبة إلي

ورمى بها بنظرات الخبث والخداع وكأنه يقول لها : انقلب السحر على
الساحر وحان الوقت لكي أبدأ ما لم تستطيعي إكماله

اجتمع الجميع مرة أخرى ترأس ذلك المجلس آدم وابتسامته لا تفارق
وجهة وكأنه لم يخسر ملايين منذ قليل في شركة لا استطاع أخذها ولا استطاع
بيعها والنقود راحت مع هبوب الريح

_ هيا فليجلس الجميع

جلس الجميع وأيديهم على قلوبهم وينظرون بعضهم ويتبادلون في
ما بينهم نظرات الخوف والفرع ربما كانت اجتماعات سيلين شرسة بالنسبة
لهم ولكن الأمر هنا مختلف تماما شعروا أن سيلين مجرد كلام ينطق ولكن
أفعالا لا تطبق شعروا أن هناك أفعالا ستنفذ وأحكام ستعقد وبالفعل مع
طيبة قلب آدم وسذاجته كانوا لا يتوقعون منه أي شيء ولكن هل اختلف
الحال ؟

_ كما تعرفون أعزائي كنان ورسلان لا ينجبان فزوجاتهما لهم الأحقية في
البقاء أو الذهاب وإنشاء عائلة ويرزقون بأطفال تدعو لهم بعد وفاتهم
ويرثونهم أملاكهم وتعبهم لكي لا يذهب إلى أناس ليسوا من دمهم ولا من
صلبهم

_ ما الذي تقوله يا آدم؟

_ سيلين اخربي ولا تقاطعيني أبدا أحذرك من ذلك

كظمت غيظها وأمسكت فمها بيدها وقالت : آسفة تابع

_ حسنا، فأنتِ يا رزو وأنتِ يا صوفي لكما حرية الاختيار

ردت رزو قائلة: أنا أفضل أن أبقى مع زوجي كنان لأني أحبه كثيرا

وقفت صوفي منفعة وصاحت بصوت عال :وأنا كذلك لن أتخلى عن زوجي مهما حصل

وأكملت روز : أجل صحيح يا صوفي ونحن نعلم أن لديهم مشكلة منذ ثماني سنوات ولكن قلنا لا وألف لا لن نترك زوجينا مهما حصل نظرا إلى زوجيتهما بحب وأنهن حرفيا مثال الإخلاص والوفاء

دهشت سيلين وفتحت فمها على مصراعيه من الذي الذي قالتاه وأخرجت شفرتها السفلية للأمام وهزات برأسها مستغربة ومتعجبة وقالت بينها وبين نفسها : لا أعلم، أشعر أنني بدأت أحبهن

صفق آدم بحرارة وقال : كلام جميل جميل جدا، ستبقيان معهما حتى لو حرمتهما من الميراث!؟

فتح آدم بتلك الكلمات النار على رؤوس كل من يجلس وصرخات سيلين تزمجر في المكان ولكن لم تكن سوى نغمات موسيقية في أذن آدم

ما الذي تقوله يا رجل ؟

_قلت لك لا تتدخلي ولا أريد سماع صوتك أبدا

هيا يا ابنتي قولاي ما رأيكما

_نح... نح...نحنُ ، نعم نعم سنبقى بكل تأكيد

_جميل جدا

_سننظر إلى الجانب المشرق والجزء الجيد من الرواية، خسرتما الميراث

ولكن يا عزيزي كسبتما زوجتين جميلتين كم هذا رائع!

_رسلان: لكن يا أبي لمَ ستحرمنا من الميراث؟

اقترب منه وضمه إلى صدره وقال : يا بني عندما تموت _ بعد عمر طويل _ أنت وزوجتك، أموالي لمن ستذهب؟

فشد على رقبتة وهمس في أذنه بقسوة : أنا لا أورث لأشخاص ليسوا من صليبي إطلاقاً، لذلك أ...ن..! لا أ...ر...ث

لأشخاص ليسوا من دمي، فلتحفظ ذلك جيداً يا عزيزي

_ كنان: حسناً يا أبي نفهم وجهة نظرك وأنت محق تماماً ولكن ربما ننجب من يدري

_ جميل، وأنا سأكتب وصيتي اليوم وسأعطيها للمحامي إذن

استدارت سيلين نحوه وأمسكت به وقالت : أحصل شيء لعقلك؟ ماذا ستكتب فيها؟

أقلت يديها والتفت إلى النافذة وأعطى ظهره للحضور : سأكتب جميع أملاكي وثروتي كلها وجميعها إلى نوح وزوجته ومرسال فقط لا غير

امتلأت السعادة قلب سيلفيا وقالت في نفسها : أحسنت يا آدم هذا ما يجب فعله منذ سنوات

وأمسكت كتف زوجها وقلبها ملأه السرور : ها قد بدأنا

تابع آدم قائلاً : ستتغير الوصية في حال إنجابكم لأطفال غير ذلك لا تحلموا بذلك أبداً

ذهب آدم ولحق به نوح وزوجته والابتسامة مرسومة على وجوههم و خلفوا خلفهم خراباً وفوضى عارمين

_ كنان : أمي ماذا سنفعل تدمر كل شيء

_ اعرف اعرف ذلك

_ كنتِ ستدعيه وتأخذين منه كل شيء ونوح الذي كان في صفنا
أدار ظهره لنا

_ لم أتوقع حدوث ذلك

_ كنتِ ستقلبين الطاولة عليه وتتهمينه بأموال بيضاء ما الذي حدث ؟
صرخت في وجهه منفعة : لو لم تخفيا عني عقمكما لما حدث ذلك
_ ظنناها مسألة وقت وسنحلها بيننا

_ آه سيد كنان أصبحت تخجل وتحب الخصوصية أنت والمغفل الآخر
_ لكن يا أمي ...

_ أخرس، لو أخبرتني لزورت التحاليل والزقنا التأخير بمشيئة الله
وجلبت لكما طفلا من أي ميثم وربيتماه على أنه ولدكما وهكذا سنرث
والآن لن نحلم منه بأي شيء

بقي رسلان على فزعة وخوف من كلام والده وبقي شارد الذهن مصفر
الوجه الحيرة تملأ قلبه وعلامات القلق لا تفارق عينيه تذبذبت عيناه وهما
ينظران للأرض وقال بصوت مرتجف : أشعر أنه يعلم

صفعته أمه وقالت: أخرس وإلا قطعت لسانك، كيف سيعرف؟

_ أمي، أمي استفيقي ألم تلاحظي شيئا بكلامه

اجتاح الرعب قلبها ولطمت على وجهها وقالت: لا لا يمكن مستحيل
ابتعدت عن المجلس والتفتت وصعدت على الدرج متوجهه إلى غرفتها

امسك رسلان كنان وبدأ يصرخ فزعا قلعا : أنه يعرف وحقده وغضبه
بدأ ينصب علينا شيئا فشيئا

_ماذا تريد منا أن نفعل ؟

_إذ بقينا نمشي خلف والدتك ستمدنا، وسيحرقنا معها لن يرحمها يا
كنان لن يرحمها لقد تبين انه أذكي مما كنا نتوقع السذاجة التي كان يعتليها
فقط؛ لكي لا يشعرها بشيء، اسمع انظر لقد خسر الملايين البارحة وكأنه
أضاع من محفظته قرشا واحدا فقط، جاء بيتسم وكأن شيئا لم يكن
_نعم، نعم وهذا الذي استغربته

اقرب رسلان من أخيه وهمس في أذنه لكي لا يسمعه أحد وقال :
البارحة جاءت له رسالة فقرأتها

_ما كان محتواها ؟

_سيدي لقد تم افتتاح شركة المقاولات الجديدة في أوكرانيا وتمت جميع
الأمر وبالنسبة للمجمع التجاري الذي في مصر لا تقلق بدأنا العمل عليه
سينتهي في مطلع العام القادم

_أحقا ؟

_بكل تأكيد أرايت أنه رجل أعمال بدأ بعمل منتجات سكنية
وتجارية ويطور من تجارته في أوكرانيا وغيرها من البلاد، وإذا وقفنا هكذا
سيذهب كل شيء لنوح ولمرسال فقط ونحن سنعيش كالخدم تحت
رحمتهم

_ماذا علينا أن نفعل؟

_نحن نقف في الطرف الخاطئ افهم ذلك جيدا

_ لكن والدتك تعمل كل هذا لأجلنا، هي تجعلنا ذريعة فقط لتنفيذ خططها فقط لا غير كل همها يكمن في أن والدك كيف يصبح من رجال الأعمال وقد بدأ من الصفر وتحت الأبقار

_ نعم صحيح

_ وكيف البيت القصر الذي نسكن فيه اشتراه من جدي وهو المهندس البسيط الذي يعمل في شركتهم، تريد أن تحصل على أمواله وتضعنا ذريعة لتصرفاتها وتستخدمنا للوصول لأهدافها

_ أيعقل ؟

_ نعم، ألا تذكر كيف كانت تستهزأ به وتعايره في فقرة

_ نعم أذكر

_ فكيف يصبح هو صاحب الأموال والأعمال ومحرك النقدي للبيت وهي أوشكت للوقوع في الهاوية بسبب طيشها وغيرتها من والدك

_ ما دامت لم تحبه لِمَ تزوجته ؟

_ هناك أمور كثيرة نجهلها ولم نخبرنا عنها والدتك

_ربما ولكن والدتك أيضا تملك أراضي ومجمعا تجاريا شارف على الانتهاء

_نعم ولكن ليس وحدها معها أخوها يونس ولا تنسى أن والدتك ليست بارعة في أمور الإدارة فستدع نوح لأنه البطل الذي يعرف كل شيء، ونحن واحد منا إخصائي تغذية والآخر صيدلاني ماذا ستستفيد منا لا شيء

_نحن لِمَ لم ندرس إدارة الأعمال أو هندسة مثل نوح؟

_لأن خالك كان سيفتتح مجمعا صحيا يحمل عيادات أسنان وإخصائي تغذية و نواد رياضية وصيدلية وكان المشروع يحتاج إلى وقت طويل لعدم توافر المال ولذلك درست أنت صيدلة وأنا تغذية لندير مشروع خالنا و عندما سمعنا كلام والدتك انظر ماذا حصل، اعمل في عيادة خاصة براتب بغيض لا يكفني لآخر الشهر وأنت تعمل بدوام كامل لكي تستطيع أن تجاري ما يتقاضاه نوح من أموال لأنه يعمل مديرا في الشركة ليس كالعبد أمثالنا ننتظر أن تعطينا أمك القليل من المال لكي لا نذهب ونطلب من أبيك، ووالدك يعرف بذلك ولا يقول أي شيء ولا حتى يضعنا بإحدى الشركات المعروفة ،هذا الحال الذي وصلنا إليه لأننا أخطأنا منذ البداية وسمعنا كلام والدتك، انظر إلى نوح عندما سمع كلام والده انظر أين هو وأين نحن وعندما كنت أقول لأمي لِمَ لا أدرس مثل نوح كانت تقول لي: أتريد أن تصبح كوالدك الذي لا يعرف شيئا ويكسب المال بشق الأنفس؟

_كلامك صحيح ماذا سنفعل الآن

_يجب أن نتقل للطرف الآخر

_كيف ؟

_سأقول لك

ذهبا وطرق كنان باب مكتب آدم لم يسمع آدم من الطريقة الأولى

فطرق مرة ثانية

_تفضل

_والدي أنت متفرغ ؟

_لا ولكن تفضلا، اجلسا، كنت أنتظر اتصالا ولكن لا بأس هيا

اجلسا، تكلمنا أتريدان شيئاً؟ كيف يمكنني أن أساعدكما؟

_ كنان : نحن يا والدي نريد أن نخ..._

رن هاتف آدم مقاطع كلام كنان

_المعذرة سأرد إنه اتصال مهم

_تفضل يا والدي لا عليك

_تكلم إني أسمعك، تكلم يا رجل، فقط تحتاجون مليوناً لا أنه مبلغ

بسيط جداً كنت أتوقع أن تطلب خمسة ملايين ولكن هذا ممتاز جداً

وينظر أبناءه وهو يتفاخر بأمواله ويغريهم بتلك الأموال بطريقة غير

مباشرة

أشارا بأصبعهما مندهشين ويقولان : مليون!

قال كنان لرسالن : لو عملت في تلك العيادة القذرة لمائة عام لن

تستطيع جني مليون

_ولا حتى نصف مليون

انتهى آدم من مكالمته ورأهما يتهاوسان

اعتذر لمقاطعتكما هيا أكم....

طرق الباب فقال آدم: تفضل

فتح نوح الباب خلسة وقال : والدي أتأذن لي ؟

_ولدي المصون ادخل أدخل أنا فخور بك كثيراً

أنزل نوح رأسه خجلاً : لم أفعل شيئاً يا والدي

_كف عن التواضع بفضلك أعمالنا باتت الأقوى وشعار شركتنا اكتسح العالم وأريد منك أن تذهب لأوكرانيا لتكتسح جميع الشركات وتثبت لهم من نحن

_هذا شرف كبير لي يا أبي ولكن ماذا عن الشركة التي في فرنسا التي أذهب إليها كل عام؟

_لا عليك يا ولدي نحن اسمنا أصبح معروفا هناك ولكن أوكرانيا سمعت أنهم يريدون إنشاء سكة حديد جديدة ويريدون تحويلها أريد أن تحاول أخذ ذلك المشروع وتبرز مهارتك الهندسية الفذة

_بكل سرور يا أبي وأشكر لك على ثقتك تلك

استدار آدم نحو مكتبه ووضع كلتا يديه على المكتب وحنى ظهره ورفع رأسه ونظر إلى نوح وقال: أراقبت حسابك المصرفي اليوم؟

_لا

_انظر إلى هاتفك رجاءا

_ماذا هنالك؟

_انظر فقط يا بني

فتح هاتفه ودهشت عيناه وقفز وهو مكانه وذهب واحتضن والده وقال له: أبي إن هذا كثير لا أستطيع عد الرقم حتى

_لا تعده مليون ونصف المليون

وقال وهو يحدق بكنان ورسالن ويضع تلك الكلمات بأذنيهما: الذي يعمل معي ويمشي على خطاي يا ولدي لا يخسر أبدا والذي يكون في صفي

يربح دائما ولا أعتقد أنه سيذوق طعم الهزيمة قط فأنا ضحيت بمثل ذلك المبلغ تقريبا البارحة لكي أنقذ من هم خلفي وعونا ويكونون سندا لي في مثل هذه المواقف وأنت يا بني هذه ليست المرة الأولى التي تنجح بها بعمل وتفوز به وتتفوق على الجميع بقيت بجانب لسنوات مطيعا لي مخلصا تعمل معي في السراء والضراء وأنا أرى هذا قليلا في حقل وإذا أستمررت على هذا المستوى معي لن تستطيع عد النقود التي ستتهال عليك دفعة دفعة والآن احزم حقائبك لكي تذهب فأنت ورقتي الراحبة

قبل نوح رأس والده وهو مفعم بالحماس والنشاط والفخر بالإنجاز الذي قام به وخرج مودعا

فقال آدم لولديه : أطلت عليكما لأن إدارة الأعمال تأخذ وقتا وجهدا الأرقام الذي سمعها لم يسمعها سوى بالأفلام فقط لم يصدقا أنهم يملكون تلك الثروة ولكن سيرهم الأعمى خلف والدتهم جعلهم يسمعون بتلك الأموال وغيرهم يتمتعون بها

ركضا وركعا تحت قدمي آدم وأخبراه أنهم سيفعلون أي شيء لكي يكسبا مثل تلك الأموال

رد آدم : إذن ستفعلان ما أطلبه منكما أليس كذلك؟

_ بكل تأكيد يا أبي بكل تأكيد

اذهب يا كنان وأغلق الباب والحقا بي إلى الداخل، قام كنان وأغلق الباب وبقي سر الذي بداخل مدفون لسنوات إلى أن

بأياد صغيرة ولمسات ناعمة وضحكات الطفولة يستيقظ آدم عليها كل صباح يداعب أحفاده ويحملهم على ظهره عندما يستسلم لهم حين يأتون مفعمين بضحكاتهم المرحة ليخضع آدم إليهم وهو لا يكاد قد خسر معركة بحياته، وكان يعرف حتى من زوجته السابقة سيلين بالصبر والحلم والتفكير العميق كان ذلك الصبر أحد الأسلحة التي يمتلكها فكان حاملها مريثا ويحسب الخطوة الآف المرات ولا يخطوها سوى عند الرقم ألف، كان يريد كل شيء مثاليا وبأبهى صورة، لذلك لم ينتصر عليه أحد قط لا بالعمل ولا بالفوز رأيته لم تنحن قط، لا أعرف هل آدم شخص سيء أم جيد؟ هل حقا هناك شخص مثله في هذا العالم؟

فإن أراد الحصول على شيء ووضعه هدفا نصب عينيه يبقى أعواما وأعواما ليحصل عليه، يحرق كل شيء وأي شيء ليصل إلى هدفه حتى زوجته!!!

_ جدي، هيا قم لِمَ أنت كسول هكذا نريد أن نأكل ولا أحد يدعنا، لقد أسلطوا علينا كلاما كثيرا وحكما جما ودروس الوعظ حفظتها عن ظهر قلب

_ أنزلا أيها الصغيران عن رأسي وإلا سأعاقبكما عندما أنهض

قال آدم الصغير : لتستيقظ باكرا أولا ثم لكل حادث حديث

_ أتسخر مني أيها الفتى الشقي؟

قالت حنان الصغيرة : لقد جعت يا جدي هيا بنا

بدأ آدم والصغيران يتقاتلون على السرير وتتعالى الضحكات ممزوجة ببراءة الطفولة وتجاويد الشيخوخة فتدخل امرأة بيضاء الشعر على وجنتيها حملت ابتسامات الراحة في كل خط منها حمل حكاية عميقة

كانت تشبه آدم إلى حد كبير تلاقى معه في مقبل عمرها اجتمعوا على مبدأ الأرواح المتشابهة تتلاقى، لا تتلاقى فحسب بل تندمج معا لتصبح روحا واحدة، وكانت ترى آدم في كل يوم كما لو كان لقاؤهم البارحة، آدم الشاب ذا الشعر الأملس الناعم كالحرير ذي العينين الذهبيتين يتلألأ بشكل غريب لوهلة كانت تشعر أن عينه كانتا السبب الوحيد الذي أبقتها متمسكة به، لم يتغير آدم كثيرا في عينيها فبقي الشاب الطويل ذي اللحية الكثيفة والابتسامة البراقة التي تزداد جمالا مع تجاعيد عينيه عندما يتسمم كانت تراه أجمل شخص على الوجود، مع معرفتها أن هنالك من هم أجمل منه بكثير ولكنها كانت لا ترى سواه لا ترى سوى عينيه

وهو كان لا يرى سواها فدائما ما يراها الشابة المفعمة بالحياة التي تمتلك شعرا أسودا وحاجبين عريضين يزين جبينها وكانت تملك غمازا يزيد من جمال وجنتيها وكان يحب ابتسامتها ولكن لم يقل لها ذلك البتة، وعينين كالبن اليمني تخط بهما الكحل، فما أجمل ذلك الكحل وما أجمل عينيها !

جاءت وفتحت النوافذ وأشعلت أغنياتها المفضلة لفيروز "حيبتك تنسيت النوم" وكانت تلك الأغنية تعني لها الكثير، فكل كلمة منها كانت تعبر عن مدى حبها لآدم

_ يا زوجي ألم تستيقظ بعد ؟

نظر إليها ولم تكن نظرة عادية، تلك هي النظرة التي شاهدها لأول مرة منذ أربعين عاما التي جعلتها أسيرة عينيه فكانت بمثابة سلاح الصبر لديها..

_ ها أنا قادم يا زوجتي، ليتركني أحفادك أولا

_ هيا يا أولاد اتركوا جدكم لكي يغتسل وسيلحق بكم على الفور

قالا بصوت واحد : حسنا يا جدتي

ذهبا ولم يلبثا كثيرا حتى رجع آدم الصغير وفي عينيه الحزن يخاف أن يسأل سؤالا يشنون بسببه غضبهم عليه والأكثر خوفا من ذلك هي الإجابة

_ جدتي ..

_ نعم أيها الصغير ؟

_ متى....متى ... متى سيرجع سالم ؟ اشتقت إليه كثيرا

في ذلك القبو الذي عاش فيه سالم لسنوات بقي على حاله بالجدران العفنة والحال المزرية بالذكريات السيئة باللحظات التعيسة في ذلك المكان الذي تَعَطَّش طوال عمره ببكاء سالم وآلمه كنت يا سالم طوال حياتك تعيش تلك المعاناة ظنا منك أنه القدر ولم تعرف أنك كنت ضحية الجشع، بقي ذلك المنزل الذي في الطابق السفلي على حاله ولكن تغيرت أوجه من يسكنه فدارت الأحوال وقدرت وشاءت أن يتحول الجشع إلى فقر مطقع

تصل سيارة فارهة نحو تلك القرية يتقدم أغنى رجل في المدينة ولربما في البلاد كلها، ينزل رجل يبلغ من العمر ستين عاما ولكن لم تحمل في طيات شبيه سوى الفوز ولذة والانتصار وتحقيق الأهداف جاء ليشاهد فوزه بعينيه جاء لكي يرى ما سعى إليه لسنوات وسنوات جاء لكي يقول لذاته : صبرتِ فلنتِ

يتقدم ببدلته السوداء ذات القماش الحريري ينزل عن الدرج بهدوء وتأنٍ يستمتع بتلك اللحظة وكان لا يريد تفويت أي متعة، يريد أن يعيش اللحظة بحذافيرها، وصل لعتبة الباب أخرج من جيبه المفتاح وقبله قبلة حارة وخطب ذلك المفتاح قائلاً : جاء وقتك يا عزيزي انتظرت هذه اللحظة بفارغ الصبر منذ زمن طويل، فتح الباب وصرير بالباب بدأ بالعلو تدريجياً دخل ورائحة الرطوبة تفوح من البيت ولكن كانت أشبه برائحة عطر فواحة، لم تكن لديه أية مشكلة مع العفن المتراكم على قبضة الباب حتى، ذهبت عينه يسارا ويمينا يتفحص البيت جيدا يتأمل ويقول : أحسنت أحسنت أنت حقا شخص ذكي ولا يستهان بك أبدا

نزل الدرج أخيرا تلك القوارض قد ملأت الغرفة في كل مكان شبك العنكبوت قد بنت لها قلعة لا منزل فحسب، الطوب الخاص بالدرج قد أكله الغبار ونظر لذلك الوضع مبتسما ضاحكا قد ملأ قلبه مسرة فأخرج المفتاح الأعظم لديه فقبله واحتضنه بحرارة تشعر وأن خلف ذلك الباب كنز ثمين وأموال طائلة وصفائح من الذهب، ففتح الباب رويدا رويدا وبتمهل تشرب تلك اللحظة بأنفاسه وأحاسيسه لتبقى خالدة إلى مماته، فشم روائح لم يسبق لأحد أن شمها لا تستطيع تمييزها أنها عفن أو رائحة إنسان ميت منذ سنوات أو كأنها رائحة بيض فاسد ولكن تلك كل الروائح مع بعضها لم تشكل لديه سوى بخور فاخر من أرقى الأنواع، شاهد اللحظة التي ينتظرها منذ سنوات عدة فقال مبتسما ساخرا شمتانا غير أسفٍ : كيف حالك يا زوجتي السابقة ؟

شاهد امرأة تبدو في الستين مجمدة الوجه جفنها قد غطيا عينها لم تعد تمتلك حاجبين فقد اقتلعتهما بأظافرها لكي تعد الأيام وتندب على ما

آلت إليها حالها، محدبة الظهر لا تكاد أن ترى لكثرة الدمع والقهر في عينيها شعرها أبيض بالكامل قبل أوانه تراها للوهلة الأولى بأنها عجوز ساحرة لهرمها وسوء حالها، أسنانها أصفرت ورائحة فمها تشبه رائحة الثوم، ثيابا مغبرة رطبة مملأها العفن وتعششت البكتيريا تحت إبطيها كادت أن تنسى من تكون، لم تعد تلك الفتاة الطموحة الجميلة ذات العينين اللوزيتان الواسعتان تصحبهما النمش الخفيف الذي يزين كل خد مع الشعر الخيلي الكستنائي الذي يزداد جمالا مع كل نسمة هواء تهب عليه لم تعد تلك الشابة التي تصغر عمرها بل أصبحت تكبر عمرها بسنوات عدة، فالصلع اجتاح رأسها ولم يدع لها سوى القليل من ذلك الشعر الخيلي وتركها لها الزمن لتواسي بها نفسها كان رحيمًا بها ولكن لم تكن هي رحيمة بنفسها فقد قتلها الجشع مبكرا وقتلت دون أحد ..

_ من آدم ؟

_ بشحمه ولحمه

بكت بكاء شديدا ولكن لم تعد لتلك العينان متسعا من الدموع فقد استهلكتها كلها فاكتفت بالنعيب وقالت : لِمَ فعلت بي هذا ؟ انظر إلى حالتي كيف وصلت لقد خرفت قل آواني لقد ماتت روحي لقد قتلني حية لِمَ تقتلني ؟ فضلت أن تعذبني هكذا حتى أنك لا تردني أن أقتل نفسي اقترب منها وهمس بصوت منخفض مليء بالحقد والبغض والكرهية وقال: هذا هو عقابك هذا هو جزاؤك وهذا قليل بحقك بطشتي وأهنتي وتكبرتي وكل خطئك انقلبت عليكِ
_ كيف ؟ لا أفهم خططت جيدا

_ أتعرفين ما هي مشكلتك أنك تريدين الفوز الآن وحالا وبأي ثمن

ولكن أنا عكسك تماما وأنت تعرفين أريد كل شيء كامل ولا أريده ناقصا لذلك لدي كل الاستعداد لأبقى انتظر سنوات وسنوات لسنوات لكي أحصل على مرادي وغيتي وأنا مرتاح، إذا مت سأموت مسرورا مرتاح البال لأنني لم أحن رأسي أو اركع على قدمي في هذه الحياة القذرة مثلما كنت تتوسلين وتصرخين وتركعين قلت لنفسني عند رؤيتك هكذا سأموت مرتاحا لأنني لم أطأ رأسي لأحد قط، فصبري هذا أكثر ما كان يغضبك، لهذا عرفت السلاح الذي سينتصر على كل الأشخاص الذين هم من أمثالك يريدون المزيد ويريدون أن يخطئوا ويخونوا ويغدروا ولا يابھون لشيء أبدا سوى لجشعهم ولطمعهم ومطالبهم، لذا جعلتك تفعلين كل ما تريدين لأني عرفت في قرارة نفسي أنك ستسقطين في نهاية المطاف

لأن ابن الحرام لا تكلف نفسك عناء دفعه سيسقط لوحده!

_كيف عرفت كل هذا؟

_الفرق بيني وبينك أنك جاهلة تظنين نفسك ذكية والجميع أغبياء ولكنك حمقاء كبيرة متشبعة من نهر التسلط والتكبر وتحاولين ملء فراغات ضعفك وغبائك وقلة حيلتك بالذكاء المزيف والمصطنع

_كنت تدعي السذاجة إذن

نعم؛ لأن أفضل شيئا يمكن أن تفعله في هذه الحياة ادعاء الحماسة في وجه من يظن نفسه ذكي
والآن سأتركك هنا تتعفين وسأرحل

قفزت نحو قدميه وتوسلت إليه راجية باكية وتقول: أرجوك أشفق

علي قليلا

_ أمثالك يستحق الموت مائة مرة وأني وضعتك هنا لتتعفنين وتموتين
من الوحدة والألم

قبلت قدميه وقالت : أرجوك دعني أرَ أولادي

ضحك بصوت عال وقال: قلتِ لي أولادي إذن، يا لكِ من مسكينة

صرخت وقالت : إن مستتهم سأقتلك أيها المجرم الحقيير أين هم
أولادي؟

حنى على قدمه وأوقفها وضحك في وجهها : يا لكِ من مسكينة لم
يصل بك الحال هنا إلا بسبب أولادك أيتها العجوز الخرفة

لوحث بيدها مستنكرة غير مصدقة وتقول: مستحيل أولادي لا
يفعلون هذا بي أبدا

_ مع الأسف يا زوجتي السابقة : " الشخص الذي كان يدعي حبك طيلة
الوقت والذي كنا نقول عن عنه لن يفعل بنا ذلك أبدا هو ذات الشخص
الذي سيطعنك في منتصف قلبك في نهاية المطاف "

هذا حال الدنيا يا عزيزتي

انهارت صراخا على وجهها ووضعت يديها العاجزتين على كتفه وبدأت
تضرب به : كيف لعبت في عقل أبنائي أيها الوغد؟

ابتسم وفي عينيه لذة الانتصار وأشار بيده فضم الإبهام والسبابة
فركهما سويا بهدوء ونعومة للأعلى وللأسفل بحركة انسيابية فذة وأشار
إليهما وقال : لست أنا يا عزيزتي بل المال، المال أنا لم أتدخل بهما مجرد
معرفتهما أنهما لن يورثا أبدا اختاروا صف النقود على السير وراء أحلام أهمها

الزائفة و وراء طيشها المتهور والغبي فأنا حتى لم أذهب إليهما وأعرض عليهما لا لقد أتياي بكامل إرادتهما ليس محبة في بل بأموالي، هما باعانك ما ذنبي أنا في ذلك؟

لا تلوميهما فأنتِ فعلتِ نفس الشيء منذ سنوات عديدة جشعك وغدرك أعميناك والآن تحاسبين عليها أليست الحياة عادلة يا زوجتي السابقة

والآن اسمحي لي تأخرت على زوجتي تكون قد أحضرت لي الطعام اللذيذ واللحم الذي أحبه _فأنا أحب الطعام الذي تعده كثيرا _إلى حين قدوم ضيوفنا سيهتمون بك كثيرا أعدك

قالت بصوت أجش غاضب قبل ذهابك أريد معرفة كل شيء
_بشأن؟

_كيف عرفت سري ومن متى وأين ومتى تزوجت تلك الحمقاء وكل شيء كل شيء أتسمعني والأهم من ذلك خيانة ولدائي
_أعتقد أنك ستموتين من القهر إذا سمعتي ذلك
فسكت قليلا وابتسم وغمز بعينه وقال : وهذا يناسبني.....

عندما يشعر الإنسان أنه لا شيء أمام ما يملكه الآخرون ويصبح فقيرا أماما الملايين فشيئا فشيئا سيصبح عبدا للمال يطمح لكي يحصل على الثروة التي ستحقق له السلطة وتحقق كل ما يريده، في حياتنا يوجد كلاب للحراسة وللأسف هناك كلاب للمال يمكن أن يبيعوا أعلى شيء لديهم من أجل الحصول على الكثير منه وأسف لقول أن بعضهم يبيع كل شيء

للحصول على القليل منه لأنه أُعطي مبلغا لا يحلم حتى بحمله لأنه انتشل من فقر مطعق فأصبح المال البسيط الذي معه بمثابة ثروة، لا نلم المحروم على حبه للمال بل نلقي بأكبر قدر من اللوم على أولئك أصحاب النفوس المريضة الذي لا يملأ عينهم سوى التراب كل همهم في هذه الحياة من يجني أكثر من مَنْ، من يشتري أكثر من مَنْ ولكن ينسون أنفسهم بجمع مال وينسون أن أهم شيء في هذه الحياة هي العائلة

هذا ما قاله مرسال صارخا في وجه الجميع قالها وملء فمه الدماء.....

مرت ثمانية أعوام ولكن لم يكن أحد يعلم أنها الهدوء ما قبل العاصفة كان هدوءا طويل الأمد، لم ترزق عائلة آدم بطفل طوال تلك المدة وبقيت وصيت آدم على حالها لم تتغير وكان كلامه قطعيا حتى تلك المحاورات السرية التي باءت سرا خفيا لم يعرف به أحدا لم تتجح حتى في زعزعة تفكيره وتغيير رأيه، آدم كان يعيش حياة جميلة لا ينقصه أي شيء طوال تلك المدة ينعم بالنجاحات الواحدة تلو الأخرى، ونوح غرق بالأموال واكتساح الشركات خارج البلاد، لم يكثر حتى لسيلفيا أو لمرسال أصبح نسخة طبق الأصل عن والده يعمل بلا كلل أو ملل والحافز الآن شيء مختلف تماما فهو لا يعمل لأجل والده بل تلك الأموال ستصبح كلها له فيعمل بشق الأنفس، وكنان ورسالان على حالهما يتقاضيان آخر الشهر مبلغا زهيدا ينفقه آدم بطعام عشاء واحد، وسيلفيا تعيش حياة الترف بسبب آدم وتطلب ما تشاء ولا يهمها فراق زوجها عنها إطلاقا، وحنان تعيش حياة هادئة جدا والغريب في الأمر أنها بدأت تعامل سالم بقليل من اللطف بعد ما كبر وأصبح شابا وبدأت لحيته بالنمو وبسبب دفاع هديل عنه باستمرار

ووقوفها في وجه والدتها وتهديدها لها المستمر إن لم تعامل سالم جيداً سترحل لتسكن عند عائلة آل صادق وهذا التهديد جاء بمفعول كبير وكبير جداً خافت أمها من تهديدها وبدأت تلين قليلاً في معاملة سالم، سالم شعر عندما دخل مرسال حياته تغير كل شيء بالنسبة له أصبحت الأمور تأخذ منحى جيد وحياته في المدرسة أفضل بسبب ذلك المدير العادل، والجيد بالأمر أن سالم كبر وأصبح يتقن استعمال قدميه عوضاً عن يديه المفقودتين وسط اندهاش من مرسال وهديل لذلك التقدم المذهل، هديل أصبحت بالجامعة تدرس الحقوق وكانت تريد دراسة ذلك التخصص لتساعد جميع من يحتاج لمساعدتها ولتقف بجانب المظلوم فكانت هديل دوما الفتاة الطيبة المحبة للخير وجهها الأليف ذو الملامح الناعمة والعينين مثل عيون المها والشعر الطويل الناعم والوجنتان الحمراء التي تزيدها جمالاً كلما ابتسمت، وبعد مرور ثمانية أعوام استطاع مرسال أن يطلب من جدة أطراف صناعية ليستطيع التخلي عن كرسيه وبالفعل شارك فرحته لهديل وسالم وكانت ثاني أجمل لحظات حياته بعد لقائه بسالم، تمنى أن يصبح لديه قدمان للدفاع عن سالم ولا يقترب أحد عليه بسوء ويقف بالمرصاد لكل من يتجرأ على إهانته والسخرية منه وقد كان قد أخذ على عاتقه حماية سالم من جميع أشكال العنف وألا يُجرح قلبه ولا يُكسر خاطره ولا يُدخل إلى قلبه الحزن والأسى ولو وكان على حساب حياته

وقد أوفي بوعده

جيند بقي في عمله البسيط المعتاد لكي يأمن مصاريف جامعة هديل ومصاريف سالم المدرسية وعزيز الصغير الذي يربيه بعد ما توفيت أخت حنان وزوجها في حادث منذ سنوات، فهو أيضاً يتكبد عناءهم ويحاول

جاهدا ألا ينقص عليهم شيء ولكن طفح الكيل معه لم يعد يحتمل حياة البسطاء تلك والأكل الذي على قدر الحاجة، المعيشة التي لا بد من أن تتحسن بطريقة أو بأخرى وحتى وإن كانت

سيلين كانت الأكثر عناءا في تلك السنوات حيث كانت هي من تدمر كل شيء بنسبة لها بسبب قرار آدم الذي أطلقه بعد ما كانت قد اقتربت خطوة من تحقيق مرادها بعد ما انقلب السحر ضدها، لم تفكر في أن تعمل جاهدة لتضيق خسارتها التي كلفتها الملايين وأن تركز على توسيع تجارتها بالذي بقي لديها من أراض ومجمعات تجارية لا بل رأت أنها لا تملك شيئا وسط الشركة التي خسرتها الذي عمل والدها سنين طوال لكي ينشأها وتصبح من أقوى الشركات في الداخل والخارج، بل ركزت كيف تكسب المال بطرق غير مشروعة كانت تريد فقط أن تجاري آدم في الثروة بعد ما كان عبدا فقيرا لديها كان يعمل تحت جناحها وتحت إمرتها والآن اختلف الوضع فاسم شركة آل صادق للمقاولات هي الأنجح على الإطلاق ولا يوجد حاليا من ينافسها فهي متقدمة على كل الشركات بأشواط بعمله الدؤوب والملتقن واهتمامه بأدق التفاصيل وعدم ترك أي مشروع من دون إنجائه، فزاد حدقها لخسارتها وأن زوجها دفع مبالغ طائلة لكي يعطيها لأهل الخادمة تلك فكيف ما زال يحمل كل تلك النقود وأين جمع كل هذا ومن تلك اليد الخفية التي تساعده ؟

بدأت سيلين تشتاط وتصب ألمها بالشتم واللعن والسب والندب على حالها لم تلبث كثيرا إلى أن قررت أن تسترجع حقها بطرق غير مشروعة وأن تجمع أموالا لتقف مجددا في وجه آدم ولتكمل ما انقطع منذ بدايته ولم يكتمل، وآدم ينتظر أي حركة غبية منها، فهي هادئة لا تصدر أي صوت ولا

حتى تتدخل بأي أحد وهذا ما أثار استغراب آدم ظننا منه في البداية أنها وضعت عقلها في رأسها وأصبحت تفكر مثل جميع البشر ولكن سرعان ما غير رأيه عندما سمعها تصرخ على الهاتف وتتفوه بحماقات كثيرة علم أن هذا الهدوء ما قبل العاصفة، فأيامها ولت وبدأ عصر جديد ويجب عليها إما أن تتقبل الوضع وإما أن تحارب وإما أن ترحل .

بالطبع سيلين لم تفكر أن تتقبل الوضع أو في أن ترحل قررت أنها ستقف في وجه آدم لتنتصر أ تستطيع الوقوف في وجه آدم وأمكنها أن تصمد أمام أمواله !

وهذه الحرب أعلنت منذ سنوات عدة ولكن لا أحد يعلم أن هنالك حربا مشتعلة بين الطرفين، حتى أن سيلين لم تكن تعرف أن آدم قد رفع راية الحرب بوجهها منذ سنوات كانت جميع خطته مدروسة بدقة وكان يشعرها بأنه لا يلاحظ أي شيء إطلاقا عكسها تماما ظنت منه أنه شخص ساذج يمكن التلاعب به وخداعه بسهولة تامة، لم تعرف أنه منذ مجيء نوح على هذا البيت كانت خطته بدأت بالتنفيذ فعلا وكان يسبقها بمراحل عدة

سيلين بدأت تتاجر بالمنتجات مجددا لتفتح ثغرة أمام آدم لإنهائها والتخلص منها مضت ثمانية أعوام وهي تتاجر بها ولم يحصل لها أي شيء ولم تتركب أي حماقات وكان هنالك شريك معها في ذلك الأمر فهي لن تجرأ على العمل وحدها فقد أشركت زوجة نوح في تلك الأمور والمدهش بالأمر أن زوجها يمتلك ملايين الدولارات ولا ينقصها شيء فهل طمع المال أعمى بصيرتها إلى هذا الحد ؟

_ سيد آدم كل شيء تحت السيطرة

_ جميل أريده أن يدخل السجن ويتعفن هنالك طوال عمره لنرى ماذا سيحدث بعد ما أن يدخل السجن

_ سيدي أيعقل ألا يحدث شيء ؟

_ أنت تعرفني جيدا تلك ستكون الضربة التي قبل القاضية

_ أمل ذلك يا سيدي

_ لِمَ أنت متوتر هكذا ؟

_ لا علم يا سيدي ولكن لست مطمئنا ولا أعرف لماذا ؟

_ لا تقلق الأمور بخير

_ طرقت سيلفيا الباب وقالت : أكل شيء بخير يا أبي ؟

_ لا تقلقي كل شيء بخير يا ابنتي الحبيبة

فأمسك يدها وقبلها على جبينها : كل شيء حدث بفضلك وبفضل مساعدتك أنا ممتن إليك كثيرا

_ لا تقل ذلك يا أبي فأنا أقدم روحي فداء لك

قرصها على خدها مداعبا إياها : هيا دعينا نذهب لتأكل إلى حين وصول تلك الأخبار الجميلة

_ بكل سرور يا أبي العزيز

_ أيها الخادم

_ نعم سيدي ؟

_ قل لهم ليحضروا المائدة لنا ليأكل معنا محامينا ويخفف من قلقه قليلا

_ كما تأمر يا سيدي

قالت سيلفيا : ما بك يا زوجي العزيز لا تقلق الأمور بخير وتحت السيطرة فأبي قال ذلك إذن هو كذلك

_ ليتك تثق بي كما تفعل زوجتك

_ لولا ثقتي بك، لما كنت نجحت أبدا مع تلك الغبية التي تسمى سيلين

_ أرايت يا حضرة المحامي فلتهدأ قليلا

_ عندما ينتهي الأمر سأذهب إلى الساحل

_ ألم تعجبك استضافتنا لك؟

_ أي استضافة أنا أمكث هنا منذ ثماني سنوات

_ قل لي أنك تريد بيتا لكما وحدكما

_ كلا... كلا يا سيدي العفو منك لم أقصد هذا سامحني

_ أخاف من أن أقول لك أن تتبرأ من كلمة " سيدي " فتخطأ أمام

الجميع

_ أخاف على نفسي أكثر منك لذلك إلى حين تنتهي تلك الأمور ونتخلص

من الهموم العالقة فوق أكتافنا دعني أقل لك :سيدي

_ نعم فأنت تنسى كثيرا يا صهري العزيز

_ ولكنني لا أنسى العمل أبدا

_ فرد آدم عليه مازحا : والمال

_ أنسى اسمي ولا أنساه

فتعالت الضحكات في المكان فجاء الخادم مقاطعا : لقد جهز الطعام يا

سيدي

_ ها نحن قادمون، فلتنادي الجميع

فقال سيلفيا مازحة : ولا تنسى سيدة القصر السيدة سيلين

_ لقد تم الأمر يا سيدي

تناولوا الطعام الغداء وهم ينتظرون تلك الأخبار السارة

_ نعم يا جنيد أين أنت

_ أنا قرب المحطة

_ ها أنا قادم إليك

_ حسنا، هل أحضرته ؟

_ نعم بكل تأكيد

_ انتبه لا نريد أي مشاكل

_ لا تقلق

صعد جنيد لسيارة الشخص المجهول فأخذ منه حقيبة مهترئة بنية محمرة اللون بسرعة ومن دون أن ينتبه إليه أحد أو يثير الريبة أو القلق

أخذها مسرعا ، توجه بها إلى البيت خلصة وحاول جاهدا ألا يلفت الأنظار إليه دخل البيت وكانت الساعة السادسة والنصف، وطلب منه الرجل تغيير الحقيبة لأنها ممكن أن تثير الريبة في الأرجاء أحس أن هنالك أحد قادم فلم يجد سوى حقيبة سالم أمامه فوضع ما بداخلها في حقيبة سالم، وفي آخر لحظة كانت على وشك أن تشاهده زوجته وهو يضع الأغراض في الحقيبة

_ صباح الخير يا جنيد

_ ص...صباح الورد

_ أين كنت يا جنيد ؟

_ كان لدي عمل، البضاعة كانت قادمة وذهبت لكي أنقلها

والعرق متصبب منه من الركض خارجا وزاد عرقه فضول زوجته وتلبكه بتلك الطريقة

_ أنت تتصبب عرقا هيا أذهب واستحم والأولاد سيخرجون باكيرا اليوم

صرخ بأعلى صوته : لِمَ ؟

تفاجأت بانفعال زوجها الغير مبرر وقالت : لأن هديل لديها اختبار ويجب أن تصل باكرا فعرض عليها مرسال أن يوصلها من أجل ألا تتأخر في زحمة المدينة ويفوتها الامتحان، وسالم سيذهب معهما لأنهما في نفس المدرسة

_ هل لديها امتحان حقا ؟

_ نعم، هل انتهى التحقيق الغير معتاد على وجه هذا الصباح سأحضر
لهما حافظة الطعام خاصتهما لا تأخرنى هيا اذهب واستحم
فدفعته لكي يستحم رغما عنه وهو يمانع ويقول : لاحقا لاحقا عند
خروج الأولاد

_ لن أدعك قدرا إلى حين ذهابهم، لكي تقبلهم ولا يقرفون منك

الوقت لم يسعف جنيد وهو مستحم فللأسف جاء مرسال باكرا، وبدأت
حنان تعد صندوق الطعام على عجلة وتقول : أسرعا أيها الولدان صديقكما
قد جاء

سمع ذلك جنيد وهو يستحم، بدأ يصرخ ويقول : أعطني ملابسى!

لم تسمعه حنان بسبب السرعة ولم تركز سوى مع الولدين، كان يريد
أن يرتدي ملابسه القديمة ولكن زوجته أخذتها للغسيل، بدأ يتوتر ويصرخ
ولكن زوجته لم تسمعه كان قد أدخل الحقيبة البنية معه إلى الحمام لكي لا
تعبث بها زوجته أو يكون قد نسي شيء داخلها، وأخيرا سمعت زوجته
صراخه بعد ما كانت توصل هديل إلى سيارة مرسال وتلقي التحية عليه،
عندما رجعت شاهدت وجه زوجها محمرا من المياه الساخنة ومن غضب
مناداته لها ولم تسمعه فصرخ في وجهها وقال : أين ذهبتِ يا امرأة أعطني
ملابسى !

أعطته ملابسه الجديدة ولبسها مسرعا وهو يصرخ ويقول لها أين كنتِ
منذ ساعة أنادي عليكِ أين كنتِ كل هذا ؟

_ لقد أوصلت الولدين للسيارة وها قد أتيت ماذا بك اليوم ؟

هاج كالثور وعينيه ستخرجان من مكانهما وجن عليها وقال : ماذا ؟
 هل رحلا ؟ هل تحركت السيارة ؟
 _ أجل ! أخبرني ما المشكلة ؟

ركض خلفهما ولم يكمل حتى ارتداؤه لملابسه وخرج للخارج وزوجته
 تنادي : يا رجل إلى أين ؟ أقول لك ذهبا لن تلحق بسيارة "مرسيدس" على
 قدميك

رجع مسرعا وهو يندب حظه مرارا وتكرارا، أمسك الهاتف واتصل
 بشاب المحطة وخرج إلى الشارع الذي أمام البيت وحنان تنادي عليه لكن
 دون جدوى

_ ماذا هناك أخرجت وقابلت الرجل ؟

_ لقد لقد

_ اللعنة عليك أيها الغبي، ماذا سنفعل ليس لدينا متسع من الو...

لم يكمل ذلك الشاب كلمته فكانت الشرطة محاطة المكان من جميع
 الجهات، وتقتحم البيت وتدخل

_ ارفع يديك ولا تحاول أن تتحرك

_ حاضر

دخلت الشرطة إلى البيت فرعبت حنان وقالت بصوت خائف : ما
 الذي يحدث هنا ؟

_ ارفعي يديكِ وضعي وجهكِ على الحائط

_ حاضر كما تشاء

عزيز بدأ يبكي طلبت حنان من الشرطي أن يقترب عزيز منها لكي لا يخاف وتسكته فوافق الضابط على ذلك ، ادخلوا جنيد للداخل ووضعوه مع زوجته وعزيز وفتشوا البيت زاوية بزاوية لم يجدوا أي شيء، ظل يفكر جنيد كيف جاؤوا بهذه السرعة وكيف جاؤوا فقط بعد رحيل مرسال....

_ سيدي لم نعثر على شيء

قال الضابط لجنيد : أين خبأتها ؟

_ ما هي يا سيدي ؟

_ لا تحاول أن تتذكري هيا أخبرني

_ لا أعرف عن ماذا تتحدث يا سيدي ؟

_ أتحدث عن الممنوعات

وكان موجة تسونامي ضربت حنان على وجهها لطمتها ذهابا وإيابا، حدقت بعينيها والدمع على خدها ورأسها ترفض التصديق مثل عقلها وهمست بصوت مرتجف : مُم...مُم...مُخدرات يا جنيد !

_ لقد راقبناك وصورنا حركتك، معنا أمر بأخذك فلا تقاوم وهيا أخبرنا

أين هي لأنك إن لم تقل سنعتبر أطفالك وزوجتك مشاركين في هذا العمل

_ سيدي سأعترف بكل شيء

_ جميل حقا، هذا عين الصواب، هيا تكلم

بعد ما أوصل مرسال هديل إلى الجامعة توجهها مباشرة إلى المدرسة وهما مسموح لهما أن يتأخرا لأنهما لا يحضران الطابور الصباحي فتأخيرهما لم يكن يشكل أي مشكلة قط، ظل الصديقين يحلمان ويتعاهدان على البقاء سويا مثل "روميو والفريبدو في عهد الأصدقاء" كان ذلك الثنائي هما الملهمان لهما والقودة الحسنة في الأخلاق والإيحاء ومعاني الصداقة والوفاء والمعنى الأسمى ألا وهو التضحية، نعم مصطلح بات معدوما ولكن استطاعا الحفاظ عليه لأن قلوبهم صافية لا تحمل ضغينة ولا حقد ولا كراهية

وصلا إلى المدرسة فتح العم الطيب الباب ليساعد مرسال لأنه غير معتاد على الأطراف الاصطناعية بعد، ليكمل به سالم الطريق حيث يتكئ مرسال على كتفي سالم ودعا العم الطيب، وإذ بأصوات مدوية، مدينين يخرجون أسلحتهم يحاوطون سالم من جميع الجهات صوت سيارة شرطة قادمة من بعيد ليصطف الشرطي على عجلة من أمره ويأمر سالم بعدم الحراك ويقول له: "شرطة الأحداث لا تتحرك" ولكن كانت المقولة السائدة آنذاك: "لا تتحرك و ارفع يديك إلى الخلف"

لكنها لم تقل، وحين الإلقاء القبض عليه وفي أصعب اللحظات لم ينعم حتى بسماعها، بسماع أنه شخص مثلنا

لم يتحرك سالم ولم يقاوم، لم يأبه لهذا كله، لأنه ليس وحيدا فمرسال والعم الطيب إلى جانبه دوما، وأحس لحظتها إن ذهب مرسال لن يستطيع مواجهة العالم مرة أخرى فإن قوته يستمدتها منه فهو الحصن والملاذ الآمن له لربما لامتلاك مرسال الشجاعة والدهاء وحسن التصرف

أو لربما لأنك جبان يا سالم !

صرخ مرسال بأعلى صوته : ما الذي يحدث هنا ؟

_ سنعتقل سالم

قال العم الطيب : لِمَ تأخذونه إنه صغير لم يبلغ من العمر الثامنة عشرة عاما بعد -!

_ تهتمه كبيرة جدا

_ ماذا اقترف ؟

_ حيازة وبيع المخدرات

_ لكن سالم لم يفعل أي شيء

_ سنعرف بعد التحقيق، هيا اقبضوا عليه

لم يتحمل مرسال رؤية سالم هكذا توصل إلى العم الطيب أن يساعده وركع بصعوبة أمامه : أرجوك هنالك لبُسا ما أنت تعرف سالم جيدا منذ ثماني سنوات أتهم أنه سرق محفظة زميلة لنا في الفصل ولولا عدل المدير لطبع على جبينه في المدرسة أنه سارق ولص، أرجوك ساعدة

بدى على العم الطيب علامات الحزن لما حل بسالم وكيف حدث هذا وأن ظلم الحياة بطش به ولم يعد يعرف من أين ستأتي اللكمة الأخرى !

قال مرسال وعينيه لا تكادان أن ترى النور، أحس بغصة وأن قطعة قد أخذت من روحه : كيف لشخص لا يملك يدان أن يسرق، كيف لشخص لا يملك يدان أن يصبح مجرم، كيف لشخص بالكاد يعرف أن يكتب بقلمه عوضا عن يديه أن يخبئ ويبيع مخدرات، ألا يرون أنه لا يمكنه فعل ذلك، الا يرون أنه يعاني ليفعل أبسط الاشياء التي يمكن أن يفعلها طفل في

الخامسة، سالم إن لم يطعمه أحد لا يأكل، يقول من الخطأ أن أرفع قدمي أمام من أكل معهم، سالم لا يرفع ويأكل بقدمه لأنه يقول : هذه نعمة الله يجب أن نقدرها ونضعها فوق رؤوسنا لو مت لا أتجرأ وأمسك المعلقة وأكل بقدمي، أيعقل لشخص مهذب وخلق ويعرف الله أن يفعل ذلك أيعقل لشخص طيب أن يفكر وأن يؤذي الآخرين، أيعقل أيها العم الطيب !
 _ لا، لا يعقل يا بني وعلينا التحلي بالصبر والآن لتصعد إلى السيارة ونخبر جدك بما حصل

_ هيا

رن هاتف آدم وهو يحتسي الشاي مع المحامي وابنته سيلفيا

_ أني أسمعك تكلم

_ هذا الذي جرى يا سيدي

_ اللعنة على ذلك الوغد المخادع

_ ماذا حصل ؟

_ جنيد

_ ما به ؟

_ قام بحركة دنيئة وغير متوقعة

_ ماذا فعل ؟

_ أخبرني يا سيدي لم أنت صامت هكذا

_ جنيد، باع ولده !

_ كيف ما الذي تقوله ؟

_ هذا الذي حصل

_ من أعلمك بهذا ؟

_ العم الطيب

_ أين قبض عليه ؟

_ وهو ذاهب إلى المدرسة مع مرسل

قال المحامي : الفتى سيضيع يا سيدي إنها كمية كبيرة وعمره شارف على أن يكون تحت المساءلة القانونية إذا ثبت أنه يبيع سيمضي مدة حكمة في الإصلاح والتأهيل عند بلوغه سن الثامنة عشرة

_ سأخبرك ولكن أرجوك عائلتي ليس لها ذنب في ذلك

_ سنعرف بناء على ما ستقوله وماذا ستعترف به، أولاً أخبرنا عن مكان

الممنوعات

_ أنها في حقيبتي ولدي سالم

_ وأين هو ؟

_ ذهب للمدرسة

_ ماذا ؟

_ نعم يا سيدي

_ أيها الأحمق، يا شرطي خذ دورية والحقوا به إلى المدرسة يجب أن
تصلوا قبل دخوله للمدرسة وإلا حصلت كارثة والآن خذوه لنكمل معه في
القسم

_ أمرك سيدي، هيا تحرك

وصلوا أخيرا لمركز الأمن وكان جنيد يفكر طيلة الطريق بطريقة
للتخلص من هذه الكارثة التي وقع بها

_ سيدي كمال لقد أحضرناه

_ جميل أدخله وحقق معه واسمع أقواله

دخل جنيد شاحب الوجه محمر العينين فقال له الضابط : اجلس، من
أين حصلت على تلك الممنوعات ؟

_ هي ليست لي

_ أيها المغفل لن تنطلي علي حيلك هيا أخبرني

_ صدقني يا سيدي هي ليست لي ولا تمت لي بأي صلة

وقف الضابط لم يتمالك نفسه ضرب الطاولة بكلتا يديه وصرخ في
وجهه : أنت من أحضرها وأنت من اتفقت من ذلك الشخص وأنت من
خطط لكل شيء

_ نعم أحضرتها ولكن هي ليست لي

_ لمن ؟ إذن لا تختبر صبري وقل لي لا تدعني أسحب منك الكلام كلمة

كلمة، أخبرني بالحقيقة

_ إن ...إن..إنها كانت

_ أجل لمن ؟ لا تدعني أفرغ النار على وجهك

_ كانت ..كانت لولدي سالم

_ مَنْ ؟ أنت متأكد ؟

_ نعم

_ كيف هذا ؟ كيف عرفت ؟

_ البارحة يا سيدي عندما عرفت أنه يبيعها أوقفته وحصل بيننا شجار عنيف وقال : أنا أريد المال، أب مثلك لا يمكنه جلب حتى أبسط مقومات الحياة

بدأ يبكي ويستعطف ويولول ويقول : ما ذنبي ؟ إني أعمل في محل يبيع أشياء بسيطة وأكسب لقمتي بما يرضى الله ماذا أفعل إن كانت الحياة ضدي ما ذنبي ؟

أثار استعطاف الضابط وقال : لا تقلق ولدك آتٍ ومعه الممنوعات لنسمع منه

_ قل لِمَا ذهبت لتحضر تلك الحقيبة ولم يذهب ولدك

تلك وقال : لأنني ...لأنني منعته وأغلقت عليه الباب

_ ولم ذهبت وأحضرتها لِمَ لم تبلغ الشرطة ؟

_ لقد جاء أحدهم وطرق الباب ومعه رسالة

_ أين تلك الرسالة ؟

_ أتلفتها لكي لا تقرأها زوجتي عندما تستيقظ

_ حسنا ماذا كان بها ؟

_ إن لم تأتِ وتأخذ البضاعة سنعتبر أنك خائن وقد أبلغت عنا الشرطة، فلن نتركك بسلام ستموت، وسنحاسب عائلتك على حماقاتك تلك، وأنا يا سيدي خفت على عائلتي أن يحصل لهم أي مكروه بسبب طيش وجشع مراهق في مثل عمره لا يرضى بالقليل ويريد أن يبتلع العالم كله بطمعه ويحرق الدنيا لأجل النقود حتى عائلته وهم أعز الناس إلى قلبه، فذهبت لأحضرها لكي لا يفعلوا بنا شيئاً وبعد أن تهدأ الأوضاع سأسلمه بيدي للشرطة

فانفعل وبدأ يدعو للوطنية ويقول : نعم يا سيدي أنا لا أقوم بتريية أوغاد في منزلي، علمته على الصدق والخير والرضى بالقليل وحب الله ومخافته لم أقصر معه بشيء، نعم لم أعطه المال الكافي ولكنني شَرَبْتُهُ الأخلاق الحميدة وكيف تكون إنسانا خلوقا صاحب مبدأ وصاحب حق خرج النائب كمال من الغرفة ورأى الضابط الذي ألقى القبض على جنيد فقال : ما الأمر ؟

_ سيدي أنه ينكر ويقول ليست له

_ كيف ؟ نحن تعقبناه وكاميرات المرور مسجلة أيضا

_ أعرف أعرف لكنه يقول إنها ليست له بل شخص آخر

_من؟

_ ابنه يدعى سالم يبلغ ستة عشر عاما فقط

_ كيف ؟ أحقا أتأكدت من ذلك

_ لا سيدي

_ أتلاحظ شيئا غريبا ؟

_ ما هو ؟

_ إن في هذه الحياة الآباء هم الدروع الحامية لأبنائهم ويلقون

بأنفسهم إلى النار لكي لا ينجرح طفله أو يصاب بأي خدش !

_ أجل صحيح، معك حق

_ وهذا الرجل لم يفكر حتى في أن يعترف على ولده لم نضغط عليه

بالشكل المعتاد ليعترف، أليس الأمر غريبا ؟

_ حقا أنه غريب، كيف يجازف بولده ؟ لربما لأنه لم يكمل السن

القانوني بعد، وقال في نفسه إذا دخل ابنه السجن سيكون أقل ضررا لأنه

معيل أسرته الوحيد، وهو يعتبر قاصرا في القانون

_ لا اعتقد يا ولكن نظيرتي عن الآباء لا تتغير وهذا الشخص فضل

نفسه على ولده !

_ سنرى ذلك

دخل سالم لمركز الشرطة والخوف ملء عقلة وقلبه يمشي في ممرات

قسم الشرطة يشعر وكأن المكان لم يختلف كثيرا عما كان يعيشه وهو صغير

قال في نفسه مهونا : لربما هنا أجمل، لربما أنام مرتاح البال، أحمي نفسي

من جميع أولئك الناس الذين يصفونني " بالمعاق "، هنا سأدرس بشكل

أفضل وسيحبونني، وسأحظى بعالم آخر، هنا أجمل من الخارج بكثير وأغمض عينيّه وتذكر قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾

كان واثقا بالله لا ينقطع الأمل من عينيّه بقي سالم كما هو لم تدنسه قذارة الحياة وسوئها .

أخذ الضابط والنائب جنيد إلى مركز الأحداث باعتباره ولي أمره وأن يجب أن يكون معه لكي يتم التحقيق معه، كان الفاصل بين غرفة جنيد والغرفة التي فيها سالم لوح زجاج ولكن يمكن سماع كل شيء من هناك، ويمكن رؤية كل شيء، كان عذاب الضمير لجنيد كبير جدا ولكن ليس أكبر من حبه لنفسه وأنانيته وطمعه وجشعه اللذان أوصلاه إلى هنا

_ اجلس أيها الفتى

_ أنا يا سيدي أقسم لك أن هناك سوء فهم أنا لا أعرف عنها أي شيء

_ هل أنت متأكد ؟

_ نعم حتى أسأل والدي هو يقول لك، إني لا أفعل شيئا كهذا

_حقا؟

سيدي لقد وصل ملف الإفادة من ولي أمر الفتى

_ جميل أعطني إياه

_ تفضل

_ يمكنك الخروج

_ حاضر سيدي، أتريد شيئا آخر ؟

نظر سالم بتلهف وقال أبي هناك وأشار بعينه له : ها هو اسأله أنا لم
أقم بأي شيء صدقني

حدق القاضي بحزن وخلع نظارته وفرك عينيه وقال بصوت يأسره
الحنن وقال : يا بني اسم...

_ سيدي أنه هناك أبي من سيخلصني، أبي سينقذني

_ أسمعني قليلا والدك ذاك قا...

_ نعم أنه والدي وهو يحبني كثيرا هو دائما ما يقول إنه يحبني ويحب
عينيا كثيرا يقول أرى فيهما شمسا تنير طريقي

_ يا ولدي اسمع...

تعرق سالم اهتز جسده أحس بالخوف وأحس أن والده سيخلصه
وسيصدقته وأن طوق النجاة قد اقترب وهو يناظر أباه بلهفة

_ هو ي..ق..ق..قول لا أفرط بك يا سالم لا أفرط بك يا

صرخ القاضي من حزن على حالته وعلى ما سيقول وكيف سيكون أثره
على قلبه الصغير فقال غضبان أسفا : والدك أخبرنا أنها لك ولا يعرف عنها
أي شيء وأنت سبب كل ذلك البلاء الذي وقع على رؤوسهم ، وهو مستاء
جدا حسب إفادته من تصرفك وأنه حاول منعك عن هذه الأمور مرارا
وتكرارا ولكنك لم تسمع ولا تريد أنت تسمع وأنت أضعت أسرتك من أجل

المال

تشنجت شفثاه سمع صوت قلبه ينكسر إلى فتات صغيرة حملت كل

منها ألم رهيب يضرب به، حرق بوالده وهو يسأل لماذا ؟ ما الذي فعلته لك ؟

أتعلم شعور الأمان عندما تحصل عليه من الشخص الخطأ، هو أصعب مئة مرة، لا بل ألف مرة من أن تشعر بالخوف كل يوم، ذلك الشعور يفتك بك من الداخل، كنت تأخذه من شخص كان ينتظر أن يقول لك وداعا وإلى الأبد_ لو ركزت قليلا تجد أن الشخص دائما ما يقول لك وداعا ولا يقول إلى اللقاء أنت أحقق لم تنتبه جيدا لم تعنك تلك التفاصيل الصغيرة لو أعرتها انتباها لوجدت أنها كانت ستنقذك من عواقب وخيمة كانت ستقول لك احترس فأنت في خطر لم تنتبه لِمَ؟ تلك هي ضريبة مهملو التفاصيل _ أعطيته قلبك المرتجف وسلمته له أعطيته إياه ليكسره أمام مرأى عينيك، ليقول في عينك إنك تستحق هذا

ليس ذنبك يا عزيزي أنك طيب القلب ليس ذنبك أنك تتعلق بالطيبين وتظنهم أوفياء مثلك، ليس ذنبك أنك لا تجيد كسر الخواطر وتحطيم الأنفس ليس ذنبك أنك ولدت بقلب ينبض ويشعر ويعرف ما معنى أن يخذل إنسانا من أقرب شخص إلى قلبه أن يغدر من الذي يدعي حبك لسنوات، يؤلمك من لعب دور البطل بحياتك فقط لكي يكسب ثقتك ليحصل على مكان داخل قلبك، فقط همه أن يجرحك ويكسرك ويحني رأسك، الأيام تثبت لنا أن الأشخاص ما عادت تحتاج مواقف لتثبت حسن نيتها تلك التكتيكات والخطوات كانت خطوة بدائية قفز عنها أولئك مُدَّعي الطيبة وأصبحوا يعرفون أوراق مختبريهم، فأصبحوا متقدمين عنا بأشواط ومراحل، أصبح من السهل عليهم أن يخلقوا الموقف ليثبتوا أنفسهم ويطنون بأقدامهم على سطح قلوبنا بنبرتين مرتفعتات وتعابير وجه زائف وبحركات استطاعوا تعلمها من الأفلام ومدحنا بكلمتي وتحريك أيديهم

بالهواء مستعدين لبدأ النواح ورد الكلمة بعشرة والوقوف بوجه كل من يتعدى علينا، لكن وقوفهم في وجههم أحيانا ليس فقط ليدعوا حمايتنا بل أن الشخص الخصم الذي يقف أمامنا هو قاسم الكره أو العدو المشترك بيننا فيتم بتلك الحركات ضرب عصفورين بحجر واحد ونالوا ما يريدون ونحن ننال ما نستحق من الخذلان!

_ أين شردت يا بني ؟

_ لا لا شيء

_ أنت مصر على نكران تلك التهمة

قال سالم والدمع يسيل هذه المرة من قلبه : لا أريد التكلم خذني إلى حيث تشاء لم يعد هذا مهما

_ كما تشاء يا ولدي

_ أنا أعتذر

_ لِمَ تعتذر يا بني ؟

_ لأن ليس لدي يدان : لتضع بهما الأصفاذ ..!

وبهذه الطريقة دافع سالم عن نفسه من دون أن يكذب والده بأي كلمة، لم يشأ أن يقول إن ذلك زورا وافتراء، لم يشأ أن تتخرج هديل من جامعتها ولا تجد أباه يلوح لها وأعتقد أنها لن تحتاج أباها للتلويح فمهمة التلويح تناسب الجميع إلا سالم!

لم يشأ أن يتيتم عزيز مرة أخرى ويكون هو سبب تعاسة العائلة، نعم هو ضحى بنفسه مرة أخرى

قام القاضي واحتضنه وبدأ يطبب على ظهره : لا تخف يا بني، لدي شعور أنك بريء

_ لا أريد أن تبرأني لأنك تعطف على حالتي، أريد أن تبرأني لأنني لست مذنباً وحسب

ابتسم القاضي بحزن وهز برأسه مخففاً عليه : لا تخف نحن فقط كنا نتبادل أطراف الحديث والمحاكمة ستبدأ بعد أن يجدوا لك محامياً

_ لن يعينوا محامياً، ولا أريد محامياً الآن

_ لِمَ يا بني ؟

_ أُمِّي تتدخر المال من أجل دفع رسوم الفصل الدراسي الأخير لأختي ولا أريد أن تحرم من التخرج بسببي

قال القاضي في نفسه : أيعقل شخص بطيبته أن يفعل شيئاً كهذا ؟

أيعقل شخص لا ينتظر من الحياة سوى قليل من التقبل، شخص أكبر طموحاته في هذه الحياة أن يعيش كما يعيش الآخرون!

بعد ما وقف سالم وأخذ الشرطي ليحتجزه في المكان المخصص حديق بوالده وضرب سهام نظراته وقال له : بعنتي أنا أعرف ولكنني أعذرک فأنت تبقى والدي الذي أحب والشخص الذي رباني

في بعض الأحيان من حبنا الأعمى للشخص نرى زلاته وأغلاطه مغفورة
ونضع لها ألف مبرر ومبرر، لأن حبنا لأولئك الأشخاص تعدى لدينا مرحلة
الخطأ وعبر شط الأمان فلن ترتطم به أمواج غيظنا وكظمننا منه أبداً، فنحن
من أوصلناه لذلك المكان بأيدينا !

يجر جنيد نفسه إلى منزله بعد ما أطلق سراحه وهو يلطم على رأسه
ويقول لنفسه : هل ما فعلته صحيحا ؟

ويلوم ويوبخ نفسه ويقول : ليس ذنبه يا جنيد ليس ذنبه أنه....
حملته وزرا ليس وزره وحملا ليس حملة ما ذنب ذلك الفتى المسكين ؟
وصل على البيت وحنان محترقة بنار خوفها عندما دخل هجمة عليه
بالأسئلة واحد تلو الأخرى

_ ماذا حصل

_ لا شيء

_ ماذا جرى ؟

_ قلت لك لا شيء

_ لِمَ لا تخبرني ؟

_ لأنني متعب

_ هيا أرجوك أخبرني

_ قلت لك دعيني وشأني لا أتحمل أحدا أمامي رأسي سينفجر

_ حسنا سأتصل بالمدرسة

_ لِمَ ؟

_ سالم لم يعد حتى الآن وليس من عادته أن يتأخر، ولم يتصل من
مرسال ويقول أنه معه

رطم على فخذيته تارة وعلى رأسه تارة أخرى وقال : سالم لم يعد
موجودا بعد الآن

جحرته بعينيهما واقتربت منه : ماذا تعني؟ هيا قل

_ لقد وضعت المخدرات بحقيبة سالم

_ إذن ؟

_ وقلت إنها لسالم وليست لي

_ كيف تقول هذا ؟

وانهار بالبكاء وأكمل : خفت أن يضيع مستقبلي وأخسر عائلتي

لأول مرة حنان تشتاط غضبا على جنيد ومن غير المتوقع أن يكون كل
هذا الغضب من أجل سالم، صفعته بكامل قوتها وصرخت : أيها الغبي
خفت أن يضيع مستقبلك وقلت في نفسك ذلك فتى معاق ليس له مستقبل
أصحيح ؟ قلت وجوده في هذه الحياة غير ضروري ليحمل إثم أخطائي
وزلاتي ويذهب للجحيم لا يهم أيها الغبي سيحاكم وسيستدعونني شاهدة :
ماذا أقول له زوجي محق وإن أبننا مجرم !

امسك بيدها متوسلا عاجزا : يا عزيزتي أرجوكِ أترضين أن تبقى هديل

من دون أب

_ أفلتت يده وقالت : أترضى أن يبقى ولدك محتجز ظلما ؟

_ ماذا ستفعلين ؟

_ لا أعرف فقد فرطت بفتى صغير

_ ستقولين الحقيقة ؟

_ لِمَ تاجرت بتلك الأشياء ؟، لِمَ أوصلتنا إلى هنا ؟، لِمَ نتحمل غباءك نحن ؟

صرخ في وجهها والدمع يسيل من خديه : لأن مسؤولياتنا أكبر من دخلنا، لأن حاجاتنا تفوق ما نجلبه من المال في آخر الليل، ونريد أن نحيا حياة كريمة لا نشقى بها أبدا كغيرنا

أمسكته من ياقة القميص وبدأت تهز به وتزمرجر في وجهه : أتريد أن تحيا حياة كريمة على حساب مستقبل الأطفال والمراهقين ، في الإسهام في خراب ودمار مجتمعك ووطنك ؟

_ الوطن الذي تتكلمين جعل مني مجرما، لو يأمن لي قوت يومي وحاجات أبنائي لن يضطر أحدهم للسرقة أو لدخول هكذا عالم

اقتربت من منه وقالت : أنت تعيش في الوهم وتلقي لوم أخطائك على غيرك ولا تريد أن تتحمل المسؤولية وتريد أن توصل إلى فمك اللقمة جاهزة دون عناء أو جهد وإن لم تصل على طبق من ذهب تلعن الوطن والفاستدين وأنهم أخذوا حقلك، الأمر ليس هكذا والأمور لا تحسب هكذا

أن تكون إنسانا مكافحا لا يعني أن تأخذ اللقمة من فم غيرك لا يعني أن تضع الآخرين شماعة لتعلق عليهم أخطاؤك كلما أخطأت وأذنبت، لو

تريد أن تكسب قوت يومك وتوسع تجارتك لكنك خلقت فرصة، وحاولت أن تعمل عمليين و ثلاث وأربع

ولكن لا لا تريد، تريد العمل ست ساعات في اليوم والمصاريف تدفع نفسها بنفسها، فلجأت للعمل الأسهل هو طريق الحرام والطرق الغير مشروعة لتعيش الحياة التي تحلم بها، ولكن من دفع ثمن تلك الأفعال هو ولدك المسكين سالم ! أتعرف شيئاً؟

طأطأ رأسه من الخجل وقال : ماذا ؟

_ لو فضلنا على الماء والبصل أفضل من أن نخسر أحدا منا، أفضل من أن نعيش كل يوم بتعذيب الضمير الذي سيأكلنا كل يوم، أو كيف سنقابله بعد أن يخرج، ما موقفنا منه؟

_ لقد حرق بي بنظرة أصابت قلبي وقطعته لأشلاء

_ بالطبع فوالده أعز إنسان على قلبه الذي كان يدافع عنه حتى من بطش أمه قد خذله وانظر إلى الحال الذي وصلنا إليه، كنت تدافع عنه وهو صغير وتخبؤه تحت جناحك وللأسف لم يكن يعلم أنك كنت تخبأ له السكين لتذبحه في يوم من الأيام !

بكي جنيد بكاء شديدا وهو يضع يده على فمه ويمسح بالأخرى عيناه

_ ماذا سنقول يا لهديل عندما تعود ؟

_ سنقول لها الحقيقة

_ ماذا!!

_ سنقول إن والده قتله وهو ينظر في عينيه، قتله وهو حي لن يكون

هنالك أحد ليمسح له دموعه !

تركته حنان وحدة مع تلك الكلمات القاسية التي تفوهت بها وذهبت
لتفكر كيف ستكون ردة فعل هديل على ما أصاب أخيها وكيف ستكمل
آخر فصل لها

لم تلبث من التفكير طويلا إلى أن سمعت جرس الباب ذهبت لتفتح

_ كيف حالك يا أمي ؟

_ بخير...بخير

_ لِمَ وجهك شاحب هكذا ؟

_ لا شيء

_ أمي لا أصدق هل حدث شيء ؟

_ كيف كان اختبارك ؟

_ جيد، وأحضرت لسالم كتابا سيحب قراءته

_ س..س...سالم!

_ أجل سالم ؟

_ سالم أنه ...

انفعلت هديل وقالت : أمي تكلمي ماذا حدث لأخي ؟

_ غيري ملابسك وسأخبرك بعد الغداء أنتِ متعبة ويجب أن ترتاحي

أبعدت يدي أمها وبدأت عليها علامات الغضب وقالت : أمي، الآن

_ حسنا يا ابنتي سأقول لك

جاء مرسال وهو يبكي إلى جدة : جدي أعلمت بالذي حصل ؟

حضنه آدم وقال : لا تقلق يا بني سنحاول إيجاد حل لا تقلق

_ جدي سيسجن ؟

_ لا يا حبيب قلب جدك سنخرجه سنخرجه لا تقلق

_ أنت واثق يا جدي

_ سنحاول

_ سنزوره غدا ؟

_ سنرى ذلك سنسأل العم المحامي وهو سيرتب لنا زيارة

_ سيدي أتأذن لي قليلا

_ هيا يا حضرة المحامي، سيلفيا خذي ولدك إلى غرفته لكي يرتاح قليلا

_ هيا يا بني جدك والعم المحامي سيحلان الأمر

انتفض غيظًا واشتعل ما هو مكبوت في قلبه، وأباح ما في قلبه وقال :

_ أنا لست صغيرا، لا تعاملوني بأني طفل أنا شاب واع وكبير

_ يا بني لم نقل عكس ذلك أبدا

_ كلاً نظراتكم همساتكم وكل شيء

_ أعرف أنكم تخفون الحقيقة وأنك يا جدي على علم باعتقال سالم
وأنك تخفي ووالدي والسيد المحامي أمور كثيرة

نظر آدم بدهشة وقال : ماذا تعرف ؟

_ الشيء الوحيد الذي أعرفه أن هنالك أشخاصاً يجب ألا يكونوا بيننا
وآخرون ينتمون إلى هذا المكان ولهم الأحقية في العيش معنا ولكن تم
نفهم وكأن دخولنا إلى حياتهم كان محض مصادفة

لم يستطع آدم بذكائه ودهائه أن يفسر ما قاله ظلت تلك العبارة
مجهولة في خاطره بعد أن ألقى رسال تلك الكلمات مبعثراً الوسط ولم يبق
حجراً على حجر وبعد سؤاله المتكرر عن ماذا يقصد بالضبط ويتكلم
بوضوح فرفض وكان جوابه : الأيام كفيلة بأن تكشف الحقائق

تبعثروا بفوضى كلمات رسال، حل الصباح وذهب المحامي برفقة
رسال ليذهبوا وليروا حال سالم ويسألونه عن وضعه

لأنه احتجز على ذمة التحقيق وجاء هذا القرار من الجهة القضائية
المختصة بعد دراسة الملف

_ كيف حالك يا سيدي ؟

_ بخير، من أنت ؟

_ أنا المحامي الموكل بالدفاع عن سالم

_ جميل

_ كيف حاله أمكننا رؤيته ؟

_ للأسف لا يمكن

_ لِمَ

_ لأن سالم ليس هنا

_ أين هو إذن ؟

_ مع الأسف نقل للمشفى

صعق مرسال بذلك الخبر وقال لِمَ ماذا حصل له ؟

_ تعب كثيرا ليلة البارحة أحس بأن قلبه يؤلمه وبدأ يرتجف فنقلناه

للمشفى بأسرع وقت

_ حسنا شكر لك أيها الضابط، سنذهب إليه حالا، هيا يا مرسال

انطلقا بأقصى سرعة نحو المشفى للاطمئنان عليه، رفع المحامي سماعة

الهاتف ليخبر السيد آدم عن الذي حصل

_ سيدي

_ ما الأخبار، كيف حال سالم ؟

_ ليس بخير

_ كيف ؟ ما الذي حصل ؟

_ اعتقد أنه لم يحتمل اعتقاله ووجوده بذلك المكان

_ لا ليس هذا هو السبب

_ إذن ما هو ؟

_ لم يتحمل الخذلان الذي وضع به، لأن والده فشل بامتحان الثقة

بجدارة وكان فشله ذريعا حقا، تسبب في خسارة ولده ورميه بالسجن وإلى

الحالة التعيسة التي يحاربها الآن والأسئلة التي تدور برأسه الآن، ويحاول تكذيب ما جرى، ويقول في نفسه : تلك خطة نعم خطة، أبي رسمها كي ينقذني، ولكن لوهلة وفجأة تدق ساعة الحقيقة ليعترف الإنسان لذاته أن الأكاذيب التي يقولها ليست سوى مجرد وهم زائف يلقنه الإنسان لنفسه ليمتص الوقائع المليئة بالآلام يوهم نفسه أن الكابوس الذي يعيشه ليس مجرد حلم وسينتهي نهاية جميلة، هو لا يريد أن يصدق الذي جرى له ولكن مع الأسف تلك الساعة حان أوان أن تدق وكانت وقع دقائقها ثقيلة على قلبه الصغير الطيب ...

_ أنت محق يا سيدي

_ والآن أذهب إليه مع رسال ولا تدعه وحده، أنه متفائل أعطه دفعة من كلماتك المشجعة تلك وسينهض _ بإذن الله _

_ كما تأمر يا سيدي

_ لا تدع رسال وحده، حاول أن تعطي وتأخذ معه في الحديث فهو شاب ذكي منذ طفولته

_ لا تقلق يا سيدي

_ اعتمد عليك

_ بكل تأكيد

_ أيها العم المحامي كم بقي لنصل : بقي القليل أنت تعرف الأزمة الخائفة

_ أتمنى ألا نتأخر

شعرت هديل بخذلان الأب وكيف لذلك الشخص الذي كان يدافع عن سالم استغنى عنه في لحظة خوف، أتعرف شعور أن يخذل شخص أمامك من أحدهم وتنتظر وتقول في نفسك متى سيأتيك الدور، إذا استطاع التخلي عنه سيتخلى عني بكل تأكيد حين تحين له الفرصة

قالت هديل بصوتها المرتجف : ه..ه...هل سلمت سالم بدلا منك، هل حقا حملته وزر أخطائك، هل حقا رميت حملك على فتى صغير في مقبل عمره!

وجهاها أصبح أحمر وحاجباها التصفا من الغضب وبدأت التجاعيد تظهر على جبهتها والدموع تلم على وجنتيها فحاول تهدئتها وإمساك كتفيها ويقول: يا ابنتي اهدئي قلي....

لم يكمل حتى جملته فأبعدت يديه وهي تقول له : دعني وأخبرني هل ما قالته أمي لي صحيح؟

_ابنتي

_لا تراوغ هيبها أخبرني

_أجل صحيح

حني رأسه خجلا من فعلته

_لا تحني رأسك فهذا الخجل يصلح لأولئك الذين يمتلكون قلبا، ليس

للأنانيين أمثالك

_ابنتي؟

_اللعنة عليك من بين الآباء، لو أنني مت ولا سمعت خذلانك لسالم

_ابنتي أرجوك انتظري

_إياك أن تقول لي ابنتي أنا لم أعد ابنتك

_أنتِ تقولين هكذا لأنك غاضبة

_كلا

تدخلت حنان محاولة تهدئتها : والدك لم.....

_أبي توفي بالنسبة إلي والدي لم يعد موجودا، الله وحده يعلم متى

سيطعنني من خلفي أنا أيضا

_ابنتي ما هذا الذي تقولينه؟

_أمي، من يبيع ابنه الذي هو أغلى شيء عنده لن يفكر في رمي

بالشارع، وأنا لن أنتظر لكي يصبح مصيري كمصير سالم وأصبح مجرمة دون

جريمة

دخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب بعنف

_كيف حالك؟

_لست بخير

_ماذا حدث؟

_سالم

_نعم نعم كنت معه

_ليس هذا

_إذن؟

_والدي هو من فعل ذلك والزق التهمة بسالم

_كيف؟

- _ لقد أخبرتني أُمي الآن
 _ أليس ولده كيف يفعل هذا ؟
 _ لا أعلم ولكن لم يعد من الأمان البقاء عنده لم أعد أثق به
 _ ماذا ستفعلين؟
 _ سأذهب وأسكن عند خالتي هي بعيدة عن هنا ولكن ليس هنالك
 حل آخر
 _ كلا لا تذهبي
 _ لِمَ؟
 _ من الجيد لو تأتي وتعيشي معنا
 _ هل والدتك تسمح؟
 _ والدي لا تعارض وجدي يحبك كثيرا فتعالِي
 _ سأفكر
 _ لا تفكري كثيرا تعالِي
 _ حسنا سأحزم حقائبي وآتي ليس لدي خيارا
 _ أين أنت ؟
 _ سأذهب لكي أرى سالم وها أنا سأصل بعد قليل
 _ أرجوك أبلغه سلامي
 _ سأفعل لا تقلقي، سأتصل بالسائق لكي يأخذك إلى منزلي سأراك هناك
 حسنا
 حزمت حقائبها وخرجت مسرعة من الباب ولوحت بيدها : أنا ذاهبة
 حنان : إلى أين يا ابنتي ؟
 _ سأذهب ولن أبقى ببيت لم يعد يذاق به طعم الأمان هنا
 أصبحت حنان تتوسل وتبكي وتقول : أرجوكِ لا تفعلي بي هذا لم يبق

لدي أحد هنا

_ لن أبقى وهذا الرجل في البيت أنا ذاهبة

حاول جنيد منع هديل بالتوسل والبكاء

_ وفر دموعك لنفسك ووفرها للبكاء ليس على سالم وحسب بل علي

أيضا وهذه المرة سأودعك بقول وداعا وأسأل الله عدم اللقاء

فلوحت بيدها ونظرات الحقد نصب عينها علي ما فعله جنيد بسالم،

خرجت من الباب وأغلقت على صراخ واستغاثات أمها بالرجوع

_ كيف أصبح أيها الطبيب ؟

_ حالته الصحية على ما يرام ولكن النفسية ليست بخير أبدا

_ ما به أيها الطبيب ؟

_ تعرض لانفيار عصبي حاد

_مرسال: سيكون بخير أيها الطبيب أليس كذلك؟

_ نتمنى ذلك ولكن الخوف من القادم والاضطرابات لا تحاولوا إزعاجه

وحاولوا التخفيف عنه

_المحامي: حسنا شكرا لك أيها الطبيب

_العفو هذا واجبي

_هيا يا مرسال لنطمئن على سالم

_هيا

وجدنا الشرطي يقف على باب غرفة سالم ألقى التحية وعرف بنفسه
وقال: مرحبا أنا المحامي الخاص بسالم

_أهلا بك

_أريد أن أدخل بعد إذنك

_بكل تأكيد تفضل

دخل المحامي ومرسال للداخل، وجدوا سالم مرمي على السرير منزوعا
من وجهه الحياة فاقد الأمل والشغف يشعر بذلك السهم يتحرك في قلبه
ويفتك به من كل جانب ينظر إلى النافذة بطرف عينيه وكأن شعور مرسال
قبل ثماني سنوات قد تغلغل في أعماقه (شعور بأني أريد الموت وانتظر تلك
اللحظة بفارغ الصبر)

_سالم يا بني!

سالم شارد الذهن ممزق القلب والدمعة تقف على أهداب رموشه
تنتظر لحظة التقاء جفنيه ببعضهما لتنزل إلى رقبتة مخلفة وراءها طريقا
مستقيما لتسهل المهام على أخرياتها لم يلتفت سالم إليه أبدا كأنه لا يشعر
حتى بوجوده أو لربما لم يعد يشعر مطلقا

_سالم يا صديقي!

عرف سالم ذلك الصوت، نعم لم يشعر بشيء ولكن ذلك الصوت إن
أبت أن تسمعه أذناه فالقلب جاهز لتلك المهمة فمكان ذلك الصوت بين
أوردة القلب وشرايينها

فأغمض ذلك الجفنين وسالت الدموع واحدة تلو الأخرى مع كل غمضة جفن

_ سالم يا صديقي أنت بخير؟

لم ينطق سالم ولا حتى بكلمة واحدة

جلس المحامي ومسح على رأسه وقال: أعتقد أن هذه المرة الأولى التي تراني وأعرف أنك تشعر بشعور سيء ولكن يجب عليك ألا تستسلم وأن لا تسمح لأي شخص مهما كان أن يكسرك وأن يحطم من آمالك ويسلب منك شغفك في هذه الحياة، فلا أحد يستحق أن تأسر نفسك وتضعها في قوقعة لمجرد أن ذنبك الوحيد هو إعطاؤه تلك الثقة المطلقة

أحس المحامي أن سالم يستمع إلى ما يقوله ولربما مع الأيام سيتحسن ويبدأ بالتعافي مع الوقت من تلك الصدمة

ولكن المحامي عندما نظر إليه وقال في نفسه : أتمنى أن لا نلجأ يا سالم لكشف الحقائق لكي ننقذك، أتمنى ذلك من أعماق قلبي، لأنك لا تستحق يا صغيري الأمور التي ستقال، لن يتحملها قلبك الصغير لن يتحملها أبدا

خرجا من عند سالم وعلامات الحزن والقلق باادية على مرسال حاول المحامي أن يخفف عليه ولكن هو يعرف أن شهادة والد سالم الزور قلبت جميع الموازين وكيف سيخرج سالم من دون أن يهدم هرم الكذب ذاك ؟

_ كنان أريد أن ينفذ الأمر حالا وبأقصى سرعة ممكنة

_ سأحل الأمر يا والدي لا تقلق

_ الآن لا أريد أي تأخير نحن في وضع حساس جدا ولا يمكن أن نتأخر

_ سأذهب الآن

_ انتبه لا أريد أ خطأ

_ دع الأمر لي

بينما الجميع منهمك في المصائب التي تتلاحق عليهم واحدة تلو الأخرى، كانت سيلين تعيش في عالم موازٍ آخر جشعها أعمى بصيرتها وأصبح همها الوحيد هو جمع أكبر ثروة يمكن أن يحصل عليه أي شخص، كانت هي من تأخذ حصة الأسد من كل عملية بيع أو من كل حمولة تدخل أو تخرج، غرقت في سوادها إلى أن جاءها أخيرا من يلطمها بخبر تصحو وتفريق من عاملها ذاك وأن الحبل أقرب إليها وأصبح ربطه وشيكا، لم يبق سوى أن يلف حول رقبتها

_ ماذا هنالك يا رسلان ؟

_ أمي الوضع متأزم قليلا

_ ماذا ؟

_ أتعرفين ذلك الرجل الذي يدعى نجيد جميد جند شيء

كهذا ؟

_ جنيد، أجل ما به ؟

_ أجل ذلك هو

_ نعم، ماذا حصل ؟ هل أستلم البضاعة من الرجل لكي يبيعها ؟

_ مع الأسف لا

صرخت سيلين بوجه رسلان وفتحت يداها على أوسعها وقالت : ماذا حصل ؟

_ لقد تم القبض عليه

_ ماذا أنكنت متأكد ؟

_ بكل تأكيد وتم إيقافه من ...

فأنزل رسلان رأسه فسكت فهزته والدته بكلتا يديها وقالت : بني لا تلعب بأعصابي من الذي يستلم ملفه الآن ؟

_ إنه نائب قديم يدعى كمال الحسن

ارتفعت سيلين من الذي سمعته وقالت : غير معقول، غير معقول لا يمكن !

_ أمي هل يشكل خطراً علينا قال لي كنان كلاماً ليس مريحاً ولكن لم أفهم ولا حرف من الذي قاله

_ أنه شخص والده توفي بسبب جلطة دماغية بعد ما حمّله والدي مسؤولة سرق المخازن ولكن الخطأ كان على والدي ولكي لا نتعرض للمساءلة القانونية ويلطخ اسمنا بالتراب حمّل المسؤولية لوالد كمال وقال إنه وُكِّل له مهمة وضع كاميرات والحراس على جميع المخازن والمستودعات
_ إذن ؟

_ هو ذكي مثل والده لا أعتقد أنه دخل الحمامة محض مصادفة

ويجب علينا أن نحاول إسكات جميع الأطراف لكي لا يصل إلينا

_ أتريدون مني أن أقتله ؟

_ أحرص وإلا قطعت لك لسانك الطويل هذا

_ ظننت تريدون ذلك

_ أرح نفسك لا أريد

_ إذن ماذا سنفعل

_ يجب أن نحاول إبعاد جنيد من هنا بأقصى وقت

_ جنيد خلص نفسه مبدئياً وفي الوقت الراهن

_ كيف؟

_ الزق التهمة بسالم وخرج منها وكأنه لم يفعل شيئاً

_ أحقا ؟

_ نعم

_ جميل ذلك سيأخر الشرطة قليلاً لأنه ستعمل على محاكمة سالم

بالقضاء وضمن الأصول لأنه لم يبلغ السن القانوني بعد

_ ولكن

_ لكن ماذا ؟

_ أي وگل محامي الشركة له

لم تنته اللطامات على قلب سيلين وجاءت الأخرى لتنتهي على قلبها

وقالت لذاتها : أيعقل، لِمَ يفعل شيئاً كهذا ؟

_ من أجل مرسال هو ألح عليه أن يساعده

_ نحن وقعنا في مصيبة كبيرة

بدأت تضرب على رأسها بقوة وأنفاسها قطعت شيئاً فشيئاً

_ أمي هل أنتِ بخير ؟

_ أذهب دعني وشأني لكي أفكر

_ سأنادي الطبيب حالا

صرخت في وجه لا أريد، لا أريد أحدا

_ حسنا، حسنا كما تشائين

_ أغلق الباب خلفك

عرفت أن تلك الأخبار السارة على قلب آدم لن تمر مرور الكرام وبدأ الخوف ينتزع قلبها : إذا علم بذلك النائب ستحل كارثة على رؤوسنا يجب أن نشتره قبل أن يشتريه آدم، نعم لأنه إذا اشتراه سيحاول ذلك النائب بمساعدة المحامي تبرأت سالم وتسليط الأضواء على جنيد ويزاد الضغط عليه وسيعترف بكل شيء لأنه لن يحتمل وسيبوح وسنجر أنا وسيلفيا إلى السجن.

رفعت سماعة الهاتف :

_ كنان

_ نعم يا أمي ؟

_ تعال إلي حالا الأمر عاجل

_ حاضر يا أمي

طرق كنان الباب : ماذا حدث لك يا أمي؟

_ أحضر لي ذلك النائب بسرعة

_ أهنأك شيء؟

_ قلت لك أحضره ألا تسمع ؟

بدأت علامات التوتر بادية على كنان أحس أن الخطة شارفت على أن

تقلب ضدهم بذلك الطلب السابق لأوانه

_ ح...ح...حاضر يا أمي حالا

_ بسرعة

بقيت سيلين تجلس على نار أعصابها وتنتظر

_ سيدي لقد جاءت فتاة تدعى هديل معها حقيبة تريد رؤيتك

ابتسم آدم وهو ينظر من النافذة التفت إلى الخادمة وأشار بأصبعه

أدخليها

دخلت هديل خجلة منحنية الرأس وقالت بصوت يملؤه الحياء : كيف

حالك يا سيد آدم؟

_ بخير، يا ابنتي تفضلي

_ شكرا

_ أخبريني كيف أساعدك ؟

_ أنا سيدي... حصلت لي مشكلة في البيت وأريد المكوث بضعا من الوقت هنا إلى حين أن تأتي خالتي وتأخذني معها

أمسك يدها وقال : لا يمكنك أن تبقى لبعض من الوقت يا حلوتي

سحبت هديل يديها خجلا واحمرت عينها ووجنتهاا والدمع بدأ سيسيل على خدها فأجابته بصوت تحكمه الخنقة : أنا آسفة يا سيدي لم أقصد إزعاجك سأرحل حالا، أكرر اعتذاري

سحب ذراعها ليمسكها وقال لها وهو يمسخ عن خدها : لا يمكنك البقاء هنا لبعض الوقت بل يمكنك البقاء هنا مدى الحياة ولن أسمح لك بالرحيل أبدا

ابتسمت هديل بعد أن جبر خاطرها : أحقا يا سيدي؟

داعب أنفها وقال باسمها : بتأكيد لن أدع فتاة جميلة مثلك تنام في الشارع

_ شكرا لك يا سيدي

_ هيا سأطلب منهم أن يحضروا لك غرفة جميلة تليق بك

_ لا لا يا سيدي لا تتعب نفسك سأنام بغرفة مرسال

نظر إليها أسفا وقال لها : عزيزتي نحن نعرف بالأصول لا يجب أن تنام فتاة كبيرة مثلك في غرفة شاب ناضج وبالأخص ناضج كمرسال

_ كما تشاء يا سيدي

تم اللقاء السري بين سيلين والنائب كمال كما خططت له في المنتجع التجاري الخاص بها، ألقىء التحية وجلسا وكان برفقتهما رسلان و كنان لم يبد كمال أي تلهف لتلك المقابلة ظنا منه أنها مقابلة عادية

_ كيف حالك سيد كمال ؟

_ بخير وأنتِ أيتها السيدة ؟

_ بخير، بخير، ماذا تريد أن تشرب ؟

_ سيدتي أرجوكِ لدي عمل كثير ولا أريد تأجيله

_ عمل ماذا ؟

_ لدي ملف جد مهم استلمته قبل أيام ولا أريد أن أتأخر به

نظر كنان و رسلان وسيلين إلى بعضهم وكأنهم يقولون نحن نعرف جيدا أي ملف يقصد

ضمت ذراعيها ورفعت رأسها وأعدلت جلستها : سأدخل بصلب الموضوع

_ أتمنى حدوث ذلك بشدة

_ أنا سأعرفك على نفسي أنا السيدة سيلين زيدان ابنة محمد زيدان المدير السابق لشركة المقاولات الدولية

بدت علامات الكظم واضحة عليه، تعدل في جلسته وفك زر قميصه واحمر وجهه وقال بصوت منخفض : نعم وماذا تريد مني ؟

_ أريد أن تقف بصفنا وتعطينا كل المعلومات عن ذلك الملف وتحاول

تبراً ذلك المدعو جنيد وتحاول أن تضع كل الحمل على سام

ويمكنك أن تطلب كل ما تتمنى

_ أعتقد أن عرضك ذلك وخوفك وتوترك يعني أنك واقعة أيضا في هذا
الحبل وأن ذلك جنيد هو من فعلها وأعتقد لا بل أنا متأكد أنك العقل
المدبر هنا

_ هذا لا يهم أريد سماع جوابك

_ كم ستعطيني مقابل ذلك

_ أي شيء تطلبه

_ أي شيء ؟

_ بكل تأكيد حسنا قبلت ولكن بشرط واحد فقط ولا يمكنني أن
أراجع عنه

_ بكل تأكيد سأوافق عليه أيا كان

عندما تهب العاصفة القوية لتقلعك من جذورك لتشعرك بأن
خروجك منها هو الخلاص لكل مشاكلك وأن أي عاصفة أخرى ستهب لن
تأثر فيك ولن يحرك داخلك ساكن، ولكن تكتشف أنك مخطئ وسترضخ
لكل حدث يحصل لك وستهزم أمام كل مطب ستواجهه وتكتشف أن تلك
القوة التي كنت تزعمها بعد كل موقف صعب تنهار بلمح البصر بعد
هبوب ريح صغيرة وتكتشف أن التجارب الحياة تصقلك لتصبح شخصا

أفضل ليكون تأثيرك للصدّات أقلّ تسعى لأنّ تصبّح بسببها متقبّلاً أكثر لما يدور حولك وبعد كل تلك التجارب لربّما تلقّيك إياها مرة تلو الأخرى بشكل أسهل ليس براءة منك ولا اقتناعك التام بأنك أصبحت إنساناً صلماً قادراً على مواجهة مشاكلك بقوة وحزم، وكل ذلك لا يرجع لك ولا يكون بفضلك، لأنّ تلك التحدّيات التي وضعها الله لك ليختبر بها صبرك ويمتحنك بها ليست عبثاً، مشاكلك تحلّ ليس لأنك قويّ معتدّ بنفسك بل لأيمانك القويّ الذي يخبرك أنّ كل شيء سيزول وكما مرّت سابقتها ستمرّ هذه أيضاً وأنّ الحزن لن يطول وأنّ الفرج قريب وأنّ الله ما أحزن عبداً ألاّ ليسعده، ظنك الدائم بأنّ الله معك في كل لحظاتك وسينجيك ويخلصك من همومك فقط لصبرك وإيمانك به فالثقة بالله هي الخلاص من كل شيء .

سام أصبح منزوع الحياة لم يعد يكثرث إنّ خرج من هذا المأزق أم لم يخرج أصبح كل همّه أنّ تأتي منيته بأسرع وقت لم يعد يحتمل كأنّ العالم كله اجتمع على تعاسته، ولكن ظلّ صامداً لآخر نفس لأنّ مرسال وهديل كان وجودهما يخفف عليه ثقل أيامه وتعاستها ..

فقد سام نطقه (الحبسة الكلامية) نتيجة تعرّضه لتلك الحادثة المؤلمة فكان فقدان النطق أحد الاضطرابات ما بعد الصدمة التي شكّلت عنده حالة نفسية مأساوية، حاولت هديل ومرسال مساعدته في استعادة نطقه طوال الأشهر الست الماضية، وطوال تلك الفترة حاول كمال مباطلة الملف حتى يصبح سام قريب من عمر القانوني لكي يكمل محاكمته داخل السجن مع القتالين والمجرمين وهذا كله بطلب من سيلين وقد نجح ذلك فسالم لم يتجاوب مع العلاج الذي منح له وكأنّه فضل أن يبقى صامتا على أن يشهد

ضد والده فضل الصمت لينقذ من خانه ويحمي نفسه من تلك الأمور ظنا منه أن المحامي سيحاول إنقاذه دون المساس بوالده، ولكن هو لم يكن يعلم أن بذلك الشيء مهد الطريق لسيلين وجنيد بالإيقاع به وإعطائهم أكبر قدر من الوقت لكي ينظفوا أنفسهم وسجلهم ولكي يتوقفوا مبدئياً عن تلك الأعمال الشنيعة

_ أمي

_ نعم يا كنان

_ مضت تسعة شهور

_ ما الأمر ؟

_ سزجع لتلك الأعمال ؟

_ في الوقت الراهن لن نفعل شيئاً سوى الانتظار بفضل ذلك النائب المغفل خبناً الأموال وسيرنا آخر شاحنة كنا سنقع بالمتاعب إذا لم نوصلها

_ ماذا كان سيحدث ؟

_ فقط سيقتلوننا، أصحاب الممنوعات لا يعبث معهم، والآن سننتظر فقط

_ لِمَ ؟

_ لكي لا يشك بنا أحد ولا نريد أن توجه الأعيون علينا

_ كلامك صحيح، ماذا عن سالم ؟

_ ما به ؟

_ أنه لا يستجيب أبداً للعلاج

_ أفضل وأمل أن يصاب بسكتة قلبية لرتاح منه وتخلص من هذا التوتر الرهيب الذي نعيشه كل يوم

_ أمي، انظري ماذا وصلني من المحامي الآن :

وفقا لتعاطف القاضي وحرصا من القضاء على حماية أولئك الذين هم تحت السن القانوني، فقد قرر القاضي تأجيل المحكمة القضائية المختصة بهذه الأمور نظرا للظروف الصحية التي يعاني منها سالم إلى حين تحسن حالته الصحية والجسدية والنفسية والعقلية لتسمع منه المحكمة المختصة أقواله، وكل هذا لينعم سالم وليحظى بالراحة النفسية المطلوبة لكي يتحسن ويمنع استجوابه أو مساءلته أو طرح الأسئلة عليه إلا من الجهات المختصة، ويمنع طرح الأسئلة عليه التي ممكن أن تؤخر من علاجه أو تأثر على حالته النفسية

_ رائع

_ نعم جدا جميل

_ محامي جنيد جاهز

_ بكل تأكيد يا.....

دخل آدم وزاد التوتر بين كنان وأمه وبدأ الاثنان يتلعثمان في الكلام-

_ أهلا أهلا يا أبي

_ ما الأمر أهناك شيء؟

_ كلا كلا يا زوجي العزيز

_ مدهش، كنان !

_ نعم يا والدي؟

_ أخرج أريد أن أتكلم مع والدتك بأمر ما

_ حسنا

انتظر آدم لكي يغلق كنان الباب ودقات قلب سيلين بدأت بالضرب على وتيرة عالية نظر آدم للباب وانتظر إلى أن يتعد كنان قليلا التقط نظراته من على الباب ووضعها على الأرض وارجع يديه خلف ظهره وتلمّظ بفمه : مبارك

ردت عليه مرتجفة: ع... ع ... على ماذا؟

هز رأسه للأسفل وشد على أسنانه وأسلطها بنظراته : لا تعرفين أم تتظاهرين بالغباء؟

أحست بخوف شديد لأول مرة تشعر بأن آدم ليس لقمة سائغة وليس سادجا كما كانت تظن

_ قل لي لأرى ما هو ؟

_ لقد بعني أكبر منتجع سكني في البلاد أسسه والدك

شعرت بأن ركبتيها انزلقتا من مكانهما ووجهها أصبح كالصقيع : أنا ... أنا

_ أنتِ تتساءلين الآن كيف عرفت أنكِ بعته سؤال جميل ولكن السؤال الأهم من ذلك، لماذا بعته ولمن ومتى حصل كل هذا؟

جمعت سيلين قوتها وقالت بثقة : ما الأمر ؟ لا أرى خطأ في هذا

_ كيف لا ترين مشكلة بذلك

_ نعم إنها أموالى وأنا أتصرف بها كما أريد

ـ جميل أنسيتِ أن لك شريكا بذلك المنتجع ؟

ـ نعم أخي يونس ما به ؟

ـ سيسألك كيف بعتي وبأي حق تستخدمين كفالة والدك بأكل حقه

صمتت وكانت تعرف أنها لن تستطيع سداد أخيها من نقود
الممنوعات لأن أي حركة نقدية كبيرة ستشكل ثغرة يمكنهم أن يصطادوها
من عندها

ـ أين ذهب عقلك

ـ لا بأس سأعطيه الأراضي

ـ زوجتي العزيزة أنتِ تعرفين أنك إن بعتي جميع أراضيكَ وفوقهم
الضعف لن تسددي نصف ثمن المنتجع وستضطرين إعطاءه المنتجع
التجاري كله ولن يبقى لديكِ أي شيء

ـ لا تقلق سأسحب قرضا من البنك

ـ كيف ؟ وأنتِ فقدتِ شركتكِ وليس لديكِ دخل ثابت

أمسكت ذراعيه وقالت: ولمَ زوجي الحبيب هنا؟

أفلت ذراعيها بقوة ودفعها للخلف وبدأ يضرب يده على كتفها :
زوجك يصبح حبيبا عندما تريدن شيئا لم تتذكرني وأنتِ توقعين على البيع
أن لك زوجا حبيبا !

ـ لا ليس كذلك

صرخ في وجهها وكان يريد أكلها من غيظه: لماذا بعته ولمَ لم تخبريني؟

لا أستطيع أن أقول ولكن اضطرت لذلك

لم لم تقولي إنك تريدن بيعه لجعلت نوح يشتريه ولا يذهب لأحد

غريب؟

أنا... لم لم...

إذن وراءك أمر وذلك الأمر خطير للغاية

لا لا أبدا ليس الأمر كذلك

لا يهم أفعلي ما يحلو لك ولكن لن أتدخل بشيء بعد الآن،

لكن..

احمر وجهه وأصبح يطلق لهيبا من عينيه ويضرب الطاولة شعراً أن خطته فسدت للمرة الثانية بسبب حركات غير متوقعة أشار بأصبعه وقال : هذا الأمر لن يمر هكذا لن يمر هكذا ستدفعين الثمن أضعاف مضاعفة وسترين

خرج وأخرج جل غضبه وهو يغلق الباب

ظلت مرتعبة من تصرفاته ومن تهديداته وما أن خرج حتى رميت على الأرض وقلبها خرج من مكانه ووضعت يدها على عنقها وهي تتصبب عرقاً وقالت : الوضع بدأ يتأزم لن يتركني إلا أن يعرف كل شيء، يجب أن تبدأ محاكمة سالم لكي ينشغل به ويترك رقبتى بسلام

قبل أن يبلغ سالم ومرسال الثامن عشر عاما كان آدم قد وفي لسيلين

بوعده فقد توعد أن يدمرها وألا يمد لها يد العون ولتحترق بشر أفعالها و
طيشها وأوقعها مع أخيها لتشعل بينهم حرب حامية الوطيس

_ أنتِ ما الذي فعلته أهذا جزاء وثوق والدي بكِ وسلمك وكالة كل
شيء أتغدرين بي؟

_ صدقني اضطرت لذلك

_ إذن أخبريني ما الأمر؟

_ لا أستطيع ولكن أعدك سأرجع لك كل قرش

_ لا أريد مالا أريد ذلك المنتجع وحسب

_ لا يمكنني

_ إذن أريد المنتجع التجاري كله والأراضي كلها

_ حسنا ولكن يجب أن تنتظر قليلا لكي نرى كم يساوي، أخاف أن
يكون غير كاف لسداد أموالك

_ لا تخدعيني بهذا الكلام أنتِ تريدين معرفة إن كان يساوي أكثر
بكثير من ذلك فأنا لن أعطيك الفرصة أبدا أريد كل شيء غدا
صباحا خدعتني لأكثر من عام تخدريني بأكاذيبك يوما بعد يوم لم أعد
أصدقك ولا أريد حتى أن أشفق عليكِ وإذا لم يحصل ما أريد سيكون
أمامك خياران : إما ستواجهين أي بالمصائب التي أدخلتِ نفسك بها
وستقولين كل شيء وستقولين لمن بعت ذلك المنتجع السكيني الضخم وإن لم
تتكلمي سيعرف بطرائقه الخاصة وسيصل إليه

قالت بتوتر وتوسل : حسنا حسنا كما تشاء ولكن أنا لن يبقى لي أي

شيء اترضى أن أصبح فقيرة

فأمسكت ذراعيه والدمع يتساقط من خدها وهو يناظرها بنظرات
الاشمئزاز فاقتراب منها وهو يكشر عن أنيابه ويلتقط نظراته لأعلى ولأسفل:
اشربي من كأس أفعالك كل شخص سيتحمل نتيجة أفعاله الحمقاء وطيشه
فاتركي يدي لم يعد لديك أخ بعد الآن اخرجي من حياتي بعد أن تعطيني
حقي من كل شيء

أفلت يداها بقوة وخرج غضبانا من الغرفة وهو يصرخ ويقول: غدا
صباحا لا تتأخري

أمسكت رقبتها وأصبحت تهلوس وتقول: وضعي صعب ولا أستطيع أن
أتي بأي حركة وأخرج النقود التي معي ما الذي سأفعله

تحسن وضع سالم كثيرا فأصبح يتكلم بشكل أفضل مع أنه يتلعثم قليلا
بالكلام ولكن أصبح يتفاعل مع محيطه وذلك يعود لتشجيع مرسال وهديل
له

_ سالم لا تضغط علي أنا لن أرجع إلى البيت من دونك أبدا أبدا، ولا
أريد رؤية أحد من تلك العائلة إن لم تخرج وتعود للمنزل

_ ولكن يا أختي هذا لا يجوز والدتنا ستقلق وستكرهني مجددا

_ لا عليك عندما حدث الأمر أُمي كانت مستاءة عليك جدا وأنا أتصل
بها كل يوم وأراها خارج البيت لكي لا تحزن

_حسنا ك..ك... كما تشائين و ل..ل..لكن لا تقطعينيها

_ بكل تأكيد المهم أنك بخير وبصحة جيدة

أعلمت يا سالم أن هنالك لجنة مختصة لفحص حالتك الصحية إن كنت قادرا على الإدلاء بأقوالك لتبدأ المحكمة قريبا والقاضي جد لطيف ومتعاون أتعرف من هو ؟

_ كلا يا مرسال، مَنْ ؟

_ أتذكر ذلك المدير الطيب الذي كان يدير مدرستنا منذ تسع سنوات تقريبا وبقي فيها إلى حين أصبحنا في الثالثة عشرة من عمرنا أي خمس سنوات فقط، وانتقل إلى إدارة مدرسة أخرى وقبل رحيله أوصى المدير علينا

_ نعم نعم اذكره يا مرسال وكيف لي أن أنساه

_ القاضي المختص في هذه القضايا يكون والده والقرار الذي اتخذه بحقك كان بناء على شهادة ولده المدير وأخبره عن قصة السرقة وقال لا يعقل لفتى مثل سالم أن يفعل شيئا كهذا، قد اتهم بالسرقة وكان أحد يريد أن يوقع به لضعفه وعجزه واتضح فيما بعد أنه لم يسرق ولا يجرؤ حتى على التفكير بذلك لأنه يعلم أن التهمة وأصابع الاتهام تشار دائما إليه وتلاحقه وهو بريء فكيف لو كان مذنباً!

_ حقا؟

_ نعم

_ من أخبرك بذلك؟

_ العم المحامي تكلم مع القاضي بصفته محاميك فقال له القاضي :

شهادة المدير تعتبر جيدة ونقطة لصالح سالم ليس لأنه ولدي ولكن لا أعتقد أنه يدافع عن شخص سيئ ويرتكب الأخطاء

وقال أيضا إن مساعدته لك لم تكن من باب العاطفة أو الشفقة بل هو يعرف جيدا أنك لا تفعل شيئا كهذا وأخبره المدير أيضا أنه إذا لم تكن واثقا بأن سالم مظلوم وحكمت عليه ستحمل وزره إلى الأبد وعندما قال المدير للعم القاضي هذا رعب حقا و أصدر ذلك القرار بحقك بسبب شهادة مديرنا العزيز

_أتعلم يا سالم؟

_ما الأمر يا مرسال؟

_هناك أشخاص يدخلون حياتنا مصادفة يكونون على شكل ملائكة مجنحة تهبط فقط لكي تنتشلك من مصيبتك وتأزرك على من ظلمك تأتي فقط لتقول لك إنهم من الجنود المجندة سخرها الرحمن لحمايتك فقط، ثم لا تعود تراها قط، أولئك أبناء الصدف يخرجون كما يدخلون تراهم من بعيد ولكن لا تقترب منهم تشعر أن اقترابك منهم يخمد بريقتهم لشعورك الداخلي أن البعد والمسافة بين الأشخاص هي من تفوز هي من تتقن بقاء العلاقة الطيبة فلا تغرق في وحلهم فتتلوث ولا تهتز صورتهم في قلبك أبدا، يبقون في قلبك ذكرى خالدة وتاريخا مشرقا عن أناس مروا بحياتك وكانت خصالهم الوحيدة أنهم بشر في زمن الوحوش!

_أنت محق يا مرسال أسأل الله أن يعطيه من كرمه ويسر له حاله كما

فعل معكما

_ن...ن...نعم ويجب أن نشكره ولو الشكر لا يوفيه حقه

_ بكل تأكيد

رن هاتف مرسال وإذ به المحامي يقول : وصلني أنباء أن الجلسة غدا أو بعد غد لأن حسب دراستي فإن التقرير الطبي جيد جدا وسيتعجلون بالجلسة وأعتقد لن تأخذ وقتا طويلا نظرنا للشهود على حسن سلوك سالم ونأمل خيرا وندعو الله بالنجاة والخلص

_ أعتقد أن سالم سيخرج؟

_ لن أعددك لأن شهادة والده بحقه كبيرة وعندما يقول في المحكمة خلاف ما يقوله المدير والشهود من أساتذته على حسن سلوكه، الخوف من أن يدعي أن سالم ممثل بارع ويجيد استعطاف الآخرين ومن هم حوله فسيضرب بنا من ذلك الجانب

_ أنت محام بارع ستنقذه حقا

_ وكيف عرفت أنني محامي بارع ؟

_ لو لم تكن بارعا لن يضعك أو يبيئك جدي آدم في الشركة

_ جميل حقا استنتاج جميل

_ أرجوك أفعّل ما بوسعك

_ لا تقلق الأمر سيحل - بإذن الله -

_ إن شاء الله

_ والآن أنا في الطريق لكي أطمئن على سالم ولكي أعرف منه كيف

سيعرض أقواله في المحكمة يجب أن نجهز نفسنا جيدا

_ نعم بكل تأكيد

- _ ستتأخر ؟
- _ لا لا سأمر أولاً على جدك آدم لأنه يريدني في أمر مهم، ثم سأتي فوراً
- _ لا تتأخر أرجوك كل دقيقة مهمة
- _ لِمَ تريدني أن أتي على عجلة ؟
- _ لا أسمعك جيداً حضرة المحامي، هل تسمعني ؟
- _ مرسال تكلم أنا أسمعك ما بك ؟
- _ لا يمكنني سماعك أين ذهب صوتك ؟
- _ لا حول ولا قوة إلا بالله، تكلم يا بني أسمعك أسمعك
- _ ماذا ؟ أتريد مني الخروج من مكاني لتحسن الشبكة؟، ح.... حسناً
- ها أنا خارج
- _ ولكن لم أقل شيء كهذا !
- _ أسف يا عم لم أشأ أن يسمع سالم حديثنا
- _ يا لك من ذكي يا مرسال
- _ شكراً لك أيه العم
- _ يجب أن تصبح نائباً أو مفتشاً أو مفوضاً في المستقبل
- _ لا ليس لهذه الدرجة
- _ لا تستخف بنفسك فأنت ذكي، والآن أخبرني ما الأمر ؟
- _ أريدك أن تأتي ليشعر سالم أن هناك شخصاً قوياً يقف خلفه ويدعمه

ويساعده لكي يثق بنفسه ولا يخاف من شيء وأريد أن تقول له أن سيد آدم قال لو كلف الأمر جميع ما أملك سأخرج سالم من ذلك المكان

_ أتريدني أن أكذب على لسان السيد آدم الكذب خاطئ يا مرسال وهذه الأشياء تلوث طهر قلبك، لن أقول له شيئاً كهذا

_ ولمَ ؟

_ لأن ذلك خاطئ ولا أريدك أن تتعلم الكذب أنت إنسان صادق والذي يميزك أنت وسالم عن البشر الصدق والوفاء والأخلاق الحسنة، وهذا غير صحيح

_ ولكن أنت تعرف لِمَ سنفعل ذلك ولمَ أطلب منك القيام بذلك

_ نعم ولكن يا صغيري مداخل الشيطان كثيرة، إذا جعلك تكذب اليوم بسبب ولو كان ذلك الأمر صالحاً، سيجرك غداً إلى الكذب دون سبب عندما يفتح عليك الشيطان باباً ستمارس وتكرس جل حياتك فقط لأن تغلق ذلك الباب الذي فتح عليك، ولن تتخلص منه فعندما يدخل عليك من الباب الأول ستكون أقفال تلك الأبواب سهلة يستطيع كسرها بكل سهولة، حافظ على نفسك يا صغيري وهذا من واجبي أن أدلك على الطريق الصحيح عندما قلت لك أريدك أن تصبح محامياً أو نائباً لأنني لا أرى فيك الذكاء والدهاء فحسب بل أرى فيك أخلاقاً باتت منقرضة في زمننا لكي يتشبث بك المظلوم ولكي تحاول حل مشاكل من هم عاجزون، لأجل أن تعطيههم دفعة من الأمل لتكون أنت منقذهم وحاميهم وسبب الخلاص الأول لهم، لذلك يا صغيري تلك المهنة ملطخة بدماء الكذب، لأن هناك أناساً تعرف أن الشخص الذي تدافع عنه ظالم وتكون بيدها البراهين وجميع الأدلة التي تؤكد ذلك

ولكن مع الأسف تبقى صامته وذلك القسم يفسده بطمعه وجشعه أو حتى لأجل سمعته لهذا لا تراني محاميا خاص ولا أستقبل أحد لكي لا تتورط سمعتي وقبل ذلك شرف مهنتي، وهذه القضية لولا لم يطلب مني والدك أن أتولاها ولأني متأكد في قرارة نفسي أن سالم بريء منها فوالله لا أدخلها ولا أعطي رأبي بها حتى، لذلك يا ولدي أسمع وأفهم واحفظ ذلك في قلبك طريق الله أفضل وطريق الشيطان أسرع وسيوصلك لهدفك بأقصر وقت ممكن، وستتفاجيء بسرعة النتائج ولكن النهاية التي ستوصلك إليها ستدفن ذلك الطريق بنفس السرعة التي وصلت بها لأن كلما ارتفعت بشكل خاطئ وبطرق خاطئة ستسقط، وسيكون السقوط موجعا أكثر، والشيء المهم الآخر عندما كنت تسألني وتلح علي بالسؤال وتقول : سنتنقذه ؟ وأقول لك : إن شاء الله، سنحاول، لن أعدك، أتذكر ذلك جيدا ؟

_ بكل تأكيد، وكنت أحزن عندما لا تقول إنك سنتنقذه

بالفعل، احذر يا عزيزي أن تُجَمِلِ الوقائع وتعطي لشخص أملا زائفا أن تقول له الحقيقة في وجهه أفضل بكثير من أن تعطيه إبرة مخدرة التي ستسعده للحظات وتتعبه طيلة حياته لمجرد انتهاء مفعولها، إبرة الحياة نعطيهها عندما نكون واثقين من حصول الشيء حتما ولن يكون هنالك داع للشك به أبدا، وأنا لا أذكر أنني استخدمتها بحياتي أعرف لماذا ؟

_ لماذا ؟

_ لأن ثقنتا بأنفسنا جيدة ولكن القدر هو من سينتصر، مشيئة الله هي دائما الشخص الرابع في أي معركة ولو كنا ندرس أي موضوع من أي جانب فجأة وعلى غر غفلة يأتي مطب يهدم جميع خططنا بثوان معدودة، أتعلم يا مرسل أن حياة الإنسان لا تتغير بموقف أصبحت تتغير بكلمة بمكاملة

هاتفية وفي أبغض المراحل تتغير بنظرة، لذا إياك أن تعطي إبرة الحياة لأحد، التفاؤل جميل جدا والإيجابية أجمل ولكن تلك الأمور يجب أن تصدر منك إليه ولكن الأمر مختلف عندما تكون أنت المسؤول الأول عن نجاة المرء وخلاصة وأن روحه تقف الآن بين يدك، أنت من واجبك أن تدفعه للأمل والتفاؤل والأهم من ذلك الثقة بالله ثم الثقة بالله ثم الثقة بالله، والرضا بالقدر وأن لكل أمر شر نتعرض له هو حكمة من الله ليكون الخير مخبأ داخله، فالله يمتحن صبرنا وقوة الأيمان في قلوبنا، لذلك عندما تكون سيد الموقف أكتفي بالثقة بالله وحثه على الدعاء فقط، وعندما تكون طرفا مشاركا فقط ولا تلعب دور البطولة في القصة ولأنك تحبه وتريد أن تراه سعيدا سلاحك يكمن بالأمل والتفاؤل والتوكل على الله وحثه على الدعاء، لا تعطيه أملا زائفا لأن عواقب ذلك الأمر أسوأ بكثير من أن تصارحه بالحقيقة، أحترس إياك وتجميل الوقائع .

_ أنت محق حضرة المحامي

_ أمل أنني لم أقسُ عليك بالكلام

_ كلا كلا

_ أعلم أننا بشر وأحيانا نتهرب من أسئلة نحن نعرف إجابتها ولكن نخشى مواجهة أنفسنا بها، وأحيانا نتجنب السؤال ككل، لنبقى عالقين في أوهام أحلامنا وهذا خاطئ يجب أن نواجه مخاوفنا لنعرف أنكمل بذلك الطريق أو نبحت عن مسار آخر غيره ربما أجابتنا عن تلك الأسئلة ستفتح لنا طرقا لم نكن نتخيلها لمجرد أننا خشينا معرفة إجابتها، لربما الطريق الذي نريده ونتمناه ليس هو ذاك الطريق الذي نطمح ونحلم أن نصل إليه، فالله وحدة يعلم أي طرق تناسبنا وأي الطرق التي ستجلب لنا الخير

_ أنت عبقرى أىها العم المحامى

_ لىست عبقرىة ولكن أحببت أن أعطىك خلاصة تجارى من هذه
الحىة لى لا تتعب وأنت تجرب وتفكر وتتظر المواقف لى تستنتج ذلك،
عندما يعطىك أحد خلاصة تجاربه فإنه يعطىك كنزا فى هذه الحىة لأنك فى
مقتبل عمرك وعندما تضىف تجاربك الشخصىة إلى تجارب الأكبر منك
ستصبح فىلسوفا فى الحىة لا يضاهىك أحد

_ سأخذ بكل كلمة قلتها، وأنا أعتذر عن طلبى

_ أحسنت، اعتذارك لىس لى إنما لنفسك ولذاتك ولكن أولا هى لخالقك

_ شكرا لك أىها العم المحامى

_ لا علىك، أنا علقت بأزمة السىر فسأتأخر على جدك فبالتالى سأتأخر
علىكم قلىلا ولكن لا تقلق سأحاول أن أتى - إن شاء الله -
_ حسنا، رافقتك السلامة

بعد ما تخلص المحامى من أزمة السىر وأخىرا وصل لعند آدم

_ كىف الأوضاع فى سىدى ؟

التفت إلىه آدم وهو ىناظر الشرفة كعادته وقال : أَحَصَّرْتُ للجلسة
أرىد إنهاءها بجلستىن فقط
_ كىف ذلك ؟

_ حان الوقت

_ ما الذى حان ؟

_ أعتقد بأننى رمىت بأخر ورقة لدى وكانت تلك القاضىة كما خططت

_ ما الذي حصل أخبرني

_ سيلين لم تعد تملك سوى قوت يومها والملابس التي لديها فقط

_ أحقا ؟

_ نعم، ستذهب وتتنازل للمجمع لأخيها يونس

_ أتتكلم بجدية ؟

_ بكل تأكيد

_ دقيقة ولكن هي لديها أموال من أعمالها الغير مشروعة

_ نعم ولكن لن نستخدمها

_ كيف ؟

_ أي حركة الآن ستثير الشبهات لها وهي ليست بهذا الغباء لكي تتحرك

بمبلغ كهذا

_ أيعقل وضعتها بالبنك

_ بكل تأكيد لأنها كانت سيدة أعمال تملك مشاريع ضخمة فالأموال

الضخمة التي كانت تدخل لأن البنك يعرف أنها رائدة من رواد الأعمال

_ ماذا سنفعل الآن ؟

_ ركز بما سأقول جيدا

_ حسنا يا سيدي

_ أرايتِ يا زوجتي السابقة كل خططي نجحت بسبب حبك الأعمى
 للمال والأهم من ذلك محاولتك لأن تضاهي نفوذي وأموالي لمجرد تفكيرك
 وتخطيطك له خسرك ذلك كل شيء
 نظرت إليه بعجز وخيبة : ماذا حدث هيا أكمل كيف قلبت كل شيء
 ضدي ؟

_ كان سهلا للغاية

_ لأول مرة أشعر بأنني طعنت من ظهري، لا تصمت قل لي
 _ سأخبرك لا تقلقي سأخبرك بكل شيء لكي تعيشي أيامك مكتظة آسفة
 على الحال التي وصلتِ إليها أريدك أن تعدي الأيام وتنتظري لحظة موتكِ

جاء الصباح بقرار من المحكمة بأن الجلسة ستعقد بعد الواحدة ظهرا،
 ولكن كان عند سيلين هم أكبر من ذلك بكثير، هم تنازل الباقي من أملاكها
 لأخيها

_ أهلا سيد يونس تفضل

_ أهلا بك هل جاءت سيلين ؟

_ تكلمت معها وقالت أنها عالقة في أزمة السير ستأخر قليلا

_ خير خير إن شاء الله، هل جهزت الأوراق كلها ؟

_ بكل تأكيد سيدي كلها جاهزة ولكن ينقصها توقيع السيدة سيلين

عليها

_ جميل حقا

_ ليس بوسعنا سوى الانتظار الآن

_ هو كذلك

طُرق باب جنيد لأول مرة منذ مدهمة الشرطة منزله فأصبح جيرانه يهابون القدوم إلى بيتهم لكي لا يصبحوا شركاء في جرمهم وما زالت القضية قائمة منذ أكثر من عام

تقدم جنيد من المطبخ مترنح الحال وصل إلى سفرة الطعام فاستند عليها وهو ينادي : من هنالك ؟

وما زال الباب يطرق وليس هنالك من مجيب

استند بكلتا يديه على الطاولة ويحاول سحب أنفاسه المتهالكة نحو صدره ويغمض عينيه رفع ظهره وجر نفسه مجبرا ،مسندا ظهره على يديه زاحفا قدماه على الأرض، فتح الباب

_نعم تفضل

_مرحبا كيف حالك؟

_بخير

_مَن أنت ؟

_أنا المحامي الرسمي لشركات آل صادق والمحامي الخاص لسالم وهذا

ـ مَنْ ؟

ـ ولدك سالم من غيره

ـ نعم نعم، ماذا تريد ؟

ـ أريد أن أتكلم معك

ـ ما الأمر ؟

ـ هنا على الباب ألن تقول لي تفضل ؟

ـ أعتذر، تفضل

ـ أشكرك

ـ على الرحب

جلس المحامي في غرفة الضيوف أصاب بعينه صورة جنيد وهديل
وعزيز وحنان ولكن استغرب لعدم وجود صورة سالم اخفض عينه وجلس
يناظر الأرض أحضر جنيد الشاي وقال ؟: تفضل يا حضرة المحامي

ـ سلمت

ـ لقد أخفتني هل حصل شيء ؟

ـ لا ولكن جئت لأقول لك كلاما إما أن تسمعه بحكمة وترو وإما

ستحرق بشور أفعالك

ـ هل تهددني؟

ـ لا أهددك ولكن أقول لك ما سيحدث

- _ قل ما عندك هيا
- _ أترى تلك الصورة ؟
- _ نعم ؟
- _ التقطت صورة لها على هاتفى تعرف لماذا ؟
- _ لماذا ؟
- _ لتكون دليلا عليك
- _ أنت خرف تقول أي كلام فارغ لا فائدة منه
- _ أنا أخبرتك لأنني لا أحب الخداع ولا أخذ شيئا ليس قانونيا لأن هذا يعتبر سرقة
- _ حسنا أخبرني ماذا تريد ؟
- _ جئت أنصحك أن تخلص نفسك
- _ وهل أنت من سيخلصني ؟
- _ لا ولكن لا أعتقد أن السيدة سيلين التي كنت تعمل معها ستخلصك وهي لا تملك ما يسكت جوع بطنها وستعلن إفلاسها خلال أيام من بعد انتهاء المحكمة
- ازرقَّ وجهه من هول ما سمعه وقال : ك..كيف ؟ أنت تكذب علي
صحيح أعني ما علاقتي بها أنا ؟
- _ لا تحاول الإنكار فنحن نعرف كل شيء والشاب الذي قابلته ليس من رجال سيلين بل إنه من رجالنا

_ ماذا هذا مستحيل ؟

_ نعم وسيدي آدم وعده بأن يتكفل بمصاريف أولاده من المدرسة إلى الجامعة إذا أَرادَه أن يَدلي بشهادته أمام المحكمة وسيقول أن سالم بريء وأنه لم ير سالم بحياته وسيعترف عنك بكل شيء

ركع جنيد وتوسل للمحامي ويقول : أرجوك قل لي سأفعل أي شيء

_ رائع يجب أن تعرف أنك تقف في الجانب الخاطئ والضعيف

_ سأفعل أي شيء أي شيء ولكن لا تدخلوني إلى السجن

_ أريد معلومة واحدة فقط وأنا سأخلصك من كل هذه التهم
وسأخلص سالم أيضا

_ قل لي ماذا تريد أن تعرف

_ أريد أن أعرف سيلين أين أودعت النقود

_ أنا...أنا لا أعرف

_ لا تعرف إذن ؟

_ لا..لا...لا أعرف

_ حسنا إذن أعتمد على سيلين لإخراجك من هذه الورطة وهي على كلتا الحالين زوجها من أغنى الأغنياء فلن تتأثر كثيرا وستعيش عيشة كالسابق فقط لن يكون لها مالها الخاص وستكمل حياتها بأفضل حال وأنت ستتعفن في السجن يا لك من مسكين !

_ ح...حقا ؟

_ إذن أنا سأذهب وأنت أبقى هنا وانتظر حين تأتي الشرطة لتلقي القبض عليك

_ انتظر أرجوك

_ نعم وسيلين لن تملك المال الكافي لتؤجر لك محاميا فلن يكون من يدافع عنك أو يقف في ظهرك، إلى اللقاء

_ انتظر انتظر أتوسل إليك

_ ماذا تريد ؟

_ كيف أعرف أنك لن تغدر بي ؟

_ عزيزي لو كنت سأعذر لما أتيت إلى هنا وخير دليل إخباري لك أنني التقطت صورة بالكاميرا الخاصة بي فأنا شخص صادق، ومحام شرس إن أردت الفوز بأي قضية سأفوز بها ولن يوقفني أحد وأنا أعرف أنني سأربح هذه القضية بكل تأكيد وسيخرج ذلك الصغير الذي جعلته كبش فداء عن أفعالك القذرة

_ أنا أشعر بالذنب حيال الأمر لأنه صغير وعاجز وأنا جرحته كثيرا وهو ليس له أي ذنب بالذي حصل ولا بجشعي وطمعي

_ جميل لذلك نظف نفسك وخلصها من ذلك العباء وعذاب الضمير الذي سيلاحقك إلى مماتك

_ ماذا علي أن أفعل أرجوك أخبرني ؟

_ أريد منك أولا أن تخبرني مكان النقود أين وضعتهم

_ في البنك

_ لا ليس كلها نحن نعرف أن هناك جزءا من تلك الأموال تخفيه
للظروف الصعبة هو ليس بالمبلغ الضخم ولكنه يستطيع أن يشتري لها
مكاتب وعقار صغير

_ أعرف أنها تخبئها في الخزانة الأموال خاصتها التي صممتها خلف رف
الكتب لكي لا يستطيع أحد إيجادها

_ أنت متأكد ؟

_ نعم متأكد

_ جميل سأعلم السيد آدم بالذي قلته وسأطلب منك شيئا

_ ما هو ؟

_ إياك أن تتكلم بالهاتف أو أن ترى أحدا احجز نفسك قليلا إلى حين
بدأ المحاكمة

_ حاضر كما تأمر

_ لا تشعر زوجتك بأي شيء أنا سأحل جميع الأمور ؟

_ حسنا حسنا لا تقلق

_ جيد جدا، والآن أريد منك أن تنفذ ما أقول بالحرف الواحد

_ بكل تأكيد

بين مواجهة سيلين وشقيقها واتفاق جنيد مع السيد المحامي، ورجل
أمن يريد بيع ضميره ، وذكاء آدم الذي انطلق من قعر السذاجة وادعاء

الحماقة طيلة الوقت، وبين مرسال الذي خرج إلى الحياة بذراع سالم_ وهي بالأصل لم تكن موجودة_ فقد انتشله من وحدته بجناحي الرحمة والأمل وهديل التي تحطمت أمالها وخذلت بسبب والدها التي كانت تظنه مرآة للحق

مع كل ذلك في طرف خفي لأي موضوع وهناك حلقة وسلسلة ربطٍ مفقودة فتشعر بأن الحقيقة ليست كاملة، فَمَنْ الظالم ومن المظلوم وَلِمَ كل هذا حصل، وهل حقاً تلك عداوة أموال أم صراع للبقاء للأقوى وللأذكاء، ألم تكن عائلة آل صادق تجلس على مائدة واحدة كأنها لم تذق يوماً مرأ، وما نحن اليوم في أواخر عامٍ كان بمثابة دين وسداد لكل يوم جميل قد عاشوه، فالحقائق آن لها أن تكشف وأوراق الخريف باءت بالنزول لتكشف الأغصان ويستطيع كل من يشاهد تلك الشجرة معرفة ما هو مخبأ ومستور، والحقيقة وأن طال وقت انكشافها سنؤول بالنهاية للظهور لتقضي على كل متجبر يختبئ خلف قناع كذبه.....

شارفت الساعة الواحدة أن تدق وبدأت تخفق القلوب وتتصاعد الأنفوس وقد اجتمع الجميع فزوجة رسلان وكنان جاءتا وسيلفيا لن تفوت حفلة الانتقام تلك

جلس الجميع في الخارج يناظرون بعضهم يخطف كل منهم نظره للآخر وآدم ينظر إلى ساعته ينتظر قدوم ولده نوح من المطار على أحر من الجمر وكأنه يريد أن تشهد كل عائلته الحدث المهم الذي ينتظره الجميع منذ أشهر ولكن عند آدم الأمر مختلف تماماً فهو ينتظره منذ سنوات وسنوات

تناظر سيلين زوجها يمنة ويسرة وهو جالس واضح قدما على قدم يناظر

ساعته قبل أن تدق الساعة الواحدة ينظر تارة إلى باب المجلس وتارة أخرى نحو ساعته الذهبية المرصعة بالياقوت كانت أول ساعة حصل عليها حين بدأ رائدا ومهندسا في المقاولات كانت غالية عليه جدا مثل الوقت الذي ينتظره وهو يناظرها لم يرد أن يرتدي سواها فقد بدأ بها ويريد أن ينهي بها

أكلت سيلين شفيتها وهي تسترق النظر لبرود آدم منزويا وحوله سيلفيا وهي تبادلها نظرات التحدي والبغض وتجلس قريبة من آدم بشكل ملحوظ ولافت للنظر، جاء نوح أخيرا فابتسم إلى أخته سيلفيا التي كانت قبل أيام زوجته أمام أفراد العائلة، تلك الابتسامة لم ترح قلب سيلين وأحست أن هناك أمرا غريبا، لم تكن تعرف أن إحساسها في مكانه

لِمَ نوح كان يتظاهر كل هذا الوقت بأن سيلفيا هي زوجته وكيف لا يعرف عنها أحد؟ ولِمَ قام آدم بكل ذلك؟ أكانت هذه جزءا من خطته، فما سبب هذا الكره العظيم لسيلين، وهل حقا صراعهم صراع أموال أم له ماض؟ أم فقط هو صراع سلطة فحسب؟

أتى جنيد وحنان ولكن هديل جاءت مع مرسال لأنها قطعت تواصلها مع والدها إلى الأبد فهي لن ترد رؤيته مرة أخرى بعد الذي فعله بأخيها سالم، دخلت حنان وهي مرتدية ثوب أسود وحقيرة بيضاء مصففه شعرها للخلف وتضع فوقه وشاح أسود ليعطي انطباع الحزن، تلفتت لتبحث عن ابنتها هديل، فشاهدتها واحتضنتها وأمسكت يديها وقالت لها مواسيه: لا بأس الأمور ستسير للأفضل

_أمي العم آدم أتعرفينه؟

_نعم ما به ؟

_ لقد وكل العم المحامي وهو أفضل محام لشركاته في كل البلاد

سيدا فاع عن سام بكل قوته

فشاهدته هديل يريد أن يدخل إلى الجلسة المحكمة لكي يحضر نفسه
فنادت هديل عليه : أيها العم المحامي هل لي بك قليلا لو سمحت!

ابتسم المحامي وجاء وشاهد حنان وألقى عليها التحية : كيف حالك يا
سيدتي لم أرك منذ وقت طويل

_بخير والحمد لله

_أمي هل تعرفين السيد المحامي؟

_نعم لقد كان يدرس في نفس المدرسة والتقينا في الثانوية وهو أصبح
محاميا مشهورا

ونظرت إلى نفسها مخاطبه: أما أنا فقتلت نفسي وتزوجت والدك

_أحقا يا أمي؟

أمسكت يدها وضمتها إلى صدرها بقوة : يا ابنتي أريدك أن تصبحي
مثل عمك المحامي محامية كبيرة وأريدك أن تتعلمي منه كيف تكونين قوية
في هذه الحياة وأريد أن يرث اسمك مثله على كل لسان

فرحت هديل لهذا الدافع المعنوي ومشاهدة المحامي لها وهو يقول:
ستصبح أفضل من بكثير وسأدربها عندما تتم دراستها لن أدها بهذا
الطريق وحدها سأقدم لها كل العون والمعرفة لتغدو قوية وصلبة

_شكرا لك

_لا داعي للشكر هذا مجرد عربون معرفتنا الجميلة، والآن استنذكما
سأدخل لأجهز نفسي

الخامس من مايو في الساعة الواحدة وأربع دقائق من ظهر يوم
الخميس (5/5 & 1:04)، تاريخ لا ينسى فقد سطر بحروف كل منا ليشكل
العلامة الفارقة التي غيرت حياتنا رأساً على عقب وحولت حياة بعضنا إلى
جحيم تلك الجلسة المحامي ذاك أمي، أبي....

وأخي سالم، تلك لم تعد عائلتي أعتقد أنني أعيش في عالم أشبه بالكذب
وأن سنوات عمري ضاعت في منزل ليس منزلي ولا أنتمي إليه حتى

أخي سالم، ها أنا أكتب لك وقد بلغت منتصف العشرينيات مر الوقت
بدونك بسرعة يا أخي لم أعتقد أن أحد قد ظلمَ في هذه الحياة أكثر منك
أعتذر منك يا أخي أعتذر منك يا رفيق روحي يا قطعة السكر خاصتي لم
أملك القوة أن ذاك لكي أدافع عنك، أعلم أنني أتعبتك برسائلي وأنت لا تريد
رؤيتي _ لو حقا تريد لما رحلت _ لقد خلفت وراءك حزنا شديدا وأما عظيما
اشتقت لك يا أخي أرجوك أرجع، من لي سواك أنت كنت الصورة الحقيقية
الوحيدة في حياة ملئها الكذب والخداع

أخي الغالي لقد وفيت بوعدتي لك وأعطيت رسالتك لمرسال فكان وقعها
عليه كالصاعقة فقد جلجل مكانه واهتز قلبه لرحيلك ولسبب رحيلك فقد
كنت أنت الشمس وهو عبّادك، شمس الأمل الذي كان لولاه لما اخرج من
عتمته، وظل يعبد الظلام ويلعن النور طيلة حياته

أما حان وقت أن ترجع؟ أما اشتقت إلينا ؟ حمل الحقائق تلك ثقيلة

على عاتقك ولكن نحن بدونك لا شيء أرجوك عُد ، عُد قبل يوم ميلادك
فالسّادس عشر من آب قد اقترب دعنا نحتفل به سويا، أرجوك فكر في الأمر
مليا نحن ننتظرك وسنبقى ننتظرك لآخر يوم في عمرنا...

فأنت الحب والمحبة وسند والرحمة وشقيق الروح قبل أن تكون شقيق
الدم والحمل الصعب والقلب الأنقى وصاحب المبسم الأوفى والروح الأطهر!

دخل الجميع إلى المحكمة وأيديهم على قلوبهم ينتظرون ما يخبئه آدم
لهم، دخل القاضي فوقف الجميع احتراما له ودخل معه سالم مع النائب
كمال، دخل سالم وهو يناظر إلى أمه وكأنه يقول لها: أتذكرين حين ربطتني
وحبستني بالغرفة عندما كنت في الثامنة من عمري و خجلت مني أمام
الضيوف وزأرتي في وجهي، لم أكن أتوقع أذاكِ ذاكِ أحن وأرحم وأنه جنة
على ما أعيشه الآن، نارٌ تأكلني أتعرفين يا أمي نار الخذلان لا يستطيع أحد
تحملها، مَنْ تراهن عليه العالم بأسره وتقول لهم إن ذلك الشخص لن يفعل
ذلك ولن يقوم بذلك، وهو يحبني تصبح جميع رهاناتك باطلة وتمحى
بلمح البصر من كلمة كانت تستعد أن تهدم كل ذلك الأمان الذي منحه
إياك من قبل، وأن تهد كل ذكرى جميلة بناها ذلك الشخص بسبب سكين
طعنه في وسط قلبك ليتأكد أنك لن تتنفس بعدها أبدا ولن تستطيع
الخروج للنور ثانية

جلس القاضي وأعلن بمطرقته بدء المحكمة.....

وقف السيد المحامي شامخا راسخا واثقا مُعتد بنفسه فتشعر بأن في
جعبته الكثير من المفاجآت وبالأخص مع تواجد الجميع دون استثناء في

قاعة المحكمة، ابتسم لآدم وبادلته بابتسامة هو الآخر، رفع حاجبه، ورفع رأسه ووجه نظره إلى القاضي وقال :

أريد أن استدعي جنيد وهو والد سالم للشهادة، من الجدير بالذكر أن هو من ألقى التهمة على سالم

_ فليفضل الشاهد الأول

_ نعم يا سيدي

_ هل أنت جنيد والد سالم

_ نعم يا سيدي

_ حسنا، ابدأ يا حضرة المحامي أسئلتك

_ شكرا لك حضرة القاضي

_ جنيد !

_ ن....نعم !

_ قُلْتَ أنك والد سالم صحيح ؟

_ ن...نعم سيدي !

ضحك المحامي بصوت مرتفع ووجهه أحمر ضحكا والدمع بين عينيه من شدة الضحك ولم يتمالك نفسه، فبدأ القاضي يطرق بمطرقته ليسكت ضحكات المحامي ويهدده بالسكوت أو بالخروج خارجا وإنهاء الجلسة

التفت المحامي إلى جنيد ورفع حاجبه وابتسم في وجهه: سيدي القاضي هل هناك أب يمكن أن يشهد على ولده وإن كان مجرما ؟

_ من الطبيعي أن الجواب سيكون لا

_ نعم لأن الأب يضحى بنفسه فداءاً وقرباناً لأولاده

_ بكل تأكيد

اقترب المحامي من جنيد رويدا رويدا وقال بصوت مليء بالثقة :
فعزينا جنيد خالف الفطرة البشرية ليس لأنه سيء لا يا سيدي القاضي لأنه
وبكل بساطة ليس والده الحقيقي

_ صرخت حنان من الخلف وهي تقول : ما الذي تهذي به أيها
الأحمق اللعين، أكبرت وأصبحت لا تميز الصواب من الخطأ سالم ابني كيف
تقول شيئاً كهذا

طرق القاضي ليسكت الجميع بعد تعالي الأصوات، فرد عليها المحامي
بكل ثقة : نعم هو ابنك ولكنه ليس ولده لجنيد

نظر جنيد وعيناه مألها الدهشة وكل من في قاعة المحكمة ينتظر
تبريراً ودليلاً على ما قاله المحامي

لم تكن تلك العيون كعيون سالم فعيونه تحولت إلى جمر مشتعل لا
ينطفئ، ودقات قلبه لم يعد يتحمل وقع خطاها

_ أيها المحامي

_ نعم سيدي القاضي

_ هذه اتهامات كبيرة وأنت تعرف حجم هذه الاتهامات من دون أي
دليل

_ سيدي أنا محام معروف ومشهور أنا لا أتكلم بالترهات أو ألف

قصصا ومشاهد من بنات أفكاري، أنا أحمل في جعبتي تحليلا وتم بأشراف
حضرة النائب العام كمال

نظر القاضي إلى النائب العام وأشاد النائب العام بالإيجاب، أخذ القاضي
التحليل وفتحه و الحاضرين ينتظرون ما سيقوله القاضي

همهم القاضي وتوجه عابس الوجه حزين العينين يناظر سالم وفي عينيه
دموع التوسل: أرجوك لا تقل أن ذلك صحيح، أرجوك لا تجعلني أعيش أماً
وخذلائنا أكثر، أرجوك لا تقل أن ذلك صحيح، أرجوك

طأطأ القاضي رأسه وتنهَّد بألم : ك..ك..كلام المحامي صحيح

شهق كل من في القاعة وأيديهم على قلوبهم والدمع يسقط من عيني
حنان وهديل وهم يشاهدان تمزق وانفطار قلب سالم بين عينيه

_ إذن كما قلت لك يا سيدي العلم لا يكذب والحقائق لا تكذب

_ حسنا أيها المحامي إذن من هو والد سالم إذن !

_ سأخبرك أيها القاضي سأخبرك بكل شيء

اعتدل السيد آدم في جلسته وأخذ شهيق الانتصار واسترجع بذاكرته
لسنوات رسم خطته

صاحب أعين عباد الشمس، هكذا ما كان يدعوه أقرباؤه، ذا الشعر
الحريري تشعر من فرط جماله أنه خارج من سلسلة قصص كرتونية، لربما
سر جماله يكمن في عينيه كانت والدته تحب زهرة عباد شمس لأنها تشبه

عينيه وبالأخص عند وقوع الشمس عليهما وقت الغروب فتتحول للون ذهبي يدهش العين بجماله، أورثت حب تلك الزهرة لآدم فهو كان يعشقها لأنه رأى فيها ما يشبهه ، ولكن السر لم يكمن هنا فحسب !

آدم شاب طموح ورث عن والده الشغف والإرادة نعم لم يورثه المال ولكنه أورثه ذكاء الحصول عليه، أورثه العزيمة والإصرار على الهدف، وضعه على طريق الهندسة المدنية ظننا منه أن آدم يمتلك المقومات المؤهلة لتحقيق ما عجز هو عن تحقيقه، دخل آدم الجامعة بمحنة دراسية كاملة نظرا لتفوقه العلمي، فكان ذلك محفزا له بأن يشق طريقه بدافع وشغف أكبر، لم يكن آدم يحلم قط بهذا المجال، كان يريد أن يصبح طبيبا مشهورا ولكن قال له والده إن طريق الطب طويل وستصل لهدفك ولكن نحن بحاجة إلى المال لكي نعيش ولكي نكمل حياتنا، كان والد آدم مهندسا يعمل في إحدى الشركات المقاولات لكنه لم يستطع أن يزيد راتبه ليحسن أوضاعه المعيشية من غلاء الأسعار ووجود ولدين له في الجامعة أمر مكلف

قرر آدم أن لا يفكر في أنانية ويدخل كلية الهندسة بمنحة ليخفف أعباء الحياة على والده، وقال في نفسه لربما الخير من عند الله يأتي من المكان الذي لا نحب، لا أدري لربما كلية الطب ليست خيرا لي ولربما تكون خيرا ولكن في كلية الهندسة لربما أرى خيرا أكبر من الذي أخذ مني من يدري أين الخير يكمن

وتذكر قوله تعالى ﴿إِن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا

أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾

دخل آدم الكلية الهندسة وبدأ يتجول في أنحاءها يناظرها حجرا حجرا

اشترى كوبا من الشاي وجلس على درج مرتفع يستطيع رؤية القريب والبعيد ويكشف المرافق جميعها، وهو جالس بدأت الطلاب تخرج من محاضراتها وتتهافت بحماس البدايات، كان يمضي جل وقته على ذلك الدرج المرتفع لم يكن يرغب آدم بالصدقات العابرة كان يبحث عن الشيء الحقيقي المخفي وراء تلك الأفتنة وهذه الجدران لم يرد أن يمضي وقته مع أناس لا يشبهونه، كان والده يرى فيه الرجل الناجح لأن كان يقدر قيمة الوقت جيدا ولا يضيعه أبدا ولم يكن يريد أن يضيعه على أناس ليست في مستوى تفكيره كان يبحث عن أناس تدفعه للأمام لا تشده من الخلف كان مقتنعا أن ليس أي شخص يستحق أن أهدر وقتي معه وكان هذا الرابط وبداية تعارفه على الطيب "جو"

مرت أيام الدراسة على آدم وكانت عادية لم يواجه أي صعوبة في السنة الأولى في دراسته والجدير بالذكر أنه ترفع صف في المدرسة بسبب ذكائه فهو دخل مع من هم أكبر منه واستطاع أن يتفوق عليهم جميعا، كان لا يحب الاختلاط لأنه كان يتعرض لبعض أنواع الاستغلال في أيام المدرسة مما جعله شخص حذر وأكثر انتقائية في اختيار رفقائه

في وقت من الأوقات أدرك آدم أن تفوقه الدراسي سيكون خيرا للعائلته مستقبلا ولكنها خمس سنوات ستبقى عائلته تعيش في نطاق الفقر إلى متى؟

إلى متى ستظل والدته ترجع الأشياء وترجع اللقمة من فمها لتقدمها له ولأخته؟ إلى متى يشاهد والده يعاني في تلك الشركة ولا يكسب لا الاحترام المطلوب ولا المال الكافي ليسد ديون واحتياجات الأسرة؟

قرر آدم أن يبحث عن عمل بسيط وهو يعرف في قرارة نفسه أن ذلك

العمل لم يفعل شيئا ولكن سيخفف عن والده كسوته ومدخراته والكتب الهندسية ومستلزمات الدراسة لكي يستطيع أيضا إعطاء أخته القليل من المال لكي لا تشعر أنها أقل من زميلاتها في الجامعة، فهي في كلية الآداب فحتاج لبعض الكتب والمراجع ولا يريد لها أن تستعير وتخرج نفسها لزميلاتها، بدأ يبحث ويبحث يدخل الأزقة كان يبحث عن شيء يشبهه نعم هو بحاجة للمال لكنه بالمقابل يريد الحصول على المال لتغدو حياته سعيدة لا تعيشه، يريد جني المال ولا يريد العيش في الشقاء والتعاسة واحتماله لأماكن لا يرتاح لها ولا تشبهه، فقد عثر على عمل في حانة لبيع الكحول وفي ملهى ليلي وبراتب قد يساوي راتب والده لكنه رفض قرر أن يثبت ويرسخ على مبادئه ظننا منه أن الإنسان يستطيع أن يعيش تحت الفقر ولكن لا يستطيع العيش دون كرامته ومبادئه، كان آدم يافعا يخاف أن تتغير مبادئه وينجرف مع التيار، لم يرد أن يشعر أنه أصبح أنسانا آخر، كان يريد أن يبقى كما هو لا يريد أفكارا دخيلة على عقله، فبحث كثيرا أياما وأيام دون علم والده بالذي يفعله فوجد متجرا صغيرا لبيع الكتب يوجد فيه رجل فيه يقارب الخمسون من عمره

_ السلام عليكم يا عم

_ وعليك السلام والرحمة والإكرام أهلا يا بني تفضل كيف يمكنني أن

أساعدك ؟

تأتا آدم وشعر بالحرَج وقال : أريد أن أسألك يا عم هل بحاجة

لموظفين؟

ابتسم الرجل مجيبا : ما اسمك وهل تدرس ؟

_ اسمي آدم آل صادق، نعم أدرس في كلية الهندسة قسم المدني

_ جميل جميل، حسنا فلتتفضل

_ هل ستوظفني عندك ؟

_ دعنا نتحدث أولاً

_ اعتذر لسؤالي المستعجل فقد بحثت كثيراً وكدت على وشك أن أفقد

الأمل

_ إياك يا بني فهذه الحياة لن نعيشها دون أمل، والأمل المتصل بالله

يجب ألا ينقطع أبداً فهو سبيلنا لأن نبقي أحياء نتنفس

_ معك حق

_ قل لي يا ولدي، لديك أشقاء ؟

_ نعم أملك شقيقه من أمي

_ هذا يعني أنكما من أبين مختلفين ؟

_ نعم ولكنني لم أشعر قط بأنها من أب آخر ولا حتى أبي فهو الذي

قام بتربيتها

_ أجل بكل تأكيد فالأبوة لا تتعلق بالإنجاب بل بالتربية، والدك صديق

قديم هل ما زال يعمل في تلك الشركة ؟

_ هل تعرف والدي ؟

_ نعم فنحن أصدقاء منذ زمن طويل أعتقد أنني حملتك عندما ولدت

على هاتين الذراعين

_ أحقا ما تقول ؟

_ نعم يا بني

_ لكنني لم أرك من قبل وكيف عرفت والدي ؟

_ أنا ووالدك ورجل يدعى الحسن تخرجنا معا وعملنا معا واكتسبنا

الخبرات معا

_ كان اسمه الحسن ؟

_ كان اسمه محمد الحسن ولكننا كنا ندعوه الحسن اختصارا لاسمه وكانت بمثابة كرت التعرفه بين زملائنا وكان أيضا يحمل من اسمه صفاته فأنت تعرف أن اسم محمد شائع وبكثرة ولكن عندما نقول الحسن نعرف أنه هو، مثلي تماما

_ اسمك محمد ؟

_ أنت فتى ذكي

_ شكرا لك

_ نعم اسمي محمد الطيب ويدعونني الطيب

_ إذن أنت تحمل من اسمك صفاته

ابتسم خجلا وقال : لا أعلم هذا ما يقوله لي الناس، والآن لأنني كبرت في السن يقولون لي العم الطيب

_ إذن لِمَ أنت هنا وأنت مهندس كبير تمتلك تلك الخبرات ووالدي ما

زال يعمل وأنت خرجت وأين العم الحسن ؟

تنهد العم الطيب وقال : قصة طويلة

_ أعلمني بها إذا سمحت فأني أرى والدي يعاني كثيرا في ذلك المكان
ويرفض إخباري بشيء

_ أجبني أولا

_ تفضل

_ هل أردت أن تصبح مهندسا مدنيا في يوم ما ؟

_ كلا

_ لم دخلتها ؟

_ والدي أرادني في هذا المكان وقد حصلت على منحة تفوق في جامعة
وأبي لم يرد أن أخسرهما إن ذهبت إلى كلية أخرى

ابتسم العم الطيب ورفع حاجبه : دائما هناك سيناريو مفقود وحلقة
ضائعة والغموض يسري في جانب من الجوانب والحقيقة لا تكون كاملة في
كل الأوقات ووضع أسباب ربما تبدو في بعض الأحيان منطقية إلا أنها في
وقت ما سينزل عنها الستار وستبدو ساذجة في أعين المراقبين

_ ماذا تقصده ؟

_ أعني أن والدك يريدك في الشركة

_ كيف ؟

_ أنت الورقة الراححة لكل ما سيجري

_ أنا ؟

_ نعم

_ ولكن كيف ؟

_ قلت لي إنك متفوق

_ نعم

_ والدك يرى أنك ستترعب على عرش الإدارة هناك وستحدث فارقا كبيرا
وأنك تملك إمكانات لا أحد يعرفها ولا حتى أنت والدك بخبرته الطويلة
عرف أي طريق يجب أن تسلك لأن من في داخل تلك الشركة ستسحقهم
جميعا وهو متأكد من ذلك، لذلك بقي يتحمل الذل والإهانة ينتظر
لتتخرج لأنه سيكون ورقة العبور الخاصة بك لذلك المكان وإذا تركه لن
تدخله في حياتك وهو يعرف أنهم سيطردهونه عندما يتقدم في العمر قليلا
لذلك يريد إدخالك قبل مغادرته

_ حسنا ولكن لِمَ يعامل أبي بطريقة بشعة ؟ ولا يترقى وأشعر أن
الوضع الآن أسوأ بكثير من قبل وأن أبي يواجه ضيقا ماديا ونفسيا

_ من أجل ما حدث

_ ما الذي حدث ؟

_ كنا أنا والحسن مسؤولان عن مشروع متعاقد مع شركة زيدان
للمقاولات

_ حسنا ؟

_ فطلبنا المواد اللازمة ووضعناها في المستودع وذلك المستودع تابع
للشركة ولكن الشركة لم تضع كاميرات مراقبة ولا حراس على ذلك المستودع
فسرقت المواد التي تبلغ خمسمائة ألف دولار

_ حسنا ؟

_ فتحملنا الأمر أنا والحسن في البداية

وقف آدم مستاء من الذي يسمعه : كيف ذلك هذا ظلم ؟ أنتما
مهندسان لستما كلاب حراسة !

_ الأمر لم يقتصر على أننا كلاب حراسة تمنيت لو ألقوا اللوم علينا أننا
لم نحرسها تمنيت أن أكون كلبا للحراسة على أن أكون سارقا
_ سارقا !

_ نعم يا بني لا تتعجب، فالضعيف تلف حول رقبتة جبل المشنقة
وإن كانت ظلما

_ ما الذي حدث ؟

_ لقد اتهموني والعم حسن بسرقة المواد وبيعها

_ قلت للتو إنكما تحملتما المسؤولية بادئ الأمر

_ صحيح لأن في التحقيق استطعت أثبت أنني كنت عند والدك ليلة
وقوع السرقة ولكن الحسن لم يستطع إثبات ذلك فألزقوا تهمة السرقة عليه
لكي لا تتحملها الشركة، فوالدك شهد معي أنني كنت عنده وهذا ما جعل
الشركة تصب غضبها عليه وتجعله ملعونا، والدك صديق وفي لن أستطيع أن
أرد له دينه ما حييت لأنه عرض عليه المنصب في تلك الشركة ليشهد زورا
وبهتاناً أنني لم أكن عنده رفض أن يبيع صديقه، والدك رفض بيع ضميره،
أتعلم شيئا يا بني ؟

_ ماذا ؟

_ والدك بعد الإهانات المتكررة والذل الذي قابله قرر أن يستقيل وأن
يبحث عن عمل آخر في مكان آخر حتى لو لم يكن في مجاله

_ إذن لِمَ لم يفعل هذا ؟

_ فعل ولكن المدير هدده

_ بما سيهدده ولماذا هو مهتم ببقاء والدي أم لا ؟

_ والدك لا يختلف اثنان على كفاءته وحرفيته وعلمه فهو حاصل على شهادات عليا وخبرات لا حصر لها ولم نكن نَقِلُ عن والدك _ ولكن كان هو أكفؤنا واحرصنا على العمل وفي الواقع لم تكن هناك مشكلة لا يستطيع حلها هو كان مرجعنا فأنت ورثت الذكاء عنه وهو شعر أن ذكاءك متفوق عليه وإذا اجتمع ذكاؤك واجتهادك مع خبرات والدك سيصنع منك شخصا لا يمكن إيقافه ولا يمكن لأحد أن يقف في وجهك _ والسبب الآخر أن أسرار الشركة جميعها مع والدك فإذا خرج لمكان آخر وبالأخص للمنافسين ستشكل خطرا على الشركة، فنحن لم نكن قرييين من المجلس الإداري بقدره، فرفضت استقالته وهدده المدير إن لم يبق سينهي مسيرته كما فعل بنا حقا ؟

_ أجل يا بني، فأنا طردت من الشركة وعندما قررت أن أعمل في شركات أخرى لم أستطع بسبب أن سمعتي تلطخت بدماء قدر فكل شركة تسأل عن سبب تركي لا تصدق أنني مظلوم حتى لو تمت تبرئتي من قبل الشرطة

_ ماذا عن العم الحسن ؟

نظر إلى الأرض وحك عينيه وتنهد : عمك الحسن دخل السجن

_ ألم يخرج ؟

_ نعم خرج

_ إذن أين هو ؟

_ خرج يا بني من قبر الظلم إلى عدالة السماء فانتقل إلى جوار ربه

_ توفي؟

_ نعم، عندما دخل السجن لم يتحمل ما أصابه فأولاده ما زالو صغاراً وزوجته صغيرة في السن لن تقوى على هذه الحياة بمفردها، لم يتحمل الظلم

مات عمك الحسن من حسرته

شعر آدم بالغضب وأن هذه الحياة ليست عادلة وأن الظلم يجب أن يقلب يوماً على الظالم، فنظر إلى العم الطيب وعيناه سهام وأقسم _ في قرارة نفسه وهو يناظر تجاعيده التي أكلت وجهه بسبب قهر الزمان _ أن سيسترجع حق والده والعم الطيب والعم حسن

ابتسم العم الطيب وقال له : دعك من هذا والآن أعمل بجد واجتهد لتقف جانب والدك وتصبح من أكبر المهندسين في هذه البلاد، عندما تنتهي من الجامعة تعال إلي مباشرة وحاول ألا تتأخر لأني أحاول الذهاب إلى البيت باكراً ويمكنك أن تدرس بينما لا يوجد هناك زبائن دراستك صعبة أعلم ذلك، فأنا لن أتركك

_ حقا يا عم ؟

_ بكل تأكيد، بع جيداً وأدرس جيداً ولا يغريك كل تلك الكتب فالعلم الذي بين يديك هو من سيساعدك، لذلك كن مجتهداً وضع هدفك نصب عينيك

_ حاضر أيها العم

_ جميل، وفقك الله يمكنك الانصراف يا ولدي

_ عمت مساءً أيها العم لن أنسى معروفك هذا

_ هذا ليس معروفاً فإن لم أوظفك سأوظف غيرك في نهاية المطاف

جاء الصباح باكراً فخرج آدم عن طاولة الإفطار مسرعاً بعد إلحاح من والدته بأن يأكل المزيد لكنه رفض انطلق وفي عينيه بريق وهدف واضح، أنهى محاضراته وأنهى يومه ولم يعرف من فرط الحماس كيف مر، أحس لأول مرة أن هذا هو مكانه وأنه سعيد بهذه الكلية أحس أن وجوده هنا لغاية وهدف وأصبح له قيمة توجه مباشرة بعد الانتهاء من محاضراته إلى متجر الكتب

_ كيف حالك أيها العم

_ بخير الحمد لله

_ هيا أدخل _ من فضلك _ انفض الغبار عن الكتب بين كل فترة لكي لا تتراكم الأوساخ عليها واجلس وتابع دروسك إلى أن يأتيك زبون

_ حاضر أيها العم

_ المكان أمانتك فأحرص عليه جيداً

_ بكل تأكيد

انتهى آدم من نفخ الغبار وفتح كتبه وانغمس فيهم ويتوقف قليلاً عندما يفتح الباب ويقرع الجرس الرنان منذراً لقدوم زائر فبدأ يدخل الزائر تلو الآخر طيلة أيام وكان أغلب رواد المتجر فتيات يافعات، فعرف العم الطيب أن جمال آدم وجمال عينيه هما سبب رزق للمتجر إذ إن الذي يبيعه آدم يعادل بيع العم الطيب في ظرف ثلاثة أيام، ولكن كان يرى عدم اهتمام آدم مع معرفته بذلك وتوالى عدم الاهتمام إلا أن قرع جرس الباب وهو منغمس في دراسته لدرجة أنه لم يسمع رنين الجرس ولم ينتبه لقدوم

أحدهم، فإذا بصوت خفي ناعم ينساب بنعومة ينادي عليه تكرر ويقول :
إذا سمحت هل لك أن تساعدني ؟

لم ينتبه آدم حتى لذلك الصوت الملائكي، أعيدت الكرة : إذ سمحت
هل لك أن تساعدني ؟

فاستفاق آدم وأرجع اتصاله بالعالم الواقعي واستجمع بصره وسرق
بطرف نظره من الزائر، فإذا بفتاة جميلة الوجه ذات خدين يحمل أحدهما
غمّازا ذات شعر أسود ناعم كشعر الخيل وعينين واسعتين وترتدي وشاحا
على رأسها وتقف برزانه ووقار وترتدي فستانا أسود مزركشا طويلا وفي
داخله قميص أبيض ناصع البياض وحذاء مرتفع ببعض السننيمترات عن
الأرض وحقيبة بيضاء مزينة بزهرة عباد الشمس، سحرته كلماتها ولم يسمع
رنين الباب فتيقن حينها أنه قد قرع جرس الحب دون أن يشعر

_ أنا...أنا أعتذر لك حقا لم أنتبه وهذه أول مرة لا أنتبه فيها

_ لا عليك، كنت أريد رواية لشكسبير

_ في ذلك الرف يوجد جميع ما نملك لشكسبير

_ حسنا، أشكرك حقا

_ لا، لم أفعل شيئا

ابتسمت ابتسامة شكر وذهبت خجله لذلك الرف، بدأ آدم يتعرق
وحاول أن يتبادل معها أطراف الحديث

_ هل أنتِ تدرسين ؟

_ نعم

- _ في أي كلية ؟
- _ كلية الآداب قسم الترجمة، وأنت ؟
- _ كلية الهندسة قسم المدني
- _ جميل
- _ نعم فكليتي ليست بعيدة عن كليتكم
- _ نعم صحيح، أنا سأخذ هذه
- _ حسنا، تفضلي
- _ شكرا لك وشكرا على لطفك
- _ لا داعي للشكر
- _ وداعا
- _ أنستي !
- _ اعتذر لك عن فضولي لم تعرفيني بنفسك
- _ أنا ؟
- _ نعم
- _ اسمي حنان، وأنت ؟
- _ أنا اسمي آدم آل صادق
- _ تشرفت بمعرفتك يا آدم تفضل هذه الزهرة عربون شكر للطفك
- _ شكرا أحب هذه الزهرة كثيرا
- _ حقا ؟
- _ كنت أحبها ولكن عندما أهديتني إياها بدأت أحبها أكثر
- _ رائع، إذن إلى اللقاء
- _ أودعته بابتسامة بسيطة وخدين محمرين خجلا، فقال في نفسه :
- سهام الحب أصابتك يا آدم !**

ظل هذا الحب مدفونا في قلب آدم وأضاف بسببه المزيد من الإصرار ليصبح شخصا ناجحا يهابه الجميع، ولكن هل سيقف الحب أمام قَسَم آدم لنفسه؟ هل سيقف الحب في وجه هدفه هل سيكون ذلك الحب هو الذريعة لينسى آدم انتقامه للشركة التي جعلت من والده ذليلا متهالكا التي جعلت عائلته عالقة في الدين وعائشة تحت غطاء الفقر، أم ذلك الحب سيكون وسيلة للوصول إلى المراد والمسعاي، كل تلك الأسئلة راودت آدم ولكن الشيء الوحيد الذي كان متأكدا منه أنه لن يتخلى عن قَسَمه ولن يتخلى عن حبه، وعلم أيضا أنه سيقدم التضحيات برخيصها وغايلها وسيقدم قربان لذلك الدين وسيمنح الأضاحي ليحافظ على ذلك الحب، هدف آدم أصبح واضحا الآن، سيحافظ على حبه وعلى قسمه وسيدهس من يقف في وجهه، فهو أقسم أن لا يلتفت لأن التفاتة واحدة منه ستهدم أحدهما، وهو لن يتخلى عنهما مهما كان الثمن غاليا .

مرت الأيام مسرعة على آدم وصل حينها إلى سن العشرين فقرر قرار صدم كل العائلة، جلست العائلة على طاولة الغداء، وبدأ الضحك والمزاح على الطعام وكأنهم يخاطبون أنفسهم أن الفقر والدين لا يمنعان الشخص أن يكون سعيدا وليست ذريعة للبقاء تعيشا طيلة حياتك، وإن نظرت الإنسان للحياة هي من ستحدد إن كان تعيشا أم سعيدا، عم السكوت للحظات وإذ بآدم ينطق قائلا: أبي، أمي أنا سأتزوج

خيמת الدهشة أرجاء المكان وكانت النظرات الاندهاش مصاحبتهم وهم يناظرون إليه بدهشة فقالت والدته : ما الذي قلته يا بني ؟

_ قلت أريد أن أتزوج

_ نعم ولكن أنت تعرف أن الزواج في هذه الأيام صعب يا ولدي

ونحن بالكاد ندبر أمرنا كيف سنتفق عليها ؟

_ أُمي دعك من ذلك

صرخت الأم في انفعال وغضب : ولكنك ما زلت تدرس أنهي دراستك
أولا بعدها فكر بتلك الأمور

وقف آدم ووجه محمر وقال : مما تخافين أن يزيد حملك ؟ لا تخافي
فأنا سأتكفل بنفقتها فأنا سأزوجها ولست أنتِ

_ ليس هذا ما عنيته ولكن لا أريدك أن ترتكب خطأ وأن تتورط في
مسؤوليات نحن بالكاد نعرف أن نتحملها وقال الرسول عليه السلام :

" يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ
لِلْبَصْرِ، وَأَحصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ "

أخذ آدم نفسا عميقا وهدأ صوته وتحدث لأمه من قلبه : أُمي نحن في
مجتمع الشاب لا يستطيع غض بصره وأن غضها البارحة سيوسوس الشيطان
له في الغد لن يبقى صامدا، سأزوج لأحفظ نفسي لا أريد أن أكون ضعيفا
لملذاتي لا أريد أن أقع بالحرام لأسد شهواتي أريد أن أتزوج واعف نفسي
ونسلي من خطأ قد ارتكبه في لحظة ضعف، أسعى للخير فالله سيسعى
معك وأنا أثق ثقة عمياء أن بعد زواجي سيفتح باب الرزق لي وسترين،
وسأذكرك بذلك حينها، سأزوج من فتاة حالها ليست بعيدة عن حالنا
تعيش عيشة مستورة، وأنا شخص مجتهد وسأنهي الهندسة بأربع سنوات
أي لم يبق لي سوى عام وأنهى دراستي سأخرج وأكون الأول في قسمي
وسترين أن الله يعلم ما في نفسي فسيسوق لي الخير دائما يا أُمي

تتهدت الأم ونظرت لزوجها : ما رأيك بكلام ولدك ؟

ابتسم والد آدم: ولدك كبر سيكون شخصا ناجحا أنا أثق به وأنا مؤمن بهذا، أنا معك يا بني بكل خطوة تخطوها وسأبدأ من الغد أفرغ المستودع في الروف فوق لكي تتزوج به

فرح آدم لسماع ذلك فنظر لعائلته وهم يتسمون له وفرحون لأجله عرف حينها أن داعم المرء الأساسي هم عائلته ولبنه الأساسية لتكوين ثقة المرء بنفسه هي أسرته فهي الضلع الحامي والجيش الذي لن يتركك أبدا إن تركك الجميع، فهم السياج والجسر الآمن لوضعك على بر الأمان

عندما تصلحُ العائلة في احتوائك يصلح كل شيء في داخلك!

تزوج آدم وحنان وعقد قيرانهما شيخ القرية كما جرت العادة أولا ولم يوثقا زواجهما في المحكمة لضيق الوقت وانشغال آدم وكان يقول ليس هناك داع للمحاكم فالرابط الذي جمعنا إن فرقنا يوما لن أنسى الفضل بيننا أبدا فحقتك محفوظ، فأنجبا ولدا يحمل عيني والده نعم تلك هي أعين عباد الشمس وكأنها الشيفرة الوراثية التي سيخلدها آدم لأبنائه وأحفاده، أسميا طفلهما الجميل نوح كانت العائلة كلها سعيدة بهما جدا وبدأ آدم مشروع تخرجه لكي يستعد لإنهاء جامعته والتخرج منها، الأمور بدأت تبتسم له فقد كان يُدرس بعض المواد ويجني منها المال وكان يلزم العم الطيب في متجر الكتب لأنه أصر على البقاء معه وألا يتركه أبدا على الرغم من تلقيه عروض عمل أفضل من هناك ولكنه رفض، رأى طمأنينته وراحته هناك والعمل الوحيد الذي يصلح مع دراسته، بعد أربعة شهور تخرج آدم آدم الأول على قسمه كما وعد والدته وتخرجت حنان بتقدير جيد جدا وكانت فرحتهما

وفرحة العائلة عارمة، فنظرت والدة آدم له وفي عينيها الفخر وقالت لنفسها محدثة : وعدتني ووفيت يا ولدي أشعر بالفخر بأنك ولدي الغالي وكلي فخر أنك كنت رجلا حقيقيا صامدا مفعما بالثقة والتوكل على الله لم تهزك الأيام ولا انحنيت ورضخت عن وعودك ولا عن مبادئك نحن أحيانا أننا نحن هنا الكبار وأن خبرتنا كفيلا أن توجهك وتعلمك وأنك ما زلت صغيرا على اتخاذ القرارات ولكننا أخطأنا فأنت كنت رُبَانًا رائعًا، والعين التي ينظر بها والدك ليست محض ثقة فارغة وليست عبثًا، ستكون حقا إنسانا ناجحا وذو شأن عظيم كنت على حق يا بني فبقدراتك واجهت القدر وبذكائك حصلت وجمعت أموالا استطعت بها أن تسد حاجتك وحاجاتنا، أنت رائع حقا يا ولدي !

ذهب آدم ووالده لكي يقدم للعمل في شركة زيدان للمقاولات، ونظرا لكفاءته ونجاحه في المقابلة وحصوله على المرتبة الأولى في قسمه مما جعل الشركة مضطرة لتوظيفه وكانت الشركة متأكدة أن أمثال آدم الشركات الكبيرة ستتهافت عليه وستأخذه ولربما يثبت جدارته في مكان آخر ويجلب لوالده عملا ويستقيل فاضطرت لكسر قاعدة _عمل الأقارب ممنوع في نفس الشركة_ من أجل ذلك الأمر

فكما توقع والد آدم حصل، فأدم كان الشخص المثالي في الشركة الذي أثبت في مدة وجيزة أنه يملك خبرات ومعلومات قيمة، فقد استمع لنصيحة العم الطيب وحاول قراءة الكتب والمراجع التي تفيد مستقبله ومهنته سيط آدم قد سبقه ووصل إلى صاحب الشركة طلب رؤية من ذلك الشاب المجتهد الذي بذكائه ومهاراته ينافس أكبر الخبراء ؟

طرق باب المدير فادخل آدم نصف رأسه باستحياء

_ سيدي هل يمكنني أن أدخل ؟

_ تفضل حضرة المهندس السيد زيدان يريك، سيد زيدان هذا الشاب الذي حدثتك عنه

ابتسم السيد زيدان وهو يناظر آدم ويتمعن به ويقول في نفسه :
شاب وسيم، فقير، مجتهد لديه مستقبل كبير، إذن هذا هو
_ مرحبا سيدي كيف حالك ؟

_ بخير الحمد لله سمعت عنك الكثير كم أنك مجتهد وذكي

رفع رأسه آدم وتكلم بثقة أكبر وقال : " ما شابه أباه فما ظلم "

ضحك صاحب الشركة وقال للمدير أريد أن أتكلم مع آدم على انفراد

_ بكل تأكيد يا سيدي

_ آدم هل أنت متزوج ؟

أحس آدم بذكائه وسرعة بديهته أن طرد المدير وتكلمه معه على انفراد
وتمعنه به ليس محض مصادفة فسارع في الجواب : لا أنا أ عذب لم أتزوج
لأنني لم أجد الشخص المناسب وأفكر في أن أركز على عملي أكثر وأكثر لأني
أسعى لأن أكون شخصا ناجحا

_ جميل أعجبني طموحك حقا، سأدخل بصلب الموضوع لا أحب أن

أطيل فأنا رجل أعمال وأنت تعرف وقتنا مهم

_ بكل تأكيد

_ لدي فتاة وهي تزوجت ولكن لم توثق زواجها في المحكمة وهناك

خلاف بينها وبين زوجها وتطلقت وأريد أن أؤمن عليها مع شاب خلوق

وطموح مثلك فهي ستكون وريثة هي وأخاها على جميع أملاكي

نظر باستغراب آدم في نفسه : أیظنني مغفلا ابنته وقعت في الخطأ مع شاب ويريد مني أن أستر عليها وقال لي أملاكي وأموالي ليغريني، فهذا عرض ولكن بطريقة غير مباشرة والآن سيقول لي اعمل بجد أريدك أن تكون في هذه الشركة إداريا، عائلة قذرة حقا!

_ أين شرد ذهنك ؟

_ لا شيء يا سيدي يشرفني ويسعدني ذلك ولكن هل ابنتك موافقة على ذلك لربما لن أعجبها

صرخ بانفعال واضح : تلك الفتاة لا تعرف مصلحتها ولن تعرف فهي حمقاء

اعتدل بكلامه وأكمل : أعني إني أخاف عليها ولا أريدها أن تختار شخصا آخر خطأ فلا أريد أن يذهب شقاء عمري لشخص قذر وغير مسؤول أمثال ذلك الوغد

_ افهم تخوفك جيدا ولكن كيف عرفت أنني لن أكون مثله ها أنا قد وافقت حتى ولم أر ابنتك قط، ألم تفكر أنني أطمع بأموالك ؟

_ لا فأنتم عائلة محترمة والفقير فقر الجيب لا النفس أما ذلك المغفل فهو فقير النفس والجيب

نظر آدم إلى صاحب الشركة وتمتم في نفسه : لقد اخترت الشخص الخطأ ستندم ندم عمرك على هذه الخطوة، تريد مني أن أحوي أخطاء ابنتك وطيئتها، تظن بأموالك يمكنك أن تشتريني، هذا المكان الذي وضعتني فيه سيكلفك غاليا غاليا جدا

– حسنا سيدي ولكن إن أمهلتني لأكون نفسي أكثر لكي أستطيع شراء منزل يليق بابتكم

– منزلك جاهز ليس منزلا بل قصر

– أعذرنى يا سيدي فأنت هكذا تنقص من قدرى أنا لا أقبل صدقة من أحد

ذرع زيدان وحاول أن يصلح الموقف خاف أن يغير رأيه ويرفض الزواج بابتته : لا طبعا لا هذا اعتبره نقوط زواجكما لا تفهمنى خطأ أرجوك
– لا سيدي لم أفهمك ولكن أنا رببت هكذا ووالدي علمني الأصول جيدا عن إذتك

تلبك زيدان وأمسك بذراعيه وأغمض عينيه يطلب منه السماح بهما :
حسنا إذ هذا يريحك سيبقى البيت ملكي إلى أن تجمع المال الكافي وتشتريه مني ما رأيك ؟

– حسنا

– جميل إذن تعال في المساء لتتعرف على ابنتي وتتعرف عليك

– سأتي -إن شاء الله -

لم ينس آدم وعده الذي قطعه ولم ينس حبه أيضا فحصل شجار عنيف بينه وبين حنان عندما أخبرها بالأمر

– أنت خدعتني يا آدم أين ذلك الحب والوفاء ظننتك رجلا !

– حنان أرجوك أنت أكثر شخص يعرف بذلك القسم وبالأحرى أنت

الشخص الوحيد الذي قلت له ذلك

_ قلت لي ذلك لتريح ضميرك اللعين !

_ ليس الأمر كذلك، فأنتَ حب حياتي ورفيقة دربي وهذه الطريقة الوحيدة التي فيها سأنتقم لوالدي لما تعرض له من ذل وإهانة
_ هناك ألف طريقة لفعل ذلك

_ نعم وأنا لم أختَر الطريقة، أنا لم أركع تحت قدميه وتوسلت إليه أن يزوجني ابنته

أخذت حنان نفسا وأمسك آدم بيدها وقال : ألا تثقين بي؟

_ مشكلتي الوحيدة أنني أثق بك ثقة عمياء وهذا ما يجعلني مطمئنة
فأنا لم أر قط شخصا بذكائك فأنا أثق بخطئك وطريقة تفكيرك لأنها دائما ما تكون على صواب

_ إذن سلمي الأمور لي، فحبك كان هدي في واستطعت الوصول إليه

_ لكن ذلك الهدف ربما يحتاج سنوات طوال

_ لو احتاج عمري سأحققه

_ لِمَ كل هذا الإصرار ؟

نظر آدم لحنان بتحسر : عندما خرجت اليوم من الغرفة دخل بعدها المدير وبقيت خلف الباب وإذ بالمدير يقول لصاحب الشركة لقد أهنت كرامة والد المهندس آدم وكاد الدمع يغرف من وجنتيه كما طلبت، وبدأ بالضحك وإذ بصاحب الشركة يقول : أبقى عامله هكذا فالحثالة يجب أن تبقى حثالة ويجب أن يعرض أصابعه ندما لأنه لعب دور الشريف، لا مكان للشرفاء في هذه الأيام أصحاب الضمير يسحقون تحت أقدام الجميع، لا مكان لهم في عالم الأموال

ربت حنان على كتفه وقالت بحزن شديد : لا عليك فأنا معك ماذا
ستفعل الآن ؟

_ سأزوجها

_ ألن تعلم أنك متزوج

_ كلا فزواجنا لم يسجل في المحكمة فأنا مسجل بدائرة الأحوال أعزب

_ ماذا عني ؟

_ ستبقيين زوجتي وحببتي وكل شيء في حياتي

_ ألن تطلقني ؟

ضحك آدم بصوت مرتفع وقال لها : كفاكِ أوهاما

_ لكن أن استلزم الأمر ستفعل صحيح ؟

_ عزيزتي نحن في عالم الأموال لا أعرف فأنا لم أصل الآن لتلك المرحلة

ولكن أن استدعي الأمر سنرى

عبس وجهها والدمع على خدها، فمسح لها خدها : لا أريدك أن تحزني

ولا أريدك أن تتفاجئي بشيء توقعي حدوث كل شيء، الآن فقط أنتِ

فكري في اليوم وحسب وعيشي معي وانسي العالم أجمع، فلا تفكري أنني

سأزوج فتاة الأحلام، عندما وصل الحال بأبيها أن يزوجها بشاب فقير ليس

من مستواه إذن ابنته فظيعة وستجلب له الكارثة والمشاكل وستلطيخ اسمه

بالوحد

_ ماذا عن نوح ؟

_ نوح سيربى عندك إلى سن الخامسة

_ ستبعد ابني عني ؟

_ كلا لأنني لن أنجب منها أطفالا

_ لم أفهم أرجوك أشرح لي

_ الفتاة ستبقى على علاقة مع ذلك الشاب

_ كيف عرفت وكيف قَدَرت قبل أن ترى ومن الممكن أن يكون كلام

والدها صحيح

_ استحالة ،عائلة كبيرة تحب البذخ والاستعراض ستختار لابنتها عريسا

يكون من مستواهم وعرسا يليق بهم ليتفاخروا به أمام أصحاب المال

والنفوذ فهي أحبت شابا من مستوى معيشي متدني، والعلاقة تعمقت بينهما

لدرجة كبيرة لا يمكن لأحد تخيلها فهو يريدني أن أتزوجها ؛ إذ تزوجها

شخص من عائلة ثرية وغنية سيزرع رأس والدها في التراب وسمعته

ستتلطخ، لذلك أريد من نوح أن يربى في حضنك لأنني أريده أن يعلم من هي

والدته ومن وجب عليه طاعتها وبرها

_ حسنا ماذا ستفعل بعد ذلك ؟

_ سأعيش جل حياتي معك وفي تربية ولدي

_ وهي ؟

_ لن أعيرها أي اهتمام ستفعل كل ما يحلو لها فأمرها لا يهمني

سكت آدم وفكر مليا وقال : سأجمع الأموال وسأترقى بتلك الشركة لكي

أصل لأعلى المناصب سأصل إلى مكان المدير واليوم انتبهت على أن والدي

يتقاضى راتبا مماثلا لراتب محاسب بسيط في أي شركة، فلا يتقاضى أجرا على

خبراته ولا على شهاداته ولا على كفاءاته، أي علم أنني أستطيع النجاح أكثر منه هناك وسأفعل

_ بالتأكيد ستفعل

_ لا تخافي يا زوجتي سأفعل كل ما بوسعي لأجعل ابنا يحظى بحياة الترف ولا يعيش حياة قاسية وصعبة كالتى نعيشها الآن

_ هذا كل أملي

_ سيحصل سيحصل - إن شاء الله -

_ إن شاء الله

_ سيلين !

_ نعم أي ؟

_ سيتقدم اليوم لخطبتك مهندس لدي في الشركة حالة ميسورة ولكن رأيت أنه مناسب لك

اشتات سيلين غضبا وصرخت : من ذلك المغفل ها ؟ كيف تعطيني له كيف ترميني هكذا أي أب أنت كيف تفعل بي شيئا كهذا ؟

قام زيدان ولطمها على خدها وهو يشد على أسنانه كاظما غيظه : أيتها الحقيرة لولا فعلتك الشنيعة التى وأن علم بها أحد سأعيش منحنى الظهر طوال عمري فاحمدي الله أنى وجدت من يداري مصيبتى

_ وإن لم أقبل ماذا ستفعل

اقترَبَ منها وامسك بشعرها وهمس في إذنها : بكل بساطة سأحرمك
من الميراث ابنتي الغالية

سكنت قليلا وتفاجأت لقول والدها ووقفت على قدميها بهدوء
وخطبته بصوت هادئ مذهول : أحقا ستفعل في هذا ؟

_ عندما اقترتني غلطتك الشنيعة تلك مع ذاك الذي يسمى جنيد لم
تفكري إذا كنت سأفعلها أم لا !

اذهبي ولا أرد أي مشاكل ستعيشين معه عيشة كريمة لن أنقص عليكِ
شيئا وهو شاب طموح رفض أخذ بيت ليس من حقه وليس من عرق جبينه
حافظي عليه فهو شاب فقير ولكنه يمتلك خصالا رائعة

بعد مرور خمس سنوات، آدم استطاع أن ينتزع الإدارة المطلقة في
شركة زيدان للمقاولات ولم يكتفِ في هذا وحسب وعمل مهندسا في مكتب
خاص يديره العم الطيب واستطاع أن يعمل خارج البلاد بمشاريع ضخمة
ونجح بها نجاح ساحق حقق من خلالها أموال ضخمة وبدأ بمشاريع مكاتب
صغيرة لكي يستثمرها وتكبر فيما بعد لم يرد أن ينطلق بعجلة كان يحسب
كل خطوة يخطوها لم يرد أن يضيع جهده في لحظة استعجال كان متيقنا أن
الخير القادم وأن ما نتيجة السعي إلا الحصاد ودائما ما يضع هذه الآية
نصب عينيه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ﴿٣١﴾

_ دكتور جو طمئني كيف هي حال زوجتي ؟

_ أعتقد أن إنجابها شبه مستحيل

نزل على قلبها كالرعد لم تتحمل سيلين ذلك فوقفت مترنحة، فقام آدم
ليساعدنا أبعدهته بكلتا يديها واضحة يدها على رأسها لم تتحمل هول
الصدمة وقالت : أعذروني سأذهب لأغسل وجهي

_ تفضلي

خرجت سيلين من الغرفة منهارة الأعصاب، ابتسم آدم للطبيب : رائع
جدا كم أنا سعيد بك

_ هذا من دواعي سروري سيدي، والآن ما الخطة التالية ؟

_ زوجتي الجميلة بعد انقطاع شبه تام عن ذاك الأخرق جنيد، رجعت
حبال الود بينهما

_ حقا ؟

_ أجل يا صديقي

_ ماذا سنفعل الآن

_ لا شيء

_ كيف لا شيء

_ أنا سأسافر لبعض الوقت وستقع هي في ورطة

_ كيف حكمت ذلك ؟

_ لأنها دائم السؤال عن موعد سفري القادم

_ وأنت ستذهب في رحلة عمل خاص أم مع الشركة؟

_ لا مع الشركة في الوقت الراهن لا أستطيع أن أذهب خارجا لأجل

عملي الخاص بل أرسل أبي عوض عني لأن غياباتي أصبحت غير مبررة

_ نعم هذا صحيح ستثير الشبهات وأنت لا تريد أحدا أن يعرف أن لديك أعمالا حرة خاصة

_ بكل تأكيد

_ إذن ما الخطة الآن ؟

_ سأغيب شهر وربما أقل قليلا أريدك أولا أن تعتني بحنان ونوح جيدا في غيابي

_ بكل تأكيد لا تقلق

_ جو أنا أعتد عليك لا يمكنني بوثوق بشخص آخر غيرك فلا أريد أن أتعب عائلتي معي

_ لا تقلق اعتبر نفسك هنا وأكثر

_ جميل، هي منذ خمس سنوات إلى الآن ظنت بأنها لا تنجب وهي لا تعلم أنك تضع حبوب منع الحمل بدلا من الفيتامينات في العلبة

_ نعم صحيح

_ هذه المرة أعطها فيتامينات ومقويات من نوع آخر

_ لِمَ ؟

_ إذا أعطيتها القديمة مع محتوياتها الصحيحة ستلاحظ الفرق في شكل الحبة فهي ليست حمقاء لهذه الدرجة

ابتسم الطبيب وهز برأسه ضاحكا : لا أعتقد أن في هذا العالم أفضل

_ لذلك أعطيتها المقويات والفيتامينات أخرى لحين عودتي

قال الطبيب مازحا : أضع فيها حبوب منع الحمل ؟

نظر إليه آدم ورسم علامة استفهام على وجهه : جو _ من فضلك _ ليس

وقتا للمزاح

فقام من التوتر وتوجه للباب واستدار له فجأة : إياك أن تقول لي لقد

نسيت ووضعتها بالخطأ

ضحك الطبيب بصوت مرتفع ملاً أرجاء الغرفة بقهقهته : ما بك لا

تهذي لا تخف لن أرتكب خطأ كهذا

_ أمل ذلك

_ سأذهب لأراها وأقوم بدور الزوج المثالي الذي يهتم فقط لصحة

زوجته ولا يهتم إن رزق أطفالاً أم لا

_ احرص على إتقان الدور

_ هل أعبس أكثر من هذا ؟

_ لا لا هكذا جميل، لكن أرجوك لا تشعلك نيران الحماسة وتبدأ

بالبكاء، وداعا

_ مزاحك ثقيل، إلى اللقاء

_ زوجتي الغالية كيف أصبحت ؟

_ بخير خذني إلى البيت

_ حسنا

وهما يمشیان إلى السيارة قال آدم : زوجتي أنا لا أعرف كيف أقول لك
هذا وأنا أعرف أنه غير مناسب
_ ما الأمر ؟

_ ولكن وضعك الآن لا يسمح سأجله لحين تحسنك

_ لا تخف أنا بخير هيا تكلم

_ أنا سأذهب للخارج في رحلة عمل مع الشركة

اتسعت عيونها فرحا وكأنها زودت بطاقة مائة حسان أشرق وجهها
فرحا وقالت : متى؟

_ غدا صباحا، ولكنني سألغيها اليوم سأقول لوالدك أن يحل نائبني
مكاني لكي أبقى بجانبك أحرسك وأرعاك لأن عقلي وقلبي سيبقيان
مشغولين بوضعك الصحي والنفسي

صرخت قائلة : لا كلا، أعني يا زوجي الحبيب أنا بخير وبصحة تامة
إنها فقط أعراض التوتر وأنا سأذهب غدا مع صديقتي للبحيرة لأخفف عن
نفسي فأنت أذهب ولا تقلق سأتولى أمر نفسي

_ لكنني لا أريد تركك في هذه المحنة

_ لا لا أي محنة هذه ؟ أنا لا أشعر بأنها محنة أبدا كل هذه الأمور
من عند الله وأن الله لم يرد الآن

_ حقا ؟

_ بكل تأكيد

_ حسنا كما تشائين، اعتني بنفسك جيدا لن أتواصل معك بكثرة بحكم ضغط العمل

_ لا عليك وإن لم تتصل سأقدر ذلك أيضا

سافر آدم وودع حنان ونوح قبل ذهابه للمطار، فلم يمض على ذهابه أيام إلا زاد تواصلها مع جنيد وزادت مقابلاته لها واسترجعت أيام الطيش والحب القديم وأحست أنها مقيدة ومسجونة داخل ذلك القصر رغم توافر كل سبل الراحة، تدرج بهما السوء وكان شيطانهما بينهما دائما إلى أن خرجت الأمور من تحت يديها، أمضت شهرا كاملا عائشة تحت سقف الخطيئة ومع شخص ليس بزوجها، فمر الشهر عليها كأنه يوم ومر الشهر على حنان كأنه عام، تأخر عمل آدم لأسبوعين آخرين فشكل سعادة لسيلين وشقاء لحنان بعد غياب آدم شهر ونصف الشهر وقبل قدومه بأيام تُصدم سيلين بحملها والطامة الكبرى أن عندما كشف عنها الطبيب تبين أنها حامل منذ أسبوعين

تأتا الطبيب وقال لها : سيدي أنتِ في مصيبة عظمى زوجك غائب أكثر من شهر ونصف الشهر من أين لك بهذا الطفل ؟

توسلت إليه سيلين قائلة : أرجوك أيها الطبيب لا تخبر أحدا إن علم أحد من عائلتي سيقتلونني

_ لكن هذا مخالف لأخلاقيات مهنتي

ركعت على قدميها أرضا وتوسلت باكية شاكية : أرجوك ساعدني سأعطيك كل ما تريده من مال وأملاك

_ استغفر الله العظيم، حسنا سيدي سأساعدك عندما يأتي زوجك

تعرفين ماذا تفعلين لكي لا يفضح أمرك صحيح !

وردت وهي ترتجف : نعم نعم، شكرا لك حضرة الطبيب

_ سأساعدك لكن هناك طلب وشريطة أن أساعدك يجب تنفيذه

_ بكل تأكيد سأفعل أي شيء

_ هناك طفل غير شرعي أريدك أن تتبنيه، عرضت على آدم ولكنه لم

يوافق على ذلك بحكم أنك لن تقبلي بذلك

_ ولمَ تريدني أن أتبنى ذلك الطفل حصرا؟

_ لأن ذلك طفل هو نزوة قمت بها ولا أستطيع أن اعتني به أكثر

فزوجتي ربه كطفل متبنى لمدة خمس سنوات ولا تعلم أن ذلك الطفل

وهو ابني

_ حقا ؟

_ نعم، فأنا أشعر الآن بك وأشعر بندمك حقا وأشعر أنك قليلة الحيلة

لذلك أريد أن تساعدني لأننا في القارب ذاته يجب أن نتحكم قليلا بسير

السفينة لكي ننجو كلانا ولا يفضح أمرنا

_ ماذا سنفعل إذن ؟

_ عندما تأتيان أنت وزوجك لي بعد أسبوع سأقول له إنك حامل منذ

ثلاثة أيام

_ ماذا إن شعر بأن بطني قد كبرت بسرعة ؟

_ لا تقلقي سأقول أنه أمر طبيعي نتيجة الأدوية التي كنت أصفها لك

_ سيصدق ذلك ؟

نظر إليها مازحا وحرك رأسه يمنة ويسرة واعتدل في جلسته وأشبك يديه ببعضها واقترب من المكتب وقال : لا سيدتي سيترك الهندسة وسيذهب لدراسة الطب لكي يكتشف كذبي

رفعت سيلين حاجبها وتمتت : هذا وقت مزاح الأطباء السخيف

_ ماذا قلت ؟

_ لا، لا شيء حضرة الطبيب

_ لا تقلقي فزوجك يثق بمهارتي ثقة عمياء

_ حسنا ما اسم الطفل ؟

_ اسمه نوح آدم يعرفه جدا

_ كيف يعرفه ؟

_ قصة طويلة تشاجرت أنا وزوجتي وبقي عام كامل في بيت والدة

آدم حنان هل تعرفيها

_ كلا لم أرها بحياتي ولم تزرنا قط ولكن آدم يذهب إليهم كثيرا وينام

عندهم بالأيام

_ لم ؟

_ والدته كانت رافضة هذا الزواج وبيتهم بعيدا حقا عن قصرنا، ولكن

قل لي آدم يعرف أنه ولدك ؟

_ كلا لا يعرف قلت اه أنني تبنيته وتشاجرت مع زوجتي ولم تعد

تستطيع تحمله ولا أستطيع أن أرميه في الشارع فبقيت والدة آدم متكفلة به وأحبته كثيرا

_ إذن لم تريد أن يتبناه آدم ويعيش معه ؟

_ آدم سيكون أبا جيدا وأريده أن يحمل اسمه وأريده أن يرثه

_ سيرث مَنْ؟ فأدم لا يملك شيئا

_ هذا هراء إذا أصبح آدم من رواد الأعمال ونوح إن ورثه سيكون لك حصة بهذا

_ كيف ؟

_ أنتِ لم تنجبي بعد من آدم أي طفل وهذا خسارة كبيرة لك ألم تري أن اسمه بدأ يلمع كالنجم وأنه تربع على عرش الإدارة بدلا من أخيك يونس وأن دل على شيء دل على أنه ذكي وسيصبح رمزا في إدارة الأعمال

_ لا أعتقد أنه سيجنني مالا أكثر مني

نظرت إليه بتخوف ورعب : هل سيفعل ؟

_ إذن أنتِ لا تعرفين آدم حق المعرفة أنه شغوف وأن أراد الحصول على شيء سعى لذلك مهما كلفه الأمر، أتعلمين أنه اشترى القصر الذي تسكنان فيه ؟

دهشت سيلين لسماع ذلك : كيف ؟ مستحيل أنه باهظ جدا كيف استطاع شراءه ؟

وقف الطبيب وذهب نحوها واقترب إليها من خلف ظهرها وهمس بأذنها : إذن فأدم يجلس الآن على ثروة كبيرة لا أحد يعلم كم تساوي

_ أيعقل ؟

_ سيدتي قصر كذاك الذي يفكر في شرائه يكون من أصحاب الأموال فعلا، إذا سألتيني هل باستطاعتك شراء ذلك القصر ؟ أقول لك نعم ولكن بعدها سأعلن إفلاسي، لذلك نوح سيكون هو الورقة الراجعة لتجعليه يعتمد عليه مستقبلا بجميع أعماله وحاولي إبعاد طفل القادم عن عالم الأموال وتلك الشركات لأن إن فضح أمره فلن يستطيع ولن تستطيعي الحصول على قرش واحد ولكن إن ربيتِ نوح وجعلته ذراعا لآدم سيفضل آدم أن يختار طفلا رباه وهو يعلم أنه ليس والده على طفل رباه من زوجته الخائنة، فحاولي ضم نوح إلى صفك واهتمي به كثيرا لأنه سيكون الطريق الوحيد لكِ في حال انقطعت السبل

فكرت سيلين للحظات فوجدت أن كلام الطبيب مقنع : إذا أنت تريد المال لطفلك ؟

_ بكل تأكيد أريد حياة الرفاهية لطفلي وأريده أن يصبح أغنى الأغنياء نعم سيعيش لدي عيشة مريحة ماديا ولكن ليس برفاهية وستكون نفسيته سيئة لأن زوجتي لم تعد تتحمله، فولدي يحصل على المال وأنتِ ستحصلين على المال وسرك في بئر وستعيشين الحياة التي تريدينها وكما تشائين وكيفما تشائين

أعجبت سيلين لما قاله الطبيب في آخر كلامه أي أنها ستبقى مع جنيد ولم يكتشف آدم ذلك

_ حسنا اتفقنا حضرة الطبيب

ابتسم الطبيب وقال : جميل، جميل حقا

– الآن اسمح لي علي الذهاب

– تفضلي

– إلى اللقاء

بعد رحيل سيلين، اتصل الطبيب بآدم وأخبره بكل ما جرى، فرح آدم لنجاح الخطة الأولى له وأكمل على ذلك مع الطبيب، فوضعت سيلين طفلها الأول كنان أسمر اللون جميل الوجه بعينين عسليتين وأنف ناعم بارز وملمس وجه كالقطن الناعم، سارت الأيام بسرعة فأدم أخبر سيلين أنه وضع نوح في مدرسة داخلية لكي يعتمد على نفسه ويكتسب مهارات جديدة، وهو بالفعل لم يضعه بل قام بذلك لكي لا يحزن حنان وأن يبقى يربي في كنفها وأن يتربي تحت أعينها، وسيلين لم تكتف بأفعالها الشنيعة تلك بل تورطت بطفل آخر من جنيد وعلى خطى الخطة التي رسمها آدم مع الطبيب، كان الهدف من تلك الخطة أن لا تشك في سر عدم إنجابهما للآن فقرر أن يمنحها أطفالا ولكنها كانت في مستوى كبير من الدناءة فلم يستطع أن يفكر حتى أن ينجب تلك الأفعى أطفالا يرثون جل عنائه، ونجح الطبيب جو في ادعاء مساعدتها وجعلها تثق به ثقة عمياء، فأنجبت طفلا يصغر كنان بعام أسمته رسلان وكان يشبه كنان لحد كبير لم يتدخل آدم في تسمية الأولاد لأن ذلك لم يعنه أبدا ولم يهتم لذلك، كان منشغل مع عائلته الحقيقية، ولم يكثرث يوما لما تفعله أو ستفعله، فقد كان منشغلا أيضا بإنجاح أعماله واتساعها

فكبر مكتبه وأصبحت شركة آل صادق للمقاولات شركة عملاقة تنافس محليا وعالميا، فبعد خمسة عشر عاما استلم نوح إدارة شركة آل زيدان ودخل المجال كالأسد كما فعل والده، فقد ورث الذكاء والحنكة والصبر من

والده كانت سيلين تشاهد أن كل شيء بحياتها يجري بشكل المطلوب
فكل من آدم وسيلين عاشا طيلة حياتهما بحياة مزدوجة، واضطر نوح
لأن يعيش أيضا حياة مزدوجة فأخته سيلفيا لعبت دور زوجته فقط لتبقى
في منزل أبيها مراقبة ما يحصل بعد زواج كنان ورسالن فأصبحت العائلة
كبيرة وصارت أيضا تعيش حياة مزدوجة، فقط ليتمكن آدم من شراء أملاك
آل زيدان كلها ولكن لم تكن حياتهم صعبة أو يوجد بها حقد وكرهية فكان
آدم وحنان أسعد شخصين على هذه الحياة وكان أبناءهما نوح وسيلفيا
يحرصان على عمل لم شمل العائلة نهاية كل أسبوع فتتعالى الضحكات
والابتسامات وما زاد الفرحه أكبر وتوسعت عائلتهم الحقيقية أكثر زواج نوح
من فتاة جميلة شقراء تدعى سارة، وازدادت سعادة الأسرة عندما تقدم
محامي المعروف في شركة آدم لخطبة ابنته سيلفيا وازدادت الفرحه أكثر عند
حفل زفافها فالفرحة لم تقتصر على ذلك وحسب فحنان فاجأت الجميع
وأنجبت طفلة جميلة أسمتها هديل، وغمرت أيضا سيلين سعادة أخرى
بزواج ولديها من ابنتا الطبيب جو، وكانت تلك خطة آدم منذ البداية فبعد
ما عرف أن ابنتيه كانتا متزوجتين ومصابتين بالعقم ولم تكن تعرف سيلين ما
خطط له آدم إذ كان عقاب كنان ورسالن أن لا ينجبان أطفالا يرثونهما وأن
يعيشا طوال حياتهما يشعرون بعقدة النقص، ولأنه اكتشف أن سيلين قالت
لهما من هو والدهما الحقيقي وأن وجودهما هنا في هذا القصر فقط من
أجل المال، بقيت الأمور على حالها لمدة خمسة أعوام إلا أن سمعت سارة
_التي لعبت دور الخادمة بجدارة في ذلك القصر فكان عملها ينتهي ظهرا
وتذهب إلى بيتها عند أطفالها، وكانت مهمتها أن تراقب وتسمع ما تتكلم
به سيلين، وكانت السبب الرئيسي في نجاح خطة آدم بالإستولاء على الشركة_
سيلين تتحدث إلى جنيد عندما كان القصر خاليا لم يتواجد به أحد فنزلت

- سيلين إلى الكراج والتقت جنيد خلصة فقال لها : أظن أن زوجك متزوج
 _ ماذا ؟
- _ نعم متزوج رأيتته ممسكا بيد امرأة في أحد المطاعم الفخمة
- _ أحقا ما تقول ؟
- _ أجل
- _ هل استطعت رؤية وجهها ؟
- _ كلا ولكن شعرها أسود طويل ترتدي وشاحا على رأسها وكانت تجلس
 مقابل آدم ووجه هو الذي كان أمامي
- _ ربما علاقة عابرة ؟
- _ كلا كلا انتبهت كانت ترتدي في أصبعها خاتما
- _ أنها مصيبة إن صح ذلك
- _ لماذا ؟
- _ إن أنجب منها أطفالا ستكون مصيبتنا فأولاده سيرثون وسيحرم
 أولادي
- _ يجب أن تكتشفي وتتطلقي منه في الحال وتجعلين والدك يطرد ذلك
 المحتال من إدارة أعماله خارجا
- _ هذا الذي سيحصل
- _ لكن أنت كيف عرفت ؟
- _ أنا أعمل غاسلا للصحون في ذلك المطعم وأنا خارج لألقي القمامة
 رأيتهما

_ حسنا ربما يرجعان مرة أخرى حاول أن تراها لكي أقبض عليه متلبسا
_ سأفعل سأفعل

بعد معرفة آدم لذلك الحوار الذي دار بينهما عندما أخبرته سارة
باجتماع العائلة ، أحس بالخطر وتبدل لونه ففك ربطت عنقه وفك أزرار
قميصه وبدأت نوبة الهلع وتزايدت ضربات قلبه، حاول نوح تهدئته
وجلبت له حنان كأس من الماء وقالت : هديء من روعك بماذا تفكر الآن ؟
اقترب إليها ووجهه مليء بصفعات الموقف وهزها : يجب أن نتحرك
قبلهم أسمعيني! يجب أن نتحرك قبلهم يجب ذلك !
خاطبه نوح بهدوء: أرجوك يا والدي أخبرني ما الذي يقلقك من الذي
قالته سارة؟

حك رأسه وتلمظ وعظ شفتيه كاد أن يأكلهما وقال : مجرد شكهم
خطر كبير
_ كيف ذلك يا والدي ؟

_ إذا أخبرت والدها سيحقق في الأمر ولن يترك الأمر إلا أن يعرف من
هي تلك الفتاة التي كنت أمسك يدها وليس هذا وحسب وعلى أصبعها
خاتمًا !

_ يجب أن تعلم أن تلك المرأة ليست زوجتي
_ كيف ؟

نظر آدم إلى حنان وعينيه مليئا الدمع : أتذكرين حين قلت لي أن من
الممكن أن ننفصل لأجل إكمال ما بدأنا به ؟

رجفت وعيناها أغرقتنا من الدمع ووضعت يدها على فمها وهمست

بصوت شجي : نعم

_ حان الوقت يا زوجتي الحبيبة

_ لا أرجوك لا

_ سامحيني يجب فعل ذلك لا أريد أن نرجع للصفر بدايتنا

اقتربت منه وهزته راجية متوسلة : أرجوك دعها تكتشف وتعرف

وتطلقا ودعها تذهب للجحيم أنت لديك أعمالك الخاصة وتجني مالا وفيرا

إذن دعهم وشأنهم أرجوك لا تعكر صفو أسرتنا وتفرق شملنا

_ أنا أقسمت أن ...

صرخت غاضبة وكسرت جميع الصحون على الطاولة : اللعنة عليك

وعلى ذلك القسم، لقد تزوجت تلك الحقيرة ولم أقل شيئا وسرت وراءك لكن

الآن كفى لن أسير وراءك هيا ابتعد من أمامي

بدأت تضربه بلطف كانت لا تستطيع إيذائه لأنها تحبه من كل قلبها،

حاول تهدئتها ممسكا كتفها رفع رأسها جعلها تنظر إلى داخل عينيه كان

يعرف نقطة ضعفها جيدا _ كانت تلك العينين _، ولم تكن تستطيع أن ترى

تلك العيون تلمع لها ولا تلبى نداءها، عشقت زهرة عباد الشمس فقط

لأجل عينيه لم تستطع فكل مرة تحاول أن تُمانعه تهزمها تلك النظرات وتلك

العيون، هدأت بعد أن أطالت بِنَظَرٍ إليهما كأنهما كانتا الدواء لحالتها

والمخدر لجرحها كانت تلك العيون رصاصة الرحمة بالنسبة لها !

_ أهدي أرجوكِ

تكلمت بهدوء وسلمت أمرها له كعادتها : هيا قل لي ما الخطة

ضحك الجميع واثموا حولها وأغرقوها بالأحضان وقالوا لها بصوت مرتفع : مشكلتك يا أمي الحبيبة صعبة الأفاع

فقالآ سارة مداعبة : كلا إنها عينا عمي الحبيب لا تقاومهما

عمآ الضحكات فقطاعها آدم : والآ سآذهب حنان إلى نفس المآعم مصطحة هديل معها وستمآلين أنك تبكين وتنوحين على تري إياك وأن ليس لك مكان آذهبين إليه بعد الآن صاحب الشقة طلب منك إخلاء الشقة بعد ثلاثة أشهر من الآن وستظهريآ له أنني شخص وضع بقينا على علاقة لمدة خمس سنوات

قال نوح : وهل سآبكي وتنوح في مآعم كذاك وهي ليس معها آمن دفع الإيجار؟

ضربه آدم مداعبا : انظر لذلك الفآي يرسم الخطط بالذكاء الذي أورآته إياه !

ضحك نوح : لا اقصد يا أبي أسف لذلك

أكمل آدم : فقرة النواح والبكاء لن تكون إلا بعد ما آآأكد أنه سيرانى وسأحرص أن ألمح لسيلين أنني ذاهب إلى المآعم لكي تخبره بمراقبتي وسأصرخ بوجه حنان وأطلب منها عدم الآآآ معى أو محاولة الآآصال بي _ بعدها ؟

_ بعدها، سيحاول يعرف من هي تلك المرأة وسيأتي للآآلم معها وستشكي له همها وآصبحان صديقين لكي يطمئن أنك صادقة

_ حسنا

تم الأمر بنجاح وحدث مثلما توقع واستأجر لها شقة في عمارة في قرية بعيدة عن المدينة والقصر الذي توجد فيه سيلين وكانت تلك الشقة العيب الوحيد فيها أنها توجد فيها قبوا مخيفا مغلقا ولكن مكانها مناسباً جداً، فبعد أسبوعين من تلك الخطة بنجاح تكتشف حنان أنها حامل وهي في هذا السن إذ بلغت قرابة الخمسين من عمرها، حاول آدم أن لا يشكل ذلك الموضوع لديه عائقاً لأن جنيد بدأ يعجب بحنان كثيراً فصدق جرس الحب لها ووقع في شباكها كما فعل آدم منذ سنوات، فشعر حينها أن وضعه وحالته لن تقبل به أي فتاة وأن عمره أمضاه كله في الحرام والمملذات فعرض عليها الزواج فأخبرته بأنها حامل ومن شدة تعلقه بها لم تكن لديه مشكلة، ولحسن حظه لم يفصح عن هوية الفتاة لسيلين فقال لها إن تلك المرأة لم تكن سوى والدته لأنهما عادا وشاهد أنها امرأة كبيرة في السن وان شكوكه كانت باطلة، لم يقل الحقيقة منذ البداية لأنه شعر أنه وقع بحبها من أول نظرة، وربما شعور النقص لديه بأن يرتبط بفتاة كانت تحب شخصا غنيا وذو مكانة فتترك حبه وتبدأ بحبه هو

فعند عرض الزواج قالت : انتظر حتى أضع حملي

_ لا مشكلة سأنتظر

وحدث أمر لم يكن في الحسبان أيضا فقد اكتشفت سيلين حملها ولكن هذه المرة لا تعرف من أي واحد منهم، فرحت كثيرا لأنها لربما الآن وجدت لنفسها وريثا حقيقيا فذهبت وأخبرت آدم بذلك، بدأت عليه علامات الاندهاش وقال لها : ألم تأخذي حبوب منع الحمل ؟

_ كلا لقد نسيت أخذها

أغمض عينيه متحسرا وقال في مظط : مبارك زوجتي الغالية ولكن

حملك الآن أليس سيئا على صحتك ؟

_ لا، لا تخف أنا كالحصان لن يحدث أي شيء لا تخف

أحس من كلامها وعدم خوفها مثل السابق أن ذلك الطفل منه وأنها فقد أخرجت لها وريثا حقيقا ولو كان في ذلك الحمل خطرا على حياتها أو تهديد لصحة الجنين

ذهب آدم لتكلم مع الطبيب جو وأخبره بالوضع الراهن

_ آدم الوضع بدأ يتعقد حمل حنان خطر وحمل الأخرى أيضا خطر

_ أعلم ذلك ولكن المشكلة أن سيلين طفلها مني

_ حقا ؟

_ نعم، لم تسعها الفرحة عندما اكتشفت حملها

_ بكل تأكيد حصلت على وريث بحال ساءت الأوضاع، لكن لا تقلق

هي ليست متأكدة من مَنْ هو تحديدا هي محض توقعات وآمال منها

_ صحيح

نظر الطبيب جو إليه مرفوع الرأس والحاجب وقال بعجرفة : مهندس

آدم لست وحدك من تضع الخطط هنا

_ لم أفهم ماذا تعني ؟

_ ستنجب سيلين تقريبا بنفس موعد حنان وأنا سأحاول أن أدخلهما

بنفس الموعد إلى المشفى، ستقول حنان لجنيد لا تأتي فأختي بالرضاعة

قادمة من المدينة ولا أريدها أن تراك وهو بكلتا الحاليتين لن يأتي خوفا من

أن تراه سيلين أو يراه إحدى عائلتها ويروحونه ضرباً وأنا من باب الاحتراز سأعطي أمراً للأمن بعدم إدخاله

_ جميل، بعد ذلك ؟

_ فيما يخص حنان ليست هناك مشكلة ولكن سيلين سنأخذ أهم الاحتمالات : موت الطفل لن يشكل مشكلة كبيرة، أو ستموت الأم وهذه أسعد لحظة سنعيشها، وأخيراً الولادة الطبيعية دون أي مشاكل فتعاملنا سيكون مع الحالة الأخيرة أننا سنقول لها إن طفلك قد توفي وهكذا نكون انتهينا منها ومن طموحاتها، وستأخذ الطفل وتربيته عند جدته

صفق آدم له بحرارة : منذ متى ترسم الخطط من أين لك كل ذلك ؟

_ أرايت لست وحدك الذكي هنا

_ الحق يقال فقد أبهرتني

المواقف السيئة لم تنته إلى هذا الحد فقد تبين في فترة الحمل أن حنان حاملة بتوأم ليست هنا المشكلة بل تكمن في أن الطفلين ليسا سليمين لن يولدا بكامل صحتهم، لن تستطيع حنان إنزالهما لأن خلقت فيهما الروح استناداً لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾

استودعت حنان مصيبتها عند الله فجاء اليوم الموعود فسيلين طفلها لم يستطع النجاة وحنان أنجبت طفلين_ " يحملان أعين عباد الشمس " _

غير مكتملي النمو فواحد منهم لا يملك يدين والآخر لا يملك قدمين، في هذه الحالة اقترح الطبيب جو أن يعطي الطفل الذي لا يملك قدمين لنوح وسيلفيا على أنه طفلها

وطفل سيلين سيقول لها الحقيقة بأنه توفي فهو أخبرها أن ولادتها بجميع الحالات ورادة فلا تنصدمي بعد ولادتك وأرضي بنصيبك، ففعلا فعل ذلك الطبيب جو بعد ما أخبر حنان وآدم وأن ذلك هو الأنسب لكي لا يشعر جنيد بثقل الحمل عليه، فأشادا على صواب رأيه وأضاف إليه آدم أن سيلين يجب أن تعرف أن الطفل الذي سيأخذه نوح هو ولدي و أنني أداري على مصيبتني، تفجأت حنان والطبيب فرد على تساؤلاتهما قائلا : ستعرف لكن لن تعرف من هي والدته الحقيقية ودعنا نجعلها تشك بسيلفيا أنها تخون زوجها معي وأن هذا الطفل طفلي وليس طفل نوح، وستخبر حنان جنيد بأنها رزقت بطفل ليس سليم البنية لا يملك يدين

جنيد بعد ما عرف قرر أن يخبر سيلين ولكن بالسيناريو الذي يريده فقرر أن يخبرها بعد شهر لكي يستطيع رؤيتها وجها لوجه لأنها الآن مشغولة بين أهلها، فأخبرها بعد انقضاء ذلك الشهر، أن آدم اعتدى على امرأة وشاهدها على الطريق مرمية فساعدها وتلك المرأة أرملة زوجها متوفٍ منذ خمس سنوات وليس لها أحد فأوصلتها إلى منزلها لأن ابنتها وحدها في المنزل وكانت قلقة عليها، أصابني الفضول فذهبت لأرى ماذا حصل هل ذهبت إلى المشفى فكانت في حالة يرثى لها اكتشفت المرأة المسكينة حملها من ذلك المتوحش الوضع، انهارت باكية وحملها في هذا السن غير مناسب لصحتها وبمن ستنسب الطفل، أردت أن أعرف كيف تعرف عليها فشعرتها بالثقة وسحبت الكلام من فهمها وعرفت أنه أوقع بها وأغراها بعمل ضخم سيضمن حياة ابنتها لآخر يوم في عمرها، فذهبت إليه عند أحد مكاتبه عصرا لترى ما هي طبيعة العمل التي ستدر عليها مالا وفيرا، وإذ به يغلق الباب عليها ويتركها محبوسة في الداخل ليكمل أعماله القذرة ويرجع ينهي عمله عندها ليلا وحدث الذي حدث، وعندما اتصلت بي أخبرتني أنها رزقت

بطفل ليس سليم البنية لا يملك يدين

ذهلت سيلين بعد ذلك السيناريو المحبوك بإتقان وقالت : ذلك اللعين الذي يتباهى بالمبادئ الرنانة وقد شق طبلة أذني نصفين على كونه الإنسان السوي الذي لا يخطئ، وكل ذلك فعله!

_ وما خفي أعظم

_ يا إلهي، هو يرتكب الحماقات وأنا من هي التي تدفع الثمن، مغفلي ألا يستطيع كبت نزواته أحق !

_ نعم ما هذا الانحلال الأخلاقي الذي وصلنا له !

_ صحيح

_ ما الخطة الآن ؟

_ يجب أن تتزوج من تلك المرأة

_ مَنْ أنا ؟

_ نعم

_ لا لا يمكن لا أستطيع

_ أسمعني تلك المرأة لن تقدم دعوى ضده بل ستفضل السكوت لأنها لن تواجه رأسا كبيرا وحدها وبالأخص لديها طفلة ستضحي لأجلها وستفضل خيار الصمت، ولكن إن تزوجتها وربيت طفليها وأثبتنا أن الطفل لآدم يكون وريثا شرعيا وسيرث وسيصبح صاحب أموال وأنت بدورك ستلعب دور الأب المسكين لتأخذ منه كل أمواله فهو شخص عاجز لا فائدة منه، فأنت ستعتني بوريت ملايين فلا تفرط به

_ يا لا عقلك المدبر يا عزيزتي

فرح جنيد لأنه استطاع خداع سيلين وجرها لأن تعرض عليه هي ذلك
الطلب، فذهب مسرعا وعرض على حنان الزواج مرة أخرى فوافقت هي
بدورها واتفقا على أن يكون بعد شهر من الآن .

أزال آدم الغبار عن كتفه وسحب أنفاسه منتصرا، فرك يديه وأدار
ظهره وقال لسيلين والدمع ينهمر من عينيها : أرايتِ يا زوجتي السابقة
العزيزة ظننتِ نفسك ذكية و أنك ستمارسين خياناتك وتبقيين في القصر
تأكلين وتشربين من مالي وترثين أولادك وتعطين المال لحبيبيك ذاك !

لكن مع الأسف عند أول خرق للسفينة سعدوا على قارب النجاة
وتمسكوا بي فضلا عن الغرق

نزلت سيلين على ركبتيها والدموع ملاً تجاعيد وجهها صرخت وهي
تضرب بكلتا يديها على أرض ذلك القبو : أنت كاذب أنت تكذب أنا لا
أصدقك

ضحك آدم باستهزاء : يا امرأة أنتِ غبية أم ماذا ؟

_ أنت كاذب لا أصدقك

_ صدقي، صدقي حتى النائب كمال أنا أعرفه منذ عشرين عاما كنت
أراه والتقي به وكان يأتيني إلى متجر الكتب كان يدرس المحاماة بنفس
الجامعة التي كنت بها والتقي مع العم الطيب، وجنيد في المحكمة فضل
الصمت لكي يستطيع المحامي ببرااعته تخليص سالم وتخليص جنيد بأقل

العقوبات، واليوم هي الجلسة الثانية اعتقد أنها بدأت للتو

كادت سيلين أن يغمى عليها اقتربت منه وملابسها مليئة بالخبار هزته بكلتا يديها وصرخت حتى تقطع صوتها : ماذا سيحصل قل لي ماذا سيحصل؟

_ قبل أن أقول لك ما سيحصل دعيني أخبرك قليلا عن غدر ولديك بعد ما أخبرتك بغدر والدهما

وضعت يديها على أذنيها وتوسل لآدم أن يصمت وألا يتكلم فهذه الطعنة لن تتحملها فهي سعت أن يحصل على المال والسلطة وعند أول عثرة قد باعاها

_ لقد ساعدك للقاء كمال وجعلتهما يتبعانك جيدا لأعرف أين وضعت أموال الممنوعات تلك التي أدخلت سالم بها السجن واتهمه محبوبك زورا وظلما فجلبا لي رمز الخزنة وها هي كل نقودك معي، وولدك عندما تذهبين للسجن سأعطيها ما وعدتهما به وسأبقيهما عندي لأجل صديقي جو ليس لأجلك وسأحرمهما من الميراث لأنهما ليسا ولدي وأخبرت جو بذلك ولكن سأساعدهما وأنا حي أرزق ولن أتركهما فهما بنهاية المطاف تربيا من خير الشخص الذي كنتي تستهزئين به طول الوقت وتباهين أن البيت الذي نسكن به الآن هو من أموالك وخير والدك

اقترب منها ووضع يده على كتفها وقال : أنا أملك الآن كل شيء والشركة التي كان والدي يهان بها لي كلها لي

_ هذا مستحيل أنت تقول ذلك لكي تجرحني أكثر أنا أعلم ذلك ابتعد

عني

_ أوه ! أنا لم أخبرك أن يونس باعني المنتجع وشركة وبعد فترة وجيزة
سافر خارج البلاد

_ كيف هذا ؟

_ دعيني أخبرك أقسم أنني لن أبقى شيئاً في خاطرك

أكمل بضحكات ساخرة : سارة لعبت دور الخادمة بحرفية ولعبت هي
ونوح دور البطولة بجدارة فتلك الخطة راودتني عندما رآك نوح تلتقين
بذلك المعتوه خلصة وبعين تملؤها الوقاحة في " كراج " منزلي، وقد نظر إليك
بطريقة يوضح لك فيها أنه علم بخيانتك ولكنك الشخص الذي رباه قرر
بطيبة قلبه أن يخفي الأمر عني وأن لا يخبرني فأنت الأم المصون التي رعته
_ ولو أنك لم تقومي بعمل شيء فهو بالكاد دخل على ذلك القصر _ فكان
تمثيلاً متقناً ودخل نوح السجن بضيافة النائب كمال

_ لكن كيف أصبحت الشركة لك ؟ ولم تكن أنت المالك عند التوقيع

_ لم يكن أنا فالعم الطيب هو من وقع وأصبحت الشركة لنا فهو
شريك القانوني واستطعت إقناع يونس الذي يملك أربعين في المئة من نسبة
الشركة ؛ لأن والدك عرض علي شراء أسهم في الشركة وظن بذلك أنه استطاع
حجزني ومنعي من إنشاء أعمال خاصة بي ولكن هو لم يعرف أنه أعطاني
ورقة ستكون القاضية عليه وعلى أبنائه

_ ذلك الطاهي اللعين خدعني أيضا !

_ ذلك الطاهي الذي تصفينه باللعين استرجع له القدر حقه مضاعفا
وشاهد على مرأى عينه انكساركم وتشتتكم وكان هذا أهم عنده من
الأموال التي تدخل له، هناك كرامة المرء التي لا تشتري في المال

_ وتلك المكاملة ؟

_ أي مكاملة ؟

_ التي كنت تصرخ بها

_ لم أتذكر ؟

_ تلك المكاملة التي كانت عند الفطور ما قبل الكارثة التي بعدها لم

نر خيرا

_ تذكرت، تقصدين عندما أغلقت حنان على سالم الباب

_ أجل ؟

_ لقد كانت من ضمن الخطة فلن تعامل سالم جيدا لأنه عبء عليها

ويذكرها بحادثة الأيمة ،عندما كان يبكي بسببها تبكي ويتقطع قلبها عليه

وتتصل بي وتخبرني أن ذلك لا يجوز فهو لا ذنب له، فكانت تلك المكاملة

مزيفة لأنني أعلم أنك تحبين الوقوف وراء الجدران كثيرا

_ وغدا!

_ رأيت أنا أذكي مما كنتي تتصورين

_ إذن من ذلك الطفلين اللذين رأيتهما عندما ذهبنا لبيت سارة ؟

_ ألم أخبركي أنهم أحفادي، أليسا جميلين؟ ولدي حفيد آخر لم أستطع

أن أجعله يستهزأ بك لم يسعفني الوقت كنت أمل أن أجعل كل مَنْ مِنْ

نسلي يخدمك

رفعت رأسها للأعلى وأغمضت عينيها : شعرت عندما رأيت ذلك

الطفل ذا العيون الذهبية أحسست بشيء غريب كانت تلك العيون هي

العلامة الفارقة يا ليتني ركزت قليلا لاستطعت فكَّ الشيفرة الوراثية لديك
لعلت من هو من نسلك من لا، فكأنك فقط لا تورث لأولادك سوى تلكما
العينين

صرخت مرارا وتكرار : اللعنة على تلك العيون، اللعنة على عبّاد
الشمس اللعنة عليها اللعنة !

_ سيلين انتهت دورك الآن وضعتك هنا كي لا تهربي خارجا وتناين
جزاء العادل من خيانة وحيازة، ها قد انتهى أمرك حقا

_ كلا كلا أنت تحلم أنك انتصرت

_ انتصرت صدقيني، فأستطيع الآن أن أقول لك كما يقول الإنجليز :

“OUT”

جاءت الشرطة وقد داهمت المكان ونزلت للقبو بعد ما أعترف جنيد
أن المخدرات ليست لسالم بل إنها لسيلين وهي هددته إن لم يقل ذلك
ستضع كل أموالها بتدمير مستقبل هديل وحنان وتشريد عزيز مجددا،
فأستطاع المحامي أن يبرهن للقضاء أن سالم بريء وليس له علاقة بجنيد
وقرر أن يضحى به لأجل إنقاذ عائلته، التي يظنها الجميع عائلته وهي
ليست كذلك فعندما سأله القاضي كيف ربيت سالم وهو ليس ولدك أجاب
أن صديقه رآه ملقا على حافة الطريق وكان الجو شديد البرودة فأخذته
عائلته تربيته وترعاه، لم يقل المحامي عن ماضي آدم ولا ماض سيلين فقام
بالاستعانة بالشهود وكاميرات المدرسة والمراقبة ليثبتوا تحركات سالم فأنهاى
القضية على رمتها دون كشف الماضي، فحكم القاضي بالإفراج عن سالم وأنه
بريء من تلك التهم الموكلة إليه، رفعت بعدها حنان قضية طلاق على جنيد
وأخذها آدم هي وسالم وهديل معه للقصر لكي يوفر لهما جميع سبل

الراحة ولكي يعوضهم عن سنوات البؤس والشؤم، كان سالم في حالة نفسية محطمة للغاية يسأل نفسه مرارا وتكرارا : لماذا؟ هل أنا أستحق كل هذا ؟

تركته العائلة يصارع أفكاره وحده دون الضغط عليه، وليس هو فقط من يمر بحالة نفسية صعبة بل سيلين تمر بظروف نفسية قاهرة أقسمت على نفسها أن الحرب لن تنتهي هنا وأن التاريخ لن يسطر انتصارا مطلقا لآدم ولن تكون الحياة ذا نهايات وردية ولن يختم للبطل أن يعيش بعد انتهاء القصة حياة سعيدة ولن يموت الشرير دون أن يأخذ شيئا من تلك السعادة، فأخبرها محاميها بكل ما جرى داخل المحكمة وعرفت أن سالم ومرسال لم يعرفا أن والدهما الحقيقي هو آدم، فتعاون المحامي مع خادمة في القصر أن توصل لسالم رسالة وأخصت سالم برسالة لأن معاناة سالم كانت في هذه الحياة كانت أكبر وأتعس والخذلان أحاط به من كل جانب، فنجحت بذلك وكتبت رسالة فحوها :

عزيزي سالم لم تكن سوى دمية:

أعلم أنك تعرضت للخذلان يا بني كثيرا وأعلم كم جرح خاطرك وكسر قلبك، ولكن أظننت الذي مررت به خذلانا؟ أنت تعلم، دعني أقل لك إن كل ذلك لم يكن أوهاما فمن الذي خذلك؟ شخصا عابرا قام بتربيتك، فخيانتك لك واردة لأنك لست من صلبه، لقد صدمت وصعقت من خيانتك ودخلت بحالة نفسية صعبة أفقدتك كلامك ظنا منك أنه والدك، ولكن الآن لربما هدأ قليلا قلبك وبدأت تقنع نفسك بأنه لم يكن والدك فهو قرر أن يحمي عائلته الحقيقية، لكن مع الأسف لقد تم خداعك هذه المرة كسابقاتها، فحنان وهديل عائلتك وليست عائلة جنيد، أضدمت لما قلته؟، أبقى قليلا من عقلك للذي سأخبرك به الآن، فآدم هو والدك الحقيقي

وحنان هي والدتك ومرسال هو تؤامك وشقيق روحك وأملك أمعن النظر بآدم ستري فيك نفس عيونه!، ستتساءل لم كل ذلك؟ لم عشت حياة ليست بحياتك؟ وتعرضت لمعاملة قاسية من أقرب الأشخاص إليك، نعم يا صغيري أنت كنت لديهم مجرد أداة ووسيلة للوصول إلى الثروة والأموال جئت لهذه الحياة لتبلي مصالحهم وترحل، أرايت؟ هل هذه عائلة ستكون لك جناحا من الأمان؟ هل ستكمل حياتك معهم؟، كلا سيتخلصون منك فأنت انتهت صلاحيتك ولم تعد ذا جدوى بنظرهم شخصا عاجزا وضيعا لزرجه لمكانه المناسب، حينما تحين الفرصة ويهدأ الجو وتسير الأمور بشكل السليم ويشعرون أنهم حققوا مرادهم أول خطوة سيتخلصون منك أنا أعني ذلك، لا أعلم ما الطريقة، سيرمونك في الشارع، سيطردونك، سيرسلونك إلى دار الرعاية لأنك شخص غير سليم مشوه أحمق بنظرهم عديم الفائدة الآن، فاحذر أنا قلت لك لكي تحذر منهم، لأنهم لا يفكرون إلا بأنفسهم وحسب، لذا سأقف بجانبك وسأساعدك لا تقلق فأنا أشعر بك، ثق بي فأنا أعرف طريقة لإخراجك من عالمهم الوضع والمليء بالخبت.

ارتج سالم سقط عن الأرض تسارعت ضربات قلبه حاول النهوض مرارا وتكرار قرأ الورقة مرة أخرى وعيناه تنزف، يكذب ما قرأه يربط الحقائق ببعضها رأسه بدأ يؤلمه أحس أن قلبه ينزف وأنه تكسر لأشلاء، وهو في تلك الحالة الهستيرية طرقت هديل الباب وقالت: أخي هل لي أن أدخل؟

أسرع سالم وخبأ الورقة بقدميه، فقال لها: ادخلي ادخلي

رأته يتصبب عرقا ووجه أحمر منقبضا على نفسه، خافت عليه وسألته بصوت راجف خائف: أخي هل تشعر بألم أخبريني هل حصل شيء؟

_ كلا اذهبي أرجوك أريد البقاء وحدي

_ لكن يا أخي !

صرخ في وجهها لأول مرة في حياته : ألم تسمعي ما أقول قلت لك
أخرجي الآن

تفاجأت من غضبه ذاك وصراخه فتركت الغرفة مكسورة الخاطر
وخائفة عليه ذهبت وأخبرت والدتها بما يحصل

_ أمل أن يكون بخير فالذي حصل معه ليس بقليل

_ أمي ولكن أنا أشعر أن هذه المرة غير تلك المرات

_ لماذا هذا الشعور ؟

_ أمي هذه أول مرة يصرخ سالم في وجهي

_ بنيتي أخبرتك ما مر به ليس بقليل يجب أن نتركه

_ لا يا أمي لن أتركه أبدا

_ أخاف أن تزداد حالته سوءا إن بقينا نلح عليه ونضايقه

_ ولكن يا أمي !

_ ابنتي كوني قريبه منه ولكن بالقدر الذي هو يريده ربما يريد

الاختلاء بنفسه

_ لكنني أخاف أن يصيبه شيء

_ غدا سأخبر الطبيب أن يأتي ويفحصه لا تقلقي

_ حسنا

أدخلت حنان أطفال نوح الصغار إلى غرفة سالم، لأنها تعرف أن سالم

قلبه طيب لن يكسر بقلب طفلين صغيرين بدأ يسألانه ويخاطبانه بالعم،
شعر سالم أنه أحبهما وأحب وجودهما ولكنه لم يكن يتفاعل معهما ولكن
وجودهما كان يريحه حقاً، بدأ يفتشان بأغراضه ويداعبان سالم كانا يظنان
أن سالم يلاعبهما ويخبئ يديه في مكان ما فقد قالت لهما حنان أدخلنا وأبحثنا
عن يدي عمكما سالم وكان سالم يبتسم عندما يرجوانه أن يخرجهما وأنهما
يبحثان في القصر لأيام عنها، ضحك سالم كثيراً، فشاهدته هديل وملاً السرور
يتدفق من وجنتيها أمسكت يدي أمها وشكرتها على هذه الفكرة، دخل
مرسال ليشاركهما مزاحهما

_ إذن أرجوكمَا ابحثنا لي عن قدمي لا أستطيع إيجادهما

ضحك الصغيران وقالوا : سنعثر على يدي العم سالم أولاً

ضحك سالم ومرسال على براءة الطفلين وتمنيا أن لو كل العالم مثل تلك
البراءة لا يلوثها أحد ولا يدسون السم بها

_ أتعلمان أيها الطفلان شيئاً ؟

_ ماذا يا عم مرسال ؟

_ أقلت لكما أن عمكما سالم يملك صوتاً جميلاً ؟

_ أحقاً ؟

_ أجل

أمسكاً معطف سالم وتوسلاً إليه أن يغني لهما : أرجوك يا عم غني لنا
أرجوك

ابتسم سالم وبدت عليه علامات الحزن ورفع رأسه للنافذة وحدق

بزهرة عبّاد الشمس: سأغني لكما عندما تجدان ذراعي !

استغرب مرسال من كلام سالم وأنه لم يتوقعه قول ذلك، مرسال أحس بشعور غريب، قبض قلبه واهتز صدره لذلك

_ جدتي حنان، جدتي !

_ ماذا يا بني ؟

_ لم تجيبيني متى سيرجع العم السالم ؟

_ لا اعرف يا بني فهو لم يخبرنا

نظر آدم إلى حنان وقال لها في حسرة : كيف حال مرسال الآن ؟

تنهدت وأغمضت عينيها : لا أعلم بالكاد يأكل وبالكد يخرج

_ حاولي أن تخرجيه، حاولي أن تقولي له الحقيقة لم أستطع إخباره أنه

ولدي إلى الآن

_ حاولت أن أتحدث معه ولكنه لا يصغي لأحد يمسه فقط زهرة عباد

الشمس وجانبها رسائل ورق مبعثر

_ يا إلهي حالة تزداد سوءا

_ أشعر بالقلق عليه

_ لا تقلقي سنحاول إخراجه من دائرة الحزن تلك

_ آمل ذلك حقا

_ إن شاء الله

قُلب البيت رأساً على عقب لم يهدأ البيت من ثلاثة أيام فسالم مفقود ولا أثر له، حاولت الشرطة معرفة إن سافر خارج البلاد أم لا ولكنه لم يغادر، العائلة أصابها الذعر لم تذق طعم النوم والراحة طيلة فترة غيابه، هديل ومرسال بحالة هلع يرثي لها، حنان لم تتوقف عن الدعاء طول الوقت، آدم لم تهدأ اتصالات ومكالمات، نوح لم يدخل البيت وهو يبحث عنه

اهتزت هديل من مكانها لمع قلبها، صعب تنفسها تصاعدت ضربات قلبها نهضت من مكانها مسرعة مجنونة نزلت عن الدرج هلعة خائفة من خوفها لم تتحمل ركبتها فوقعت عن الدرج حاولت عائلتها فهم ما الذي أصابها ما الذي جرى لها كانت تجلس فجأة ولم يكن بها شيء، صرخت بأعلى صوتها : دعوني وشأني ارتجفت يداها وهي تحاول منع الجميع من لمسها، خرجت إلى الكراج قالت للسائق : خذني بسرعة إلى البيت القديم

_ ماذا ؟

حبال صوتها تمزقت إربا وهي تصرخ : خذني لبيت الملعون جنيد ذاك

_ حاضر حاضر سيدتي ولكن اهدئي

لم تعرف العائلة إلى أين ذهببت فضلت حنان وآدم اللحاق بها، ذهبا ليرتديا معطفا ليلحقا بها، اتصل آدم بالسائق ليعرف أين وجهته

_ أين أنت ؟

_ أنا يا سيدي ذاهب للمنزل الذي كانت السيدة حنان تسكن فيه

_ حسنا احترس لهديل ولا تدعها وشأنها

_ حاضر سيدي

وصلت هديل للمنزل وجدت الباب مفتوحا غير مغلق، ارتعبت كثيرا نزلت بالسرعة إلى ذلك القبو اللعين فتحت الباب ولم يفتح طرقت الباب بقوة نادى بكل قوتها نفس السيناريو يتكرر مرة أخرى بعد عشر سنوات، دعت كثيرا أن يتكرر ولا تحدث أحداث أخرى مخالفة، طرقت بكل قوتها : أخي أفتح إن كنت تحبني لا تفعل ذلك بي لا تقلقني عليك أعرفك تحب هذا المزاح أخي أرجوك لا تقم بذلك

أصفر لونها وجاهدت نفسها وهي تصرخ وتستغيث اختفى صوتها من الصراخ، نادى السائق وهي ترتجف والدمع ينهمر وصوتها بالكاد يخرج من النحيب : أرجوك أكرس الباب أرجوك

_ حسنا سيدي كما تشائين

فتح الباب ويا ليته لم يفتح، نزلت هديل على ركبتيها ونادت أمها وتقول لها : ليتك ربطته في السرير يا أمي ليتك ربطته !

معلقا في السقف يتدلى منه دماؤه، واضعا على سريرة رسالتين مع زهرة عبّاد الشمس الخاصة بمرسال، دخلت حنان وآدم ورأته والدماء من فمه تسيل رحل سالم، سالم رحل !

لا تبالي فستشفى الجراح

لا تبالي يا أخي فستشفى جراحك، لا تحزن على غيابي وكن قويا كما عرفتك، فأنا إن عشت سأعيش جسدا بلا روح لا تحزن لكي لا أتألم على فراقك، أنا أعتذر منك كثيرا لأني تركتك في هذا العالم أنا أعتذر لجبني أنا أعتذر لقله حيلي فأنا لم أستطع التحمل، هذه الحياة قاسية على أشخاص أمثالي، سامحني فأنت كنت الدرع الحامي والحرس المنيع، أنا أعرف أنني لا أستحق حمايتك لي، ربما لولا وجودك في حياتي لكنت أقدمت على هذه الخطوة قبل عشر سنوات، شكرا لوجودك في حياتي شكرا للوقت الجميل الذي منحتني إياه شكرا لأنك صنعت لي ذكريات جميلة اذكرها، فبدونها لن يكون عندي شيء لأتذكره سوى الألم والخذلان، علمتك أن تحب الحياة بحلوها ومرها، علمتك أن تنظر دائما للجزء المشرق وأن كل شر نعتقه في داخله يكمن الخير، علمتك أن تتفاءل وتقاتل، جعلتُ من صوتي مزمار للأمل لك فأرجوك لا تضيع تلك الأشياء، أنا الشخص الذي يقال عنه فاقد الشيء أفضل من يعطيه، كنت أقدم الأشياء بالطريقة التي أود أن تمنح لي، حافظ على ذلك الأمل يا أخي حافظ عليه لأجلي، كن بخير دائما فأنا هنا الحلقة الأضعف فأنا لم أستطع مواصلة المسير شيعتُ جنازة قدمي على رثاء يدي، أعنتني بأختنا هديل جيدا فهي طيبة القلب مثلك، لا تحزنها واحمها كما كنت تفعل معي فهي شريكة الأمي وطفولتي وأحزاني وملادي وأوصل لها حبي وسلامي فهي كانت عائلتي عندما كنت منبوذا كانت مخبأتي وملجأتي والحضن الآمن كانت لي كل شيء، قل لها هذا وقل لها أن تبقى مبتسمة مفعمة بالتفاؤل قل لها أن لا تبالي فستشفى الجراح

لا تبالي فستشفى الجراح
 وظلامُ الليلِ لن يطول
 وأنصتي في كلِّ صباح
 لصوتِ في الأعماقِ يقول
 كلما .. زارنا .. طيفُ حبٍّ لا ينام
 هزّنا .. زادنا .. أملاً لا يخشى الأيام

لا تبالي فستشفى الجراح
 وظلامُ الليلِ لن يطول
 وأنصتي ففي كلِّ صباح
 صوتُ في الأعماقِ يقول
 كلما .. زارنا .. طيفُ حبٍّ لا ينام
 هزّنا .. زادنا .. أملاً لا يخشى الأيام

تأسف لها كثيرا لأنها سألتني قبل عشر سنوات عن أحب الشارات إلى قلبي ولم أجيبها، كنت أود أن أكبر وأحقق حلمي وأسمعها إياها بنفسي وأفاجئها بها، لكن للأسف سأغنيها لها في أحلامها، تلك الشارة ستكون روعي الخالدة في قلوبكم ستسمعونها وستحيون ذكري، لم أملك شيئاً في هذه الدنيا ولكنني قررت أن أرثكم إياها لعلي أزيدكم أملاً وتفاؤلاً لعل ذكري تبقى بينكم لعلي أبقى حيا في صدوركم، احفظوها جيدا واسمعوها ستحتاجونها يوما ما أخبر أختي أنها كانت سبيلي الوحيد للحياة أخبرها أن

لولاها لكنت قد فقدت الأمل بأن أعيش حياة جيدة لذلك لم أبح بها، كانت تهزني إشرافا كنت أحتفظ بها لنفسي لأنها كانت أملي الوحيد في البقاء تحت ضوء التفاؤل، اعتني بنفسك يا أخي فأنا أحبك كثيرا ولا تنسى لا تبالي
فستشفى الجراح



رحل سالم عن عالمنا، رحل سالم وقد وعد الطفلين أنه سيغني لهما إن
وجدا يديه هو يعلم أن إيجادهما محال إذن غناؤه مرة أخرى سيكون
مستحيلا

فهو استطاع التخلي عن حلمه فأذن قد أطفأت نور الحياة بين عينيه،
لم يعد يشعر بطعم الحياة وذلك الأمل تحول إلى مجرد ألم اختار الموت
ظننا منه أنه طريق وسبيل الراحة والنجاة، كل هذا بسبب من ؟

عندما يدخل الانتقام تنغلق الصدور وتعمى الأعين يفتك بنا حب
السلطة والمال دون النظر من هم ضحايا هذا الحب وكم الشهداء الذين
سيسقطون في معركة انتزاع السلطة واكتساب المال !

ليس ذنبك يا سالم أنك عشت في عالم لا يشبهك وعشت بين أناس لم
ليشبهوا نقاء قلبك، أمل أن تلقى روحك السلام الدائم أتمنى أن يحظى
أمثال سالم في هذا العالم حياة أسهل من تلك بكثير ، أتمنى أن نكون عوناً
لهم لا عليهم أتمنى أن يبقى قلبهم ينبض طيبة لآخر يوم في عمرهم
فها قد رحل سالم ولا نريد خسارة سالم آخر !

ها قد شُنِقت زهرة عباد الشمس بعد ما قُطعت يداها ودُفِنت
قدمها!

♥.....النهاية.....♥

في يوم من ذات الأيام خرجت من كلية الحجاوي للهندسة في جامعة اليرموك، انتهيت من تقديم امتحان ولم أتقدم به بالشكل المطلوب خرجت مسودة الوجه متوجهة إلى بوابة الجامعة للذهاب إلى البيت، وأنا في طريقي خائبة المسعى لمحت شابا طويل القائمة رفيع البنية بشوشا باسم الوجه مستبدلا يديه بأجنحة من التفاؤل، جاءت عيني مقابل عينيه وعندما رأيته وجدته باسم لم أدر حينها أكانت تلك الابتسامة لي أم لا، فقد كانت كفيلة بزرع السعادة في خاطري وكانت سبب إلهامي لكتابة كلماتي، فشكرا لك شكرا جزيل فهي لم تكن مجرد ابتسامة بل كانت وحي إلهامي وإرشادي، أسأل الله أن تبقى مبتسما طوال عمرك، حافظ على ابتسامتك دائما

فأنت سالم قصتنا، ومبعث لأملنا، أبقى دائما بخير لأجلنا

هذه الرواية مهداة لذلك الشخص المجهول ذي المبسم الحسن
وأجنحة الأمل

مروة محمد

2001marwamoh@gmail.com